جامعة بيرزيت

كلية الدراسات العليا

برنامج التاريخ العربي الإسلامي

أثر حضارة بلاد الشام على أديان العرب قبل الإسلام

The Impact of Southern Levant's Civilization on the Arab's Religions before Islam

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي

إعداد

جاد الياس جبرا أبو سعد

1105460

إشراف الدكتور

نظمي الجعبة

2014 -2013

أثر حضارة بلاد الشام على أديان العرب قبل الإسلام

The Impact of Southern Levant's Civilization on the Arab's Religions before Islam

إعداد: جاد الياس أبو سعد

إشراف: د. نظمي الجعبة

تاريخ المناقشة: 26 -03

لجنة الإشراف والمناقشة:

د. نظمي الجعبة- رئيساً

د. عصام حلايقة- عضواً

د. توفيق دواني- عضواً

قدمت هذه الرسالة (الأطروحة) استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات العليا

جامعة بيرزيت- فلسطين

أثر حضارة بلاد الشام على أديان العرب قبل الإسلام

The Impact of Southern Levant's Civilization on the Arab's Religions before Islam

إعداد: جاد الياس أبو سعد

إشراف: د. نظمي الجعبة

تاريخ المناقشة:26- 03

لجنة الإشراف والمناقشة:

د. نظمي الجعبة- رئيساً

د. عصام حلايقة- عضواً

د. توفيق دواني- عضواً

قدمت هذه الرسالة (الأطروحة) استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات العليا

جامعة بيرزيت- فلسطين

إهداء

إلى الأهل والأحباء

شكر وتقدير

إلى كل من ساعدني في إتمام كتابة هذه الرسالة وأخص بالذكر الأساتذة الكرام المشرف الدكتور نظمي الجعبة والدكتور عصام حلايقة والدكتور توفيق دواني، فكل الشكر والتقدير على جهودهم ومساندتهم لي في كتابة الرسالة.

محتوى الرسالة

ملخص الدراسة

تتناول الدراسة موضوع أديان العرب قبل الإسلام وتركز على الوثنية العربية وأصنام العرب، ويتلخص الموضوع في محاولة فهم الآلهة العربية وطبيعتها من خلال دراسة أسماء الآلهة والأصنام التي عبدها العرب، ومعرفة مدى تأثير حضارة بلاد الشام على الوثنية العربية، فكما أن المسيحية واليهودية تسربتا إلى بلاد العرب من بلاد الشام عن طريق التبادل التجاري والطرق التجارية والعوامل السياسية والثقافية، فإنه من المعقول أيضاً أن جزءاً من وثنية بلاد الشام قد تسرب إلى بلاد العرب بنفس الوسائل وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال عبادة آلهة مركزية مشتركة.

وتحاول الدراسة أن تلقي الضوء على أصنام العرب وبعض طقوسهم الدينية، كما تعرض لأسماء الآلهة العربية وتعددها واختلافها، وهل هذا التعدد والاختلاف في أسماء الآلهة نابع من تعددية حقيقية أم أن الحديث يدور عن ألقاب كثيرة لإله واحد، وأن كثرة الأسماء لا تعني بالضرورى عبادة آلهة كثيرة بل إن الأمر موضع خلاف، فقد يكون للإله ذاته ألقاب ومسميات عديدة ارتأت كل جماعة وقبيلة عربية أن تسميه بحسب منظورها وفلسفتها لطبيعة هذا الإله وبحسب بيئتها كذلك، وهكذا يظهر لكل قبيلة اسم إله مختلف مع أن الحديث ربما يدور عن إله رئيسي ومركزي تشترك في عبادته الشعوب السامية لكن بألقاب ومسميات مختلفة.

سيتم دراسة أديان العرب قبل الإسلام من خلال إعادة قراءة المصادر العربية الإسلامية وما ذكرته الرواية الإسلامية عن أصنام العرب وطقوسهم، كذلك التعرف على النقوش العربية المختلفة التي أفادتنا فائدة كبيرة في التعرف على أسماء الآلهة العربية وطبيعتها ورموزها.

وقد تم تقسيم البحث إلى عدة فصول وأجزاء حيث بدأت الدراسة بمقدمة عن الموضوع، والفصل الأول بعنوان "أديان العرب قبل الإسلام" تم تقسيمه إلى عدة أجزاء، الجزء الأول يتحدث عن الفائدة من معرفة أديان العرب قبل الإسلام، والجزء الثاني يتناول مصادر معرفتنا بالوثنية العربية، والجزء الثالث يتناول موضوع اتصال العرب بالشعوب المجاورة في العراق وبلاد الشام، ثم خلاصة لهذا الفصل.

والفصل الثاني الذي بعنوان "أصنام العرب قبل الإسلام" تم تقسيمه لعدة أجزاء، الجزء الأول يتحدث عن عبادة العرب للأصنام بحسب الرواية الإسلامية، والجزء الثاني يتحدث عن عبادة العرب للإله أيل إله جميع الساميين، والجزء الثالث يتحدث عن عبادة الإلهة الأم عند العرب.

أما الفصل الثالث بعنوان "النزوع نحو التوحيد" فهو ينقسم إلى ثلاثة أجزاء، الجزء الأول منه تناول الإله بعل شميم كإله مركزي ظهر بكثرة في النقوش والعبادات من القرن الأول ق.م، ثم الجزء الثاني تحدث عن الصابئة في بلاد العرب عن أصلهم ومعتقداتهم وأثرهم على العرب، كذلك تناول هذا الجزء تقديس بعض العرب للنجوم، والجزء الثالث تناول الحنيفية ديانة إبراهيم بالمفهوم الإسلامي وأن بعض العرب كانوا حنفاء على عقيدة الحنيفية التي تؤمن بالتوحيد وتنادي به وهي في ذلك لا تبعد كثيراً عن الديانتين التوحيديتين المسيحية واليهودية.

وفي النهاية خاتمة الرسالة وأبرز ما توصلت إليه من نتائج ثم قائمة المصادر والمراجع والملاحق.

Abstract

The study addresses the Religions of the Arabs before Islam, and focusing on Arabic idolatry and Arab idols, and its subject is to understand the Arabic gods and its nature by studying the divine names of the Arabic Idols and gods which were worshipped by the Arabs before Islam, and also to illustrate the effect of the Southern Levantine civilization on the Arabic idolatry, just as Christianity and Judaism spread out into Arabia from the Levant by trade and political and cultural factors, it is also reasonable that part of the Southern Levant idolatry had spread out in Arabia in the same way. And this was reflected clearly through the worship of a main and central gods.

The study attempts to shed light on the Arab idols and some of their religious rites, it also reviews the various and different names of the Arabic gods by clarifying this difference and variety of gods, and if this stems from a natural variety or it's just many titles given to the same god, since the abundance of names does not necessarily indicate the worship of many gods, so it is controversial, because it might be that the same god has several names and titles according to each Arab tribe, due to each one of these tribes used to call god according to its environment and to its perspective and philosophy of god's nature. And thus appears to each Arab tribe a different names for the same god, and maybe all the matter is about a main god who was worshipped by all the Semitic people in different ways and titles.

This research studies the religions of the Arabs before Islam, by reading some of the Arabic Islamic sources and narratives as well as review some different Arabic inscriptions in particular that in which mention the Arabic idols and gods and its symbols.

The search is divided into an introduction and three main chapters, the first chapter entitled "The religions of the Arabs before Islam" is divided into three parts, the first part talks about the benefit from the knowledge of Arabian religions before Islam, and the second part deals with the sources of our knowledge of the Arabic idolatry, and part three deals with the Arab connection with the neighboring peoples in Iraq and Syria, and a summary of this chapter.

Chapter two entitled “Arabs idols before Islam” is divided into three parts, the first part deals with the worship of idols by the Arabs according to the Islamic narrative, and the second part deals with the worship of the god El by the Arabs and the other Semitic people, and the third part deals with the worship of the mother goddess by the Arabs and the Semitic people in different ways and titles, then a summary of this chapter.

Chapter three entitled “Tendency towards Monotheism” is divided into three parts also, the first part addressing the god “Baal Shamiam” as the main god in which appeared in many inscriptions and practices of the first century BCE. Part two deals with the origin of the Sabians sect their beliefs and rituals and their influence on the Arabs, as well as dealing with the veneration of stars by some of the Arabs, and part three addressing the “Haneefs Sect” which deals with Abraham’s religion according to the Islamic concept and that some of the Arabs were Haneefs, as this religion is not far from the monotheistic religions like Judaism and Christianity.

And the end of this research is the highlight of the results, and finally the main list of sources and references and appendices.

مقدمة

للأديان أثر بالغ في توجيه الأفراد والقبائل والشعوب، وفيما ينتج عن عمل الإنسان من ثقافة وسياسة واقتصاد، فهذه نواح ينبغي أن تلاحظ عند دراسة الأديان.

كذلك يكون للجوار وللصلات التاريخية والروابط الثقافية واللغوية، أثر في توجيه الفكر الديني لدى الشعوب، لذا يجب ألا نتصور أن أديان العرب وأفكارهم الدينية عن الآلهة لم تتأثر بمؤثرات الجوار الذي أحاط بها، فلم تأخذ من الأمم والشعوب التي اتصلت بها شيئاً، جرياً مع نظرية القائلين بعزلة العرب عن محيطهم الخارجي وعن التطور الحضاري، فهذه نظرية نشأت عن عدم وقوف القائلين بها على أحوال العرب قبل الإسلام وقفة متأنية وفاحصة.

يقاس على ذلك أيضا أنّ الفكر الديني للعرب قبل الإسلام، ولا سيما الجانب الوثني منه قد تأثر بوثنية غيرهم، وقد تجلى ذلك بوضوح في أسماء بعض الآلهة الرئيسية التي عبدوها، والتي كانت مشابهة لتلك الآلهة التي عُبدت في بلاد الشام والعراق، وبات من المقبول اعتبار أسماء الآلهة والنعوت التي أطلقت عليها ودلالاتها اللغوية، من أهم المصادر لفهم طبيعة آلهة العرب، وهي تدل في الوقت نفسه على تطور فكرة الألوهية عند الشعوب في العصور المختلفة.

وفي هذا السياق فإن هذه الدراسة لا تغفل أو تنكر تأثير وثنية بلاد اليمن على الوثنية العربية لا سيما في نجد والحجاز الأقرب جغرافياً وثقافياً لبلاد اليمن، وقد تبين ذلك من خلال التشابه في بعض أسماء الآلهة والأصنام، فقد أورد ابن الكلبي في كتابه "الأصنام" العديد من الأسماء لأصنام عبدها عرب نجد والحجاز وأهل اليمن مثل العزى ويعوق ونسر وتالب ريام، وقد تم الكشف عن بعض هذه الأسماء في النقوش السبأية اليمنية كما سيرد في البحث، مما يعطي الانطباع على وجود عبادة مشتركة ومتشابهة بين عرب الجنوب في اليمن وعرب الشمال لا سيما في نجد والحجاز.

مع هذا يجب عدم إهمال فكرة الديانة العربية المحلية وكيف أنها تطورت ونمت ضمن البيئة والثقافة المحلية تطورا ذاتياً، فكما أن الوثنية في بلاد الشام مرت في مراحل تطور ونمو كذلك فإن الوثنية العربية تطورت محلياً أيضاً في بيئتها ومحيطها، مع ذلك بقيت

الوثنيـة العربيـة تسـتوعب عناصـر جديـدة مـن حضـارة بـلاد الشـام وتضـيف إلـى عناصـرها المحلية إضافات مميزة.

ومـن يقـرأ المصـادر الإسـلامية عـن عـرب مـا قبـل الإسـلام فإنـه سـيجد أن منطقـة الجزيـرة العربيـة لـم تكـن منطقـة خاويـة مـن الفلسـفة الدينيـة، فإضـافة إلـى النقـوش العربيـة الشـمالية التـي تـم اكتشـافها فـي القـرن التاسـع عشـر والعشـرين والتـي حملـت أسـماء العديـد مـن الآلهـة والأصـنام التـي عبـدها العـرب، فـإن المصـادر التراثيـة حملـت الكثيـر مـن العـادات والطقـوس الدينيـة العربيـة التـي مارسـها العـرب قبـل الإسـلام، ومـن هـذه الطقـوس الدينيـة يتبـين أن الديانـة العربيـة المحليـة كانـت حافلـة بـأمور ومزايـا لـم تخلـو حضـارة مـن الحضـارات مـن هـذه المزايـا، فالإيمـان بـالجن وتقـديس بعـض الحيوانـات كـالغزال والمهـا وممارسـة الطقـوس الطوطميـة والكهانـة والعرافـة وزجـر الطيـر وعبـادة المظـاهر الطبيعيـة وعلـم الأنـواء، وتقـديس الأمـاكن الخربـة والكهـوف علـى اعتبارهـا أمـاكن مأهولـة بـالأرواح كـل هـذه الامـور وجـدت عنـد الشـعوب كافـة، فـبلاد العـرب لـم تكـن قفـرة ومنعزلـة، بـل اسـتطاع العـرب بنـاء ديـانتهم الوثنيـة بشـكل طبيعـي وتـدريجي كبـاقي الشـعوب، وقـد حفلـت ثقـافتهم الدينيـة بعناصـر محليـة بنيويـة بـارزة مـن المفيـد أن تـدرس هـذه العناصـر لأن الأبحـاث فـي هـذا المجـال لـم تكـن كافية ولم تأخذ كامل حقها.[1]

وعنـد الحـديث عـن الوثنيـة العربيـة فـابن الكلبـي يـذكر فـي كتابـه بعـض الأصـنام التـي عبـدها عـرب نجـد والحجـاز وأشـهرها العـزى والـلات ومنـاة وهـي نفسـها الأصـنام التـي ذكرهـا القـرآن، [2] وقـد عثـر علـى أسـماء هـذه الأصـنام فـي النقـوش النبطيـة ونقـوش العربيـة الشـمالية مـن صـفوية وثموديـة ولحيانيـة، وقـد اعتبـر العـالم ديسـو أن العـرب هـم مـن أدخـل عبـادة الـلات العربيـة إلـى تـدمر التـي كـان التـأثير الآرامـي فيهـا كبيـراً.[3] ومـع أن الأنبـاط وأهـل تـدمر تبنـوا اللغـة الآراميـة والثقافـة اليونانيـة إلـى حـد مـا، إلا أن الآلهـة العربيـة كانـت المهيمنـة علـى عبـادة الأنبـاط وأهـل تـدمر، وقـد كـان التـدمريون والأنبـاط بمثابـة حلقـة الوصـل بـين حضـارة بـلاد الشـام وبـين العـرب فعـن طـريقهم تسـربت وثنيـة بـلاد الشـام إلـى بـلاد العـرب، لكـن مـع هـذا فـإن الآلهـة العربيـة المحليـة عبـدها النـبط وأهـل تـدمر وعـرب الشـمال وعـرب نجـد والحجاز أيضاً، وتجلى ذلك في بعض النقوش العربية وفي المصادر الإسلامية.

[1] الحوت، محمود سليم. **في طريق الميثولوجيا عند العرب**. بيروت: دار النهار. 1979. ص 10
[2] ابن الكلبي. **كتاب الأصنام**. القاهرة: دار الكتب المصرية. ط2. 1924. ص 23- 24
[3] ديسو، رينيه. **العرب في سورية قبل الإسلام**. دمشق: الدار القومية للطباعة والنشر. 1999. ص 121

تعتمد هذه الدراسة بالأساس على دراسة الوثنية العربية قبل الإسلام وذلك في إطار ربطها بالوثنية في بلاد الشام، اعتماداً على أسماء الآلهة الرئيسية التي عبدت في العراق وبلاد الشام مثل الإله الأيل إله السماء وإله جميع الساميين، والإلهة الأم عشتار التي عبدت عند العرب لكن بأسماء وألقاب مختلفة، وإن وجدت في النصوص السبئية كما سنرى باسم أثرت كما في النصوص الكنعانية أشيرة وهو يدل على الجذر المشترك لهذه الكلمة السامية والتي تدل على الكثرة والخصب، وستقوم هذه الدراسة بتحليل أسماء بعض الأصنام العربية ودراسة صفاتها وألقابها بهدف تبيان مدى العلاقة الجدلية بين وثنية بلاد الشام والوثنية العربية.

وقد ظل السؤال مطروحاً بشكل خاص عن الوثنية وتعدد الآلهة قبل بروز الديانات التوحيدية، وتركز السؤال على ماهية هذه الوثنية وطبيعتها، فهل كانت الوثنية قائمة على تعدد الآلهة بشكل لافت للنظر، أم هي وثنية تبرز فيها سمة التوحيد وليس التعدد، فهنالك من العلماء من يرى أن العبادة الوثنية قد عرفت شكل من أشكال التوحيد، ومن هؤلاء العلماء فلهوزن وديتلف نيلسن، فقد عمل الأخيرعلى دراسة الوثنية العربية وحاول جمع العدد الأكبر من أسماء الآلهة والأصنام العربية وتوحيدها تحت ثالوث إلهي كوكبي يتمثل في القمر والشمس وكوكب الزهرة، وأن هذا الثالوث الكوكبي هو النواة الأصيلة في العبادة عند جميع الساميين من العرب وشعوب العراق وبلاد الشام. [1]

وهناك رأي آخر يمثله هومل وسيس وهذا الرأي يتلخص في أن الأصل في ديانة العرب وباقي الساميين هي عبادة آلهة أرضية متمثلة في إله السماء أيل الأب والإلهة الأم الأرض والإله بعل الابن، وأن عبادة الأجرام السماوية كانت دخيلة على العر ب من تأثير البابليين، وعلى أية حال فالرأيان متفقان على شكل من أشكال التوحيد وأن العرب والساميين عبدو ثالوث إلهي لكن الاختلاف حول أصل هذه العبادة أهي عبادة آلهة أرضية أم عبادة أجرام سماوية.

ولا شك في كثرة أصنام العرب وأنصابهم التي انتشرت بينهم، غير أنه من الصعب حصر عدد الآلهة ومقدار ذيوعها بين مختلف القبائل، فالأخبار الواردة لا ترسم لنا خطة معينة عن عدد الآلهة وتوزيعها، فالجارم في كتابه " أديان العرب في الجاهلية" يذكر أنه كان للقبيلة أكثر من صنم وكان منها عند الكعبة الكثير وأنه يصعب حصر أصنام العرب

[1] نيلسن، ديتلف. **تاريخ العرب القديم.** القاهرة. مكتبة النهضة الإسلامية. ص 195

فــي الجاهليــة فكثرتهــا تتجــاوز العــد،[1] وذهــب الأب لــويس شــيخو فــي كتابــه "النصــرانية وآدابهــا بــين العــرب فــي الجاهليــة" إلــى أنــه كــان للعــرب حــوالي ثلاثــين صــنماً مــع أن الروايــات الإســلامية تــذكر أنــه كــان فــي الكعبــة حــوالي 360 صــنماً، [2] وهنــاك روايــات تفيــد أنــه " كــان لأهــل كــل دار مــن مكــة صــنم فــي دارهــم يعبدونــه"،[3] ويُفهــم مــن ابــن هشــام فــي السيرة أن الأشراف كانوا يتخذون في بيوتهم أصناما لآلهة يعظمونها، فمثل هذه الروايات وأمثالهــا هــي الســبب فــي اعتقــاد الكثيــرين بتضــخم العــدد الــذي ارتقــت إليــه آلهــة العــرب. والمــرء عنــدما يقــرأ المصــادر الإســلامية ويتعــرف علــى النقــوش العربيــة المكتشــفة فإنــه للوهلــة الأولــى يتعجــب مــن كثــرة أســماء الآلهــة والأصــنام الــواردة فــي هــذه المصــادر والنقــوش، وأن الحــديث يــدور عــن عــدد كبيــر جــداً مــن الآلهــة كــان يعبــدها العــرب، وأن الوثنيــة العربيــة كوثنيــة بــلاد الشــام قائمــة علــى تعــدد الآلهــة، وهكــذا اعتقــد الكثيــر مــن الكتــاب وتبنــوا الآلهــة المتعــددة كــابن هشــام وابــن الكلبــي ومــن المحــدثين ســليم الحــوت ومحمــد الجــارم ومن الغربيين نولدكة ولامنس.

ممــا لاشــك فيــه أن كثيــر مــن أســماء الأصــنام أو الآلهــة الــواردة فــي المصــادر الإســلامية وفــي النقــوش العربيــة تــدل علــى تعــدد كبيــر فــي الآلهــة، لكــن مــن يــدرس هــذه الأســماء يجــد أن الكثيــر مــن هــذه الأســماء والألقــاب قــد تشــير لإلــه واحــد، وأن مــن يعتقــد فــي تعــدد كبيــر للآلهــة قــد يجــد نفســه محصــورا أمــام عــدد قليــل مــن الآلهــة، فمــن جهــة يصــعب حصــر جميــع هــذه الأســماء فــي ثــالوث إلهــي، فهــذه النظريــة تعرضــت للنقــد الواســع وأثــارت جــدلاً كبيــراً، ومــن جهــة ثانيــة لا ينبغــي الاعتقــاد أن كــل هــذه الأســماء تــدل علــى آلهــة عديــدة ومختلفــة، فلــيس مــن الضــروري أن يكــون عنــد كــل شــريف أو فــي كــل حــي ومنــزل صــنم معبــود يخــالف فــي كنهــه ومميزاتــه صــنم الشــريف الآخــر أو الحــي الآخــر، فقــد يكــون للحــي أو للقبيلــة إلــه كــالعزى أو هبــل يُعبــد وتجرى له الطقوس، ثم يكون هنالك ألقاباً ورموزاً للإله نفسه عند هذا الحي وتلك القبيلة.

ولعــل الأصــنام الكثيــرة التــي يحــدثون عنهــا إنمــا كانــت تماثيــل يقتنيهــا العــرب أكثــر مــن كونهــا رمــوزاً للآلهــة، فقــد روى الأزرقــي فــي كتابــه "أخبــار مكــة" أن الأصــنام كــان يُطــاف بهــا فيشــتريها أهــل البــدو ويخرجــون إلــى بيــوتهم وأن أحــدهم كــان يعملهــا فــي الجاهليــة ويبيعهــا فلــم

[1] الجارم، محمد. **أديان العرب في الجاهلية**. مصر: مكتبة دار السعادة. 1933. ص 155
[2] شيخو، لويس. **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية**. بيروت: دار المشرق. ط2. 1986. ص 6
[3] ابن الكلبي. **الأصنام**. ص33

يكن في قريش رجل إلا وفي بيته صنم، [1] فإن دلت هذه الأقوال وغيرها على كثرة هذه الأصنام والتماثيل فإنها لا تدل بالضرورة على اختلاف وتعدد كبير في الآلهة التي يرمزون إليها، فمثلا الاسم جاد أيل الذي يعني حظوة أيل فإنه عند ورد هذا الاسم (جاد) لوحده في النقوش يكون الاعتقاد أن الحديث يدور عن إله آخر اسمه جاد وليس أيل، فورود اسم جاد على حدى هو لأن اسم أيل مدرك في الأذهان ولا يتم ذكره دائما فسيتخدم الاسم البديل جاد كدلالة على الإله أيل، كذلك الاسم أيل الرحيم فإذا ورد الرحيم لوحده فهذا لا يعني إله آخر بل هو لقب آخر لأيل، أو كما في أسماء الله الحسنى في الإسلام فإنها كلها ألقاب تعبر عن إله واحد هو الله.

وكان لكل شعب وقبيلة إله خاص يعرف بالإله القومي أو إله القبيلة، وكانت الشعوب والقبائل تتخذ أسماء مختلفة لآلهتها بحسب رؤيتها لهذا الإله وطبيعته، لكن ما قد لا يدركه البعض أن هذه الأسماء المختلفة قد تشير لإله واحد بعينه وليس لتعدد آلهة، فمثلاً الإلهة الأم عند العرب كانت تعرف ب "اللات" وكان لها معبداً في الطائف وكان سدنتها من بني ثقيف وكانت جميع العرب تعظمها، وقد وردت اللات في النقوش الصفوية والنبطية وكذلك في تدمر، وقد يكون لهذه الإلهة الأم أسماء وألقاب متعددة تدل على طبيعتها كالعزى أي العزيزة لدى قريش ومناة لدى الأوس والخزرج ومن والاهم، فرغم تعدد المسميات إلا أن الحديث يدور عن الإلهة العربية الأم.

وهذه الدراسة تلقي الضوء على بعض القضايا المتعلقة بالوثنية العربية وبنظرة العرب لآلهتهم ولأصنامهم، وتعالج مدى تأثير وثنية بلاد الشام على الوثنية العربية، كما ستكشف هذه الدراسة عن طبيعة أصنام العرب وصفاتها من خلال إعادة قراءة المصادر الإسلامية والنقوش الأثرية.

ويعود اختيار موضوع أديان العرب قبل الإسلام لعدة أسباب أهمها:

أولاً: تبيان الأثر الذي لعبته حضارة بلاد الشام في ديانة العرب وكيف أنها ساهمت إلى حد ما في إثراء الوثنية العربية، بدليل أن بعض آلهة بلاد الشام عبدها العرب أيضاً.

ثانياً: تبيان العلاقة بين المركز والجوار من خلال دراسة الأثر الحضاري على أديان العرب هذا الأثر كان نتاج التبادل التجاري والتلاقي الثقافي والديني.

---

[1] الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الملك بن أيوب. **أخبار مكة وما جاء فيها من آثار.** القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية للنشر. ط1. 2004.. ج1. ص 78

ثالثاً: التعرف على الديانة العربية قبل الإسلام وتسليط الضوء على الوثنية العربية التي لم تكن ساذجة كما يُظن بل كانت وثنية راسخة الجذور وذات بنية متماسكة ومتراكمة.

رابعاً: محاولة الكشف عن مزايا وأسماء بعض أصنام العرب من خلال إعادة قراءة المصادر التاريخية والنقوش، وتحليل طبيعة هذه الأصنام وماهيتها ونظرة المؤمنين لها، وتمثل النقوش العربية مصدراً مهماً في دراسة وتوثيق الآلهة العربية كما تساعد في إعادة فهم طبيعة هذه الآلهة لا سيما عند مقارنتها مع آلهة بلاد الشام، وبذلك يصبح لدينا رؤية موسعة وشاملة عن الوثنية العربية قبل الإسلام.

إشكالية الدراسة

أظهرت توجهات العديد من الباحثين في أديان العرب قبل الإسلام أن الوثنية العربية كانت بدائية وساذجة ومنعزلة عن التطور الديني في بلاد الشام، وتم تجاهل الوثنية العربية إلى حد ما وكان التركيز على دراسة الفكر الديني في المراكز الحضارية المجاورة لبلاد العرب أي في العراق وبلاد الشام، لكن ومع بداية اكتشاف النقوش العربية في القرن التاسع عشر وجهود العلماء الغربيين في دراسة هذه النقوش وتحليل محتواها وقراءة المصادر العربية والإسلامية، إضافة إلى الرحلات التي قام بها هؤلاء العلماء إلى الجزيرة العربية من شمالها إلى جنوبها بغية توثيق النقوش وتصويرها، أصبح هناك اهتمام ملحوظ في دراسة أديان العرب قبل الإسلام لاسيما وأن عدد النقوش التي تم اكتشافها كان كبيراً سواء في العربية الشمالية أو في اليمن، ومن هذه النقوش تمكن العلماء من استخراج أسماء الآلهة العربية ومعرفة أماكن تواجدها، ونتيجة لذلك حاول العلماء إعادة تقييم الوثنية العربية وفهمها على ضوء هذه النقوش، فالمصادر الإسلامية لم تكن كافية لفهم أديان العرب بل أنها أعطت الانطباع أن الوثنية العربية كانت بدائية إلى أبعد الحدود، وما كتب عن فترة ما قبل الإسلام في هذه الكتب كتب بطابع أسطوري وقصصي.

لكن على الرغم من إعادة محاولة فهم الوثنية العربية من خلال دراسة المصادر والنقوش وأسماء الآلهة، إلا أن الإشكالية بقيت في فهم طبيعة آلهة العرب ومميزاتها وأيضاً في مدى فهم التعدد الكبير في أسماء آلهتهم، فهل كل هذه الأسماء كانت تعبيراً عن تعدد كبير في الآلهة، أم هي تعبير عن عدد محدود من الآلهة وبالتالي ليس عددا كبيراً، مع الأخذ بعين الاعتبار تأثير آلهة بلاد الشام على آلهة العرب.

فرضية الدراسة

كانت الوثنية العربية مرتبطة ارتباطا قوياً بوثنية بلاد الشام، حيث كان هناك تواصلاً حضارياً وتاريخياً ودينياً مع المحيط الإقليمي بين العرب وبلاد الشام نتيجة التجارة والطرق التجارية والعوامل السياسية، ومم لاشك فيه أن الوثنية العربية تأثرت بوثنية بلاد الشام ولم يظهر هذا التأثير من خلال الديانات التوحيدية فقط، بل أيضاً من خلال الآلهة الوثنية حيث أن العرب عبدت آلهة رئيسية كانت معبودة في بلاد الشام والعراق كالإله أيل والإلهة الأم، وتفترض هذه الدراسة وجود علاقة وطيدة وتأثير مباشر لحضارة بلاد الشام على بلاد العرب، وأن وثنية بلاد الشام كان لها تأثيراً واضحاً على الآلهة العربية.

منهجية الدراسة

تعتبر منهجية هذه الدراسة تقاطعاً بين منهجيات تتعلق بعلوم متعددة كالتاريخ والآثار والجغرافيا، والاعتماد على المصادر المكتوبة والنقوش التي تناولت أديان العرب قبل الإسلام، حيث ستعتمد هذه الدراسة على أبحاث العلماء في مجال دراسة الوثنية العربية وتحليل نتائج هذه الابحاث، ومراجعة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع.

وهذه الدراسة تقوم على منهج تاريخي استقرائي يعتمد على جمع المادة من مصادرها المختلفة سواء من كتب القدماء أو كتب المحدثين أو من النقوش والآثار، ثم محاولة دراسة هذه المصادر والمراجع وقراءتها بكل موضوعية وحيادية بالتحليل والربط، والهدف النهائي المرجو هو الحصول على نتائج منطقية ومقنعة، مع الاستفادة مما جاء عند الآخرين، بعيداً عن التعصب والهوى ومتبعاً الأمانة العلمية وأسلوب البحث العلمي.

مراجعة الدراسات السابقة

يوجد عدد من الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع لاسيما أديان العرب قبل الإسلام وفكرهم الديني، لكن ليست بالطريقة التي سيتم عرضها هنا، وفي كثير من هذه الدراسات لم يتم التطرق بوضوح إلى مسألة تأثر الفكر الديني للعرب قبل الإسلام بالفكر الديني في بلاد الشام، أو إلى دراسة معمقة لفهم طبيعة أصنام العرب وحقيقتها. فهناك من كتب عن أصنام العرب وآلهتهم نذكر منهم:

جواد علي في كتابه: "المفصل في أديان العرب قبل الإسلام". عن دار النهضة للنشر 1978:

تطرق الكاتب لأديان العرب قبل الإسلام لاسيما عرب الشمال وعرب نجد والحجاز وعرب الأنباط، حيث ذكر الكاتب أسماء الأصنام والآلهة العربية وتطرق لبعض النقوش، لكن الكاتب لم يربط الوثنية العربية بوثنية بلاد الشام.

محمود سليم الحوت في كتابه في "طريق المثيولجيا عند العرب"، عن دار النهار للنشر سنة1979 وقد درس الوثنية العربية بشكل طيب وتعرض لطقوس العرب المختلفة، وأشار إلى مسائل كثيرة عن الوثنية العربية كالطوطمية والإيمان بالجن وبعض الخرافات كزجر الطير والكهانة والعرافة وتقديس الأماكن الخربة والكهوف على اعتبارها أماكن مأهولة بالأرواح والاستقسام عند الأصنام، إلا أن دراسته ركزت على المثيولوجيا العربية ولم يتعرض لفهم طبيعة آلهة العرب وصفاتها بل نقل ما ذكرته المصادر العربية دون تحليل وتفكيك كما لم يأت على ذكر أثر الجوارعلى فكر العرب الديني.

جريس داوود في كتابه:" أديان العرب قبل الإسلام"، عن المؤسسة الجامعية للنشر عام 1981:

تحدث الكاتب عن الآلهة والأصنام العربية ومن يعبدها من القبائل العربية لاسيما في نجد والحجاز، وتناول بعض طقوس العرب الدينية، لكنه لم يربط ذلك بمؤثرات الجوار، بل ركز فقط على آلهة العرب.

أسمهان الجرو في كتابها: "دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم"، عن دار الكتاب الحديث عام 2003: وقد ذكرت أشهر الآلهة والأصنام التي كانت موجودة في العربية الجنوبية في اليمن، لكنها لم تتطرق إلى الأثر الديني الذي لعبته حضارة اليمن على الفكر الديني لعرب نجد والحجاز أو عرب الشمال.

أنستاس الكرملي في كتابه: "أديان العرب وخرافاتهم"، عن المؤسسة العربية للنشر عام 2005:

ذكر أصنام العرب وآلهتهم وبعض طقوسهم وركز على دراسة خرافاتهم بطابع سردي ووصفي فقط دون تحليل وربط، كما وركز فقط على دراسة أصنام عرب نجد والحجاز.

ونذكر بعض الباحثين الغربيين ومنهم فلهوزن في كتابه: " بقايا الوثنية العربية " عام 1897:

وقد كتب عن الأصنام العربية وأديان العرب قبل الإسلام، وتناول الكاتب أصنام العرب في نجد والحجاز وعرب الشمال وعند الأنباط، لكنه لم يتطرق لتأثير حضارة بلاد الشام على الوثنية العربية قبل الإسلام.

موسكاتي في كتابه:" حضارات الشعوب السامية"، عن دار الجيل في بيروت، سنة 1957:

تطرق الكاتب إلى الآلهة عند العرب لاسيما عرب الأنباط وتدمر وعرب الشمال، وعند الشعوب السامية الأخرى كالكنعانيين والبابليين والفينيقيين، وقد حاول الكاتب ربط فكر العرب الديني بحضارة بلاد الشام، لكن الكاتب تجاهل عرب نجد والحجاز إلى حد كبير، مع ذلك يمكن القول أن موسكاتي يعتبر من الباحثين الأوائل الذين ربطوا الفكر الديني للعرب قبل الإسلام بالفكر الديني في بلاد الشام وإن كان كتابه قديماً بعض الشيء.

ديتلف نيلسن في مؤلفه: "تاريخ العرب القديم" عام 1942، وترجم إلى العربية سنة 1958:
حاول الكاتب أن يتعرف على الآلهة العربية القديمة وطبيعتها وصفاتها، وكانت دراسته قيمة وغنية بالمعلومات لأنها اعتمدت على دراسة النقوش العربية، لكن الكاتب كان همه الأساسي دراسة أديان العرب وآلهتهم وأصنامهم، ومع أنه تعرض لمسألة تأثير حضارة بلاد الشام والعراق على رؤية العرب الدينية، إلا أن اهتمامه انصب على إثبات نظريته القائلة بأن العرب عبدوا ثالوث كوكبي إلهي هو القمر والشمس والزهرة وحصر الآلهة العربية ضمن هذا الثالوث الذي اعتبره النواة الأصيلة في عبادتهم وعبادة جميع الساميين.
رينيه ديسو في كتابه: "العرب في سورية قبل الإسلام"، الدار القومية للنشر سنة 1999:
تحدث في كتابه عن أشهر أصنام العربية الشمالية في النقوش الثمودية والصفوية واللحيانية، كذلك عن أصنام أهل تدمر والأنباط، وقد استعان في النقوش كثيراً وترجم الجزء الأكبر منها ، لكنه لم يتطرق إلى آلهة عرب نجد والحجاز، ولم يحاول إيجاد الترابط بين العرب في بلاد الحجاز وبين العرب في العربية الشمالية.

ومن المؤلفين القدماء من تحدث عن آلهة العرب وأصنامهم نذكر منهم:
الكلبي في مصنفه الشهير: "كتاب الأصنام" عن دار الكتب المصرية سنة 1924، وقد تحدث فيه عن أشهر الأصنام عند العرب ونعوتها ومن يعبدها من القبائل العربية وأماكن تواجد هذه الأصنام، وتحدث عن أن أصل عبادة الأصنام عند العرب أتت من بلاد الشام وذلك بالاعتماد على عدة روايات، لكنه لم يتناول هذا الموضوع بالتحليل والدراسة.
ابن سعد في كتابه:" الطبقات الكبرى"، عن دار صادر 1983: والذي تحدث في أجزاء من الكتاب عن أديان العرب ومعتقداتهم وأصنامهم قبل الإسلام بشكل سردي وصفي، دون أن يأخذ بعين الاعتبار أثر الجوار، ومثله فعل ابن هشام في كتابه السيرة النبوية.

وعلى الرغم من أهمية كتب القدماء كمصادر أساسية، إلا أن المؤلفين العرب لم يتعمقوا تعمقاً كافياً في بحوثهم عن الوثنية العربية، ولم يربطوا فكر العرب الديني بالفكر المجاور، وكل ما كتبوه عبارة عن روايات وأخبار وقصص متصلة أغلبها بالإسلام عن أحوال الوثنية في الحجاز ومكة والمدينة وعند القبائل العربية القريبة العهد من الإسلام، كتبوه بطابع ساذج وبسيط وأحياناً بطابع أسطوري قصصي أو خرافي.

ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

1- محاولة لفهم طبيعة الفكر الديني عند العرب قبل الإسلام عن طريق دراسة أسماء الآلهة وألقابها ورموزها ودلالاتها اللغوية، ومحاولة التعرف على أثر حضارة بلاد الشام على الوثنية العربية .

2- محاولة إظهار العلاقة بين المركز والجوار، على اعتبار أن حضارة بلاد الشام كانت مركزاً حضارياً مستقراً وتمثل قوى اقتصادية وثقافية وسياسية، وفي المقابل الجوار الواقع في جنوب هذه الحواضر أي منطقة الجزيرة العربية، التي كان يُنظر إليها على أنها منطقة بادية وصحراء واسعة وممتدة من شمال اليمن حتى جنوب بلاد الشام، هذه البادية كانت مأهولة بالعديد من القبائل العربية الذين كان يُنظر لهم على أنهم أهل البادية والصحراء، وهم العرب من البدو أهل الترحال والانتجاع والحضر الذين عاشوا في الأماكن الخصبة واستقروا فيها لا سيما في تيماء وتبوك وفدك والحجر، أو في الحجاز كالمدينة والطائف وخيبر ومكة.

3- تعطي هذه الدراسة صورة أوضح وأشمل عن أسماء الآلهة العربية قبل الإسلام،لاسيما إذا ربطنا ذلك كله بعلاقة الجوار وبالصلات التاريخية والثقافية والتجارية واللغوية التي كانت تربط العرب بشعوب بلاد الشام، فالرابطة اللغوية بين هذه الشعوب رابطة قوية حيث أن اللغة العربية فرع من فروع اللغات السامية.

4- وإن كانت دراسات عدة تناولت أديان العرب قبل الإسلام وتطرقت لأصنامهم، لكن محاولة ربط فكر العرب الديني ببلاد الشام واستنباط معلومات عن الديانة العربية من خلال دراسة أسماء الآلهة العربية وصفاتها، هذه الفكرة لم يتم معالجتها بشكل معمق وواسع، وإن ظهرت في بعض الدراسات الأجنبية بشكل متناثر لكنها في الحقيقة لم تكن كافية أو ملبية لحاجة الموضوع.

<u>الحدود الزمانية والمكانية للدراسة</u>

تحاول هذه الدراسة التركيز على دراسة أصنام العرب في الجزيرة العربية وتركز بشكل خاص على عرب نجد والحجاز مع الأخذ بعين الاعتبار النقوش العربية المختلفة المكتشفة في العربية الشمالية والعربية الجنوبية إضافة للنقوش النبطية.

و الفترة الزمنية موضوع الدراسة تركز على فترة ما قبل ظهور الإسلام.

<u>الصعوبات</u>

يواجه الباحث صعوبات عديدة عند دراسة أي موضوع ومن الصعوبات الأساسية التي واجهت الباحث في هذا البحث عدم التمكن من قراءة النقوش العربية المختلفة سواء الشمالية أو الجنوبية، فقراءة هذه النقوش وتحليلها وفهمها بحاجة لمختصين وخبراء في علوم النقوش واللغات السامية.

الفصل الأول

أولاً: الفائدة من معرفة أديان العرب قبل الإسلام

إنّ ما وصل إلينا من أشعار للعرب قبل الإسلام، وما زخر به هذا الشعر من معان إنسانية نبيلة وجليلة، ينبئ بأن لهؤلاء القوم فلسفة معينة في الحياة كباقي الأمم يجعل من الصعب أن نرميهم بالجهل أو أن نقلل من قدرهم، وعندما نقرأ الشعر المسمّى بالجاهلي أو القرآن الكريم ويرد اسم صنم من أصنام العرب، يتبادر إلى الذهن أن هؤلاء القوم كانوا عبدة أصنام وأوثان، وأن حياتهم الدينية كانت في مستوى بدائي إلى أبعد الحدود.

لكن ما يتوجب معرفته أن الوثنية العربية قبل الإسلام لم تكن بمعزل عن التطور الديني ولا عن الوثنية التي كانت سائدة في الجوار خصوصاً في بلاد الشام.

فقد كان العرب على اتصال دائم بالحضارات المجاورة ولم يكونوا منعزلين عن التطور الثقافي والديني الواقع في جوارهم، وكانت علاقة العرب بشعوب هذه المناطق علاقة حضارية، وتعبّر عن نفسها في ميادين التجارة والفكر والدين، وقد كانت المناطق الحدودية شمال الجزيرة العربية مثل تيماء ودومة الجندل والبتراء، نقاط التقاء وتفاعل بين هذه الشعوب، وكانت تيماء في شمال الحجاز على طريق قوافل التجّار بين الشام واليمن (انظر الخارطة رقم 1 في ملحق الخرائط)، سكنها الآراميون وبعض قبائل عربية أخرى وزهت فيها الثقافة الآرامية، وقد عثر فيها على عدة نقوش آرامية، وقد امتدت اللغة الآرامية من سورية إلى العربية الشمالية، واستعمل بعض العرب هذه اللهجة وكتبوا بها، وقد نمت البتراء وتدمر في ظل حضارة الإغريق والرومان، فاتخذتا لغتهم والمبادئ الأساسية في تفكيرهم الثقافي إضافة إلى التأثير اليوناني، وقد كان أنباط البتراء على صلة بعرب نجد والحجاز وبسورية الشمالية والغربية، فكانوا بمنزلة حلقة الوصل، لذلك فلا غرابة أن نجد الارتباط اللغوي بين الوثنية العربية وبين وثنية الأنباط، وقد ظهر ذلك بوضوح في أسماء آلهتهم المتشابهة.

ويشير ولفنسون أن القبائل الآرامية وإن كانت قد أثرت في بلاد العرب، فإن العرب لاسيما في نجد والحجاز كانوا أيضا متصلين باليمن اتصالا متيناً بل كانوا خاضعين لنفوذه الروحي برهة طويلة من التاريخ.[1]

---

1. ولفنسون، إسرائيل. **تاريخ اللغات السامية**. بيروت: دار القلم. ط1. 1980. ص 171

إنّ آلهة العرب وأصنامهم لم تكن تشكّل نموذجاً ساذجاً أو شكلاً بدائياً من أشكال العبادات كما يُظن، بل كان لكل صنم من أصنام العرب ولكل اسم إله دلالته المعنوية واللغوية والروحية، وللألقاب والصفات التي أطلقت على أسماء هذه الآلهة والأصنام دلالات واضحة وقوية، ينبئ كل ذلك عن فلسفة دينية ناضجة لاسيما إذا قورنت بأسماء الآلهة التي ظهرت في بلاد الشام، فهذا سيساعد على فهم أفضل لرؤية العرب الدينية، وبالتالي يكون للباحث صورة أوضح في تتبع مدى عمق فلسفتهم الدينية.

وينبغي العلم أنّ الإخباريين اعتادوا أن يسمّوا تاريخ العرب قبل الإسلام (بالعصر الجاهلي) وأن يذهبوا إلى أنّ العرب كانت تغلب عليهم البداوة، وأنهم قد تخلّفوا عمن حولهم في الحضارة، فعاش أكثرهم عيشة قبائل رحل في جهل وغفلة، فلم تكن لهم صلات بالعالم الخارجي، ولم يكن للعالم الخارجي اتصال بهم، فهم أميّون عبدة أصنام وأوثان، ليس عندهم أساطير ولا فلسفة دينية عميقة وشاملة كالأمم الأخرى.[1]

وقد تبنّى هذه المقولات عدد من الباحثين الذين عملوا على فصل حضارة بلاد الشام عن بلاد العرب على اعتبار أن العرب تخلفوا عن حضارة الساميين الشمالية وبقوا منعزلين، وسار على دربهم بعض المؤلفين العرب كأحمد أمين وفيليب حتي.

فبروكلمان مثلا في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) يشير إلى أنّ العرب كانت حياتهم الدينية كحياتهم السياسية في مستوى بدائي إلى أبعد الحدود، فقد اعتقد العرب كغيرهم من الشعوب ذات الثقافة الدنيا، أن الطبيعة من حولهم مشحونة بقوى، تمثلوا هذه القوى روحاً، فأصبحت في عرفهم شياطين، واعتبروا الكهوف والينابيع والأشجار مأهولة بالأرواح.[2]

وللمستشرق أوليري أفكار مشابهة فهو يعتبر في كتابه (Arabia before Mohammad) " الجزيرة العربية قبل محمد" : " أنّ العربي الذي يعد مثلاً ونموذجاً مادياً، ينظر إلى الأشياء نظرة مادية ضيقة، ولا يقوّمها إلا بحسب ما تنتج له من نفع، يمتلك الطمع مشاعره، وليس لديه مجال للخيال ولا للعواطف، لا يميل كثيرا إلى الدين، ولا يكترث بشيء إلا بقدر ما ينتجه من فائدة".[3]

1. علي، جواد. **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. بغداد: مكتبة النهضة. ط2. 1978 ج6- ص 19
2. بروكلمان، كارل. **تاريخ الشعوب الإسلامية**. ترجمة: نبيه فارس. بيروت: دار العلم للملايين. 1980 ص24.
3. De lacy O'Leary. **Arabia before Muhammad.** Kegan Paul. London 1927. Page 15.

وفي كتاب ديتلف نيلسن" تاريخ العرب القديم"، الذي درس فيه أديان العرب وآلهتها، اعتبر ديانات العرب وأفكارهم الدينية ساذجة، مع أنه في الكتاب نفسه أقرّ بأن دين العرب قد وصل إلى مرحلة متطورة، نتيجة التأثر بديانات الساميين الشماليين في بلاد الشام.[1]

وقد أيدّ هذه المقولات بعض الكتاب العرب، فأحمد أمين في مؤلفه (فجر الإسلام) يقول: "إن الطور الذي كانت تمر به العرب في الجاهلية يتجلى بضعف التعليل، أعني عدم القدرة على فهم الارتباط بين العلة والمعلول فهماً تاماً، فلم يكونوا يحسنون تعليل الحوادث، هذا الضعف في التعليل هو الذي يشرح لنا ما ملئت به كتب الأدب من خرافات كانت للعرب في جاهليتها، وهذا أيضا يعلّل لنا التجاءهم إلى الكهانة والعرافة وزجر الطير كي يعرفوا الحوادث، فالعربي لم ينظر إلى العالم نظرة عامة وشاملة كما فعل اليونان ولم يتساءل، فذلك ما لا يتفق والعقل العربي، وهذه الخاصية في العقل العربي هي التي تكشف لنا ما ترى في أدب العرب من نقص، ومن مدى انتشار الأمية فيما بينهم حتى ندر أن تجد القارئ الكاتب عندهم، فمظاهر الحياة العقلية عندهم تتمثل في اللغة والشعر والأمثال، أما العلم والفلسفة فلا أثر لهما ".[2]

وهذا الكلام فيه إجحاف لأن الخرافات كانت موجودة عند الأمم كافة، وأنّ الكهانة والعرافة كانتا منتشرتين بكثرة في العصور القديمة وبين الحضارات كافة.

وفيما يتعلق بأمية العرب وأنهم كانوا أميين لا يكتبون ولا يقرؤون، أو كما أشار ولفنسون أن الكتابة لم تكن منتشرة في بلاد العرب بل كان لا يعرف الكتابة والقراءة منهم إلا القليلا النادر، فلقد بيّن الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد بالدليل والبرهان في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي) كيف أن الكتابة كانت معروفة ومنتشرة بين العرب، وأن عدد الكاتبين كان كبيراً، كما بيّن الأدوات التي استخدموها في الكتابة، وكيف أن من العرب من كان له علم بلغات أخرى كالشاعر عدي بن زيد، وورقة بن نوفل، وأمية بن أبي الصلت وغيرهم.[3]

---

1. نيلسن، ديتلف.**تاريخ العرب القديم** .ترجمة فؤاد حسنين. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. ص231.
2. أمين، أحمد. **فجر الإسلام**. بيروت: دار الكتاب العربي. ط1، 1969. **ص** 40.
3. الأسد، ناصر الدين. **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**. بيروت: دار الجيل. 1988. ص60.
انظر: شيخو، لويس. **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية**. بيروت: دار المشرق. ط 2. 1986. ص 157

وذهب المستشرق فلهوزن إلى أن انتشار الكتابة العربية ظهر أولاً بين العرب النصارى العبّاد في الحيرة والأنبار[1]، ولمؤرخي الأخبار روايات تتفق على أن الخط العربي انتقل إلى الحجاز من الحيرة.[2] وهناك إشارات تدل على أن بعض العرب كانوا يجيدون كتابة العبرية، كأمية بن أبي الصلت وورقة بن نوفل وغيرهم، وليس بمستبعد أن هذه العبرية التي قصدها أهل الأخبار ما هي إلا اللغة الآرامية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، وقد كانت الكتابة النبطية المتأخرة هي المستعملة عند عبدة الأصنام من العرب لأن الحضارة الوثنية العربية كانت مرتبطة بالأنباط ارتباطاً وثيقاً، ثم كان نصارى العرب يستعملون الكتابة النبطية واللغة الآرامية لأن الآرامية كانت لغة العمران.

وقد كتب الأنباط العربية بحروف آرامية وفي القرن الثالث الميلادي أصبح الخط النبطي المستمد من اللغة الآرامية الخط المألوف في العربية الشمالية، ولقد أشار ابن النديم في كتابه الفهرست إلى أصل الخط العربي ، فهو يذكر إستناداً إلى رواية هشام الكلبي أن دخول الخط العربي كان من الحيرة والأنبار، وأن العرب وضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، وهنالك أيضاً روايات أخرى مشبعة بروح البساطة والسذاجة حتى لتبدو اقرب إلى الخرافات منها إلى الحقائق االتاريخية تتحدث عن أن الخط العربي وضعه ثلاثة رجال سكنوا الأنبار فاجتمعوا ووضعوا حروفاً مقطعة وموصولة وهم: مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدة، وأن أهل الحيرة أخذوا العربية من أهل الأنبار[3] ، أو أن من وضع الخط العربي هم ملوك الحيرة والأنبار وأن أسماءهم كانت: أبجد هوز حطي كلمن أي على عدد حروف العربية.[4]

وحقيقة الحال، مع الأخذ بعين الاعتبار العصر الذي عاش فيه العرب وموقع بلادهم، فالعرب لم يكن ينقصهم قوة التعليل، بل كانت لهم القدرة على تفسير الحوادث وفهمها بطريقة خاصة بهم تتناسب مع بيئتهم وظروف معيشتهم، وكانت لهم معارفهم الدينية بحسب تجاربهم الخاصة، كما وكان لديهم المقدرة على ربط الأمور بعضها ببعض والدليل على ذلك ما كان عندهم من معرفة بالأنواء وعلم السماء، فقد جاء مثلاً في سيرة ابن هشام: "أن حياً من ثقيف فزعوا للرمي في النجوم، فجاؤوا إلى رجل منهم يقال له

1. فلهوزن، يوليوس. **تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية**. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. ط2. 1968. ص 21
2. ولفنسون، إسرائيل. **تاريخ اللغات السامية**. 1980. ص 196
3. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب. **الفهرست**. بيروت: دار الكتب العلمية. ص 11
4. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. بيروت: دار صادر. مج2، ص5

عمرو بن أمية، وكان أدهى العرب وأمكرهم رأياً، فقالوا له: يا عمرو، ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم؟ قال: بلى، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يُهتدى بها في البر والبحر، وتُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يُصلح الناس في معايشهم هي التي يُرمى بها، فهو والله طي الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها، وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها، فهذا لأمر أراده الله بهذا الخلق".[1]

فيظهر هنا دقة عمرو هذا وتفريقه بين نجوم يتوقف على بقائها نظام هذا العالم، وأخرى ليست لها هذه القيمة وهي الشهب.

وقد اعتبر أيضاً فيليب حتي في مؤلفه (تاريخ العرب) "أنه لم يكن للوثنيين العرب في جاهليتهم ميثولوجيا كالتي نعهدها عند الشعوب الغربية ولا لاهوت، ويمثل الدين العربي البدوي أول أشكال المعتقدات السامية وأبسطها وأكثرها سذاجة".[2]

نعم لم يصل إلينا من عرب ما قبل الإسلام أساطير مدونة ولا عقائد وأفكار مكتوبة، فكانوا لا يدونون أخبارهم العظيمة ومعارفهم الدينية، لكن وإن لم يصل إلينا شيء مكتوب، فهذا لا يمنع من أن العرب كانت لهم عقائدهم وأفكارهم حول الحياة والموت والخلق وأصل الكون، ويمكننا أن نبحث عن أساطير العرب وأفكارهم الدينية (الميثيولوجية)عن طريق قراءة ما ورد في كتب التراث الإسلامي من قصص أنبياء وأساطير وحكايات شعبية، ككتاب التيجان لوهب بن منبه وما ورد فيه من قصص دينية وأسطورية، وأيضاً ما ورد في ثنايا الشعر الجاهلي من أمر أصنام العرب وأديانهم، وفي كتب السير وكتب تفاسير القرآن، لا سيما الآيات المتعلقة بالخلق وآيات الاستواء على العرش، ففي تفاسير هذه الآيات وإن كتبت في فترات لاحقة نجد الكثير من أفكار العرب الدينية وتصوراتهم حول الخلق والخالق، إذ أنه يمكن التعرف أكثر على أساطير العرب وخرافاتهم الدينية إذا تم تتبع بدقة هذه التفاسير، فقد كان الرسول يرد عليهم ويجادلهم ويسمع منهم، لذلك فتصورات العرب وأفكارهم (الميثيولوجية) مبثوثة في هذه التفاسير.[3]

حتى إنا نجد بعض الأسئلة التي كان يطرحها العرب الأوائل على الرسول، وننذهش لما في هذه الأسئلة من حس فلسفي وبعد تجريدي ومنطقي، فقد ورد مثلاً في

1. ابن هشام، أبو محمد بن عبدالله الحميري. **السيرة النبوية**. بيروت: دار أحياء التراث العربي. ط3. 1971، ص219.
2. حتي، فيليب. **تاريخ العرب مطوّل**. بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة. ط4. 1965 ، ص133.
3. علي، جواد. **المفصّل**. ج6، ص 11، 19
- وانظر: داود، أحمد. **تاريخ سورية القديم**. دمشق: دار الكاتب العربي. ط2، 1997

تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القران) في تفسير الآية: { وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء....} [1]

ما يلي: "حدثنا محمد بن ثور، عن قتادة: وكان عرشه على الماء، قال: هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض، وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: في عماء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء".[2] وسألوا ابن عباس عن الآية: {وكان عرشه على الماء}، قالوا: "على أي شيء كان الماء، قال: على متن الريح".[3]

وقال عبد الله بن معقل:" سمعت وهب بن منبه يقول إن العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والأرض، ثم قبض من صفاة الماء قبضة، ثم فتح القبضة فارتفع دخاناً، ثم قضاهنّ سبع سموات في يومين، ثم أخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت، ثم دحا الأرض، ثم خلق الأقوات في يومين، والسموات في يومين، والأرض في يومين".[4]

أو ما ورد مثلا في تفسير القرطبي لسورة النجم آية 49:{ وأنه هو رب الشعرى} يقول: "والعرب تقول في خرافاتها إن سهيلاً والشعرى كانا زوجين، فانحدر سهيل فصار يمانياً فأتبعته الشعرى العبور، فعبرت المجرة فسميت العبور، وأقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمصت عيناها، فسميّت غميصاء لأنها أخفى من الأخرى". [5]

أو قولهم" إنّ النجم سهيلا كان عشّاراً على طريق اليمن ظلوماً فمسخه الله كوكباً، وأنه ركض نحو الجوزاء فركلته وطرحته حيث هو وضربها هو بالسيف فقطع وسطها ".[6]

وقد جاء مثلاً عن كوكب الزهرة كرمز للجمال والحسن وذلك في تفسير الطبري للآية: {وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، يعلّمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت}.[7] مايلي:

"أنّ كوكب الزّهرة كان في الأصل امرأة جميلة غوت الملكين هاروت وماروت، فقد كانت الملائكة قد شكت إلى الله ظلم الإنسان وفجوره، فأرسلهما الله إلى الأرض يريد

1. **القرآن الكريم.** سورة هود، آية- 7
2. الطبري ، محمد بن جرير. **تفسير الطبري- جامع البيان في تأويل آي القران.** مصر: دار المعارف. ج5، ص246.
3. المصدر السابق.
4. الطبري. **جامع البيان.** ج5. ص250.
5. القرطبي. **الجامع لأحكام القران.** مصر: المكتبة التوفيقية. ج17، ص94.
6. الحوت، محمود سليم. **في طريق الميثيولوجيا عند العرب.** بيروت: دار النهار. 1979، ص102.
7. **القرآن الكريم،** سورة البقرة. آية- 102

اختبارهمـا وليـأمرا بـالمعروف وينهيـا عـن المنكـر، ولكـن امـرأة فائقـة الجمـال والحسـن عرضـت لهمـا فـأقبلا عليهـا وراوداهـا عـن نفسـها فأبـت، واشـترطت عليهمـا ارتكـاب إحـدى معـاص ثـلاث: إمّـا الخـروج عـن دينهمـا وعبـادة الأوثـان، أو شـرب الخمـر أو قتـل نفـس، فاختـارا شـرب الخمـر، فسـقتهما حتـى لعـب الخمـر برأسـيهما فواقعاهـا، ومـر رجـل ورآهمـا فخافـا افتضـاح أمرهمـا فقـتلاه، ثـم أنهمـا أرادا العـودة إلـى السـماء فمـا اسـتطاعا، فطلبـت المـرأة منهمـا تعليمهـا الكـلام الـذي يصـعدان بـه إلـى السـماء ففعـلا، فعرجـت إلـى السـماء ولكنها بقيت معلقة هناك على هيئة كوكب زهرة ".[1]

أو مـا ورد مـثلاً فـي أمـر قصـة الصـنمين إسـاف ونائلـة، وهـي قصـة تحمـل ملامـح أسـطورية متكاملـة لـم يتبقـى منهـا سـوى الخبـر، تقـول القصـة: كـان إسـاف ونائلـة رجـلاً وامـرأة مـن قبيلـة جـرهم، أتيـا الكعبـة وزنيـا فـي جوفهـا فمسـخهما الله حجـرين، ووضـعا عنـد الكعبـة ليـتعظ النـاس بهمـا واتخـذوهما صـنمين يعبـدونهما، وكـانوا يحلقـون رؤوسـهم عنـدهما إذا نسـكوا وينحرون ويذبحون عندهما.[2]

لقـد اسـتطاع كتّـاب السـير والتـاريخ والأخبـار قـديماً أن ينسـجوا الأسـاطير والحكايـات حـول أديـان العـرب قبـل الإسـلام، فمثـل هـذه الحكايـات الدينيـة كانـت متداولـة بـين العـرب شـفوياً، لـذلك حملـت لنـا هـذه الكتـب العديـد مـن القصـص حـول مكـة والكعبـة وسـدنتها وكيفيـة بنائهـا، وحـول رؤسـاء قـريش ورجالهـا وحـول أبطـال ورجـال صـالحين، وفـي الحقيقـة مـا وجـد لـدى العـرب أسـاطير أو ملاحـم مكتوبـة، بـل فقـط خرافـات دينيـة متوارثـة شـفويا ومبثوثـة فـي ثنايـا الكتـب الإسـلامية، وهنـاك فـرق بـين الحكايـات الشـعبية والأسـاطير المكتوبـة، والنـوع الثـاني لا نملك أي دليل على وجوده لأنه لم يصل إلينا أي شيء مكتوب.

ومـن هـذه الحكايـات الشـعبية حكايـة أبرهـة الحبشـي وقدومـه لمكـة مـن أجـل هـدم الكعبـة ومـا صـاحب هـذه الحكايـة مـن تفاصـيل، وقصـة تهـود أهـل الـيمن، وقصـة أصـحاب الأخـدود وحكايـة حفـر بئـر زمـزم وظهـور المـلاك لعبـد المطلـب يـأمره بحفرهـا، ولقـد وردت هـذه

---

1. الطبري. **جامع البيان**. سورة البقرة 102

2. الأزرقي. أبي الوليد محمد بن عبدالله، **أخبار مكة وما جاء فيها من آثار**. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ج1. ص 91

- وانظر : الكلبي، أبو المنذر هشام بن السائب. **كتاب الأصنام**. القاهرة: دار الكتب المصرية. ط2 . 1924، ص 29

الحكايـة فـي عـدة مصـادر سـواء فـي السـير أو التفاسـير[1]، لكـن أحسـنها سـبكاً وصـياغة وردت فــي ســيرة ابــن هشــام، هــذه الحكايــة بحوارهــا ونقلاتهــا واخــتلاط الواقــع فيهــا بالخيــال، وارتباطهـا بـالطقوس الوثنيـة والعـادات القبليـة المتأصـلة، ومـا ورد فيهـا مـن رجـز وسـجع، لترسـم فـي تفاصـيلها مـا اسـتطاع الكاتـب العربـي قـديماً استخلاصـه مـن دنيـا الأسـاطير المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالطقوس والاحتفالات القديمة قدم الدين القديم.[2]

وقد سميّت بعض هذه الأعمال حين اندسّت بين ثنايا كتب التفاسير باسم الإسرائيليات، إشارة إلى أن مدخلها إلى كتب السير والتفاسير لم تكن طبيعية، فهي ليست حقائق مؤكدة، بل هي من دس بعض العناصر الدخيلة على الإسلام، وأول هذه العناصر المعادية للإسلام برأيهم العناصر الإسرائيلية، فنسبت هذه القصص إليهم، وإن كان الأمر في الحقيقة غير هذا تماماً، وإنما كانت هذه القصص والأساطير المتنفس الوحيد لأصحاب هذه الكتب من هواة الأسطورة الدينية وكتّابها العرب، ممن حجب الإسلام إبداعهم المنبثق من التراث الوثني القديم والمرتبط بالمعتقدات الوثنية القديمة، فوجدوا الفرصة للتحرك في هذا الإطار، إذ كان لابد للكاتب والأديب العربي قديماً ولكي يُدخل الإسلام إلى قلوب أبناء الجزيرة العربية، أن يستعمل هذه القصص الدينية كأسلوب أدبي وفني لإثبات ما انتهى إليه أمر عبادة الأوثان والأصنام، ومن إقرار بفساد هذه العبادة وأن الحاجة إلى عبادة جديدة تنسخ هذا الذي قبلها.[3]

وإذا تتبعنا الطقوس التي كانت تمارس داخل معابد الأصنام وما صاحبها من ابتهالات وأدعية وأسجاع وأقوال، مما ورد في كتب التاريخ والسير والأدب والتي احتاج الكاتب العربي قديماً لكتابتها في حقبة مهمة من صدر الإسلام هي حقبة التمهيد للإسلام، لوجدنا أن هذه الطقوس كفيلة بخلق أساطير كثيرة وقصص خرافية، كان يمكن أن تثري الأدب الأسطوري العربي، فدراسة الأقوال المصاحبة للعبادة والطقوس يعدّ ركناً أساسياً في دراسة الأسطورة العربية، لأن الأسطورة ماهي في الواقع سوى ذلك الكلام المنطوق شفوياً أو المكتوب كتابة.

---

1. ابن كثير. **البداية والنهاية.** ص152- 157
- وانظر: **السسيرة الحلبية.** القاهرة: مطبعة الاستقامة . ج1. ص 34
2. **السيرة النبوية.** ابن هشام. ص19- 44
3. خورشيد، فاروق. **أديب الأسطورة عند العرب.** الكويت: عالم المعرفة. مطابع السياسة. 2002، ص41– 44
– وانظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج1 . ص 155

والسؤال الذي يطرح نفسه هل بقيت العبادات القولية الوثنية للعرب، وهل بقيت الأعمال القولية المصاحبة لها، أي هل بقيت الأسطورة العربية الدينية في شكلها الأول، وهل احتفظ تاريخ العرب بها؟

في الواقع أن المصادر العربية لم تهتم بالحفاظ على الأفكار الدينية للعرب، بل على العكس من ذلك عنيت بتدميرها والقضاء عليها في محاولة لطمس الوثنية العربية ونفيها وتهميشها، فالإسلام قد جبّ ما قبله بكل ما فيه، وإنّ ذكر الأصنام وتاريخها وأسمائها في المصادر العربية شيء، وذكر ما حولها من أساطير وما صاحب عبادتها من إبداع قولي نثري وشعري شيء آخر حرص الإسلام على إزالته تماماً، ومع ذلك فإن كتب السير والتاريخ وأحياناً الشعر الجاهلي أبقت بعض الصور من الأعمال القولية، التي صاحبت هزيمة الوثنية العربية واندحارها، وهذه الأقوال التي بقيت تعطي في حد ذاتها دلالات على نوع التصورات العقلية والوجدانية التي صاحبت العبادة الوثنية قبل الإسلام، وإن خلت من تهاويل الأسطورة وشطحاتها في عالم الخيال.[1]

وفي الحقيقة فإن ما يرويه ابن الكلبي في كتابه الأصنام، حول حرص العرب على أصنامهم وتقرّبهم إليها، ومن أنه " كان لأهل كل دار في مكة صنم في دارهم يعبدونه، وإذا أراد أحدهم السفر، كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسّح بالصنم، وكان أول ما يصنع إذا دخل منزله ان يتمسّح به أيضاً ".[2] يتعجب من مدى أهمية هذه الأصنام لدى العرب وقيمتها، والإنسان عندما يسمع عن أصنام العرب وتعددها وكل هذا التقديس لها والتفاني في عبادتها، يعجب من ضياع كثير مما كان حولها وحول عبادتها من تراث قولي ممكن أن يبقي للعرب رصيداً لا بأس به من الأساطير والقصص الدينية.

وليس من المستبعد وجود أساطير للعرب كانت متداولة بينهم تدور حول الآلهة وحول أصل الخلق والكون لكن لم يصلنا أي شيء مكتوب، وقد لا تكون أساطير معقدة ومركبة على شاكلة الأساطير والملاحم المصرية واليونانية والبابلية، نظراً لاختلاف البيئة والظروف المحيطة بالعرب عمن سواهم من الشعوب المذكورة، فالأساطير هي من حاصل المجتمع والظروف المتحكمة به، وقد قال الباحث لامنس وبحق إنّه كان للعرب

---

1. خورشيد، فاروق. **أديب الأسطورة عند العرب.** ص 44- 45
2. ابن الكلبي. **كتاب الأصنام،** ص 33

آلهتهم وتصوراتهم، لكنها لم تدرس حق دراستها ولم يكشف القناع عن كثير من وجوهها ولا سيما في العربية الشمالية.[1]

لذا فمن المفيد دراسة أديان العرب وفلسفتهم الدينية، فهذا الموضوع لم يلق اهتماماً كافياً بين الباحثين، نظراً لقلة النقوش والوثائق المتعلقة بهذا الموضوع ، وكل ما هنالك أسماء ونعوت لبعض الألهة والأصنام مذكورة في المصادر العربية وغير العربية أو في النقوش المكتشفة.[2] بالتالي يصعب تكوين فكرة شاملة وواضحة عن وثنية العرب وفلسفتهم الدينية، مع هذا وإن لم يصل حتى الآن نص واضح، فذلك لا يخول نفي وجود فلسفة دينية أو تصوّر دينيّ يشمل أساطير وأفكاراً وعقائد.

كما أنّ مصطلح الجاهلية، هو اصطلاح مستحدث ظهر بظهور الإسلام، وقد أطلقت "الجاهلية" على حال القوم قبل الإسلام تمييزاً عن الحالة التي صار عليها العرب بعد ظهور الإسلام، وذلك استهجاناً لأمر تلك الأيام وازدراء بجهل أصحابها وللوثنية التي كانوا عليها ولجهلهم بالله واتباعهم الأصنام، كما أن الانطباع العام عن تأريخ العرب قبل الإسلام كان موسوماً بالأسطورة والخرافة، ولعل السبب في ذلك ما جاءت به المصادر الإسلامية التي نظرت إلى الحقبة التاريخية قبل الإسلام نظرة خاصة بسبب تعارض بعض تقاليدها لما جاء به الإسلام، كما كان لرواة المسلمين دور في تقليل شأن أهل الجاهلية بسبب التحول الكبير الذي جاء به الإسلام.

وذكر جواد علي أن لفظة الجاهلية وردت في القرآن الكريم في السور المدنية دون السور المكية، فدل ذلك على أن ظهورها كان بعد هجرة الرسول للمدينة، وأن المسلمين استعملوها منذ ذلك الحين فما بعد.[3] ويفهم من مصطلح الجاهلية معنى السفه والغضب والعصبية وقلة الأناة، وليس الجهل الذي هو ضد العلم، وبهذا المعنى وردت الكلمة في قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم:

ألا لا يَجْهلَنَ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

1. H.Lammens: Islam**: Beleifs and Instituations**. London. 1929. p.18.
2. علي، جواد . **المفصّل**. ج 6. ص 11.
3. **المصدر السابق**. ج1، ص38.

ومعناه: لا يسفه أحد علينا فنسفه عليه فوق سفهه.[1]

ويؤكد المستشرق (جولدتسيهر) أنّ المقصود من كلمة الجاهلية، ليس الجهل الذي هو ضد العلم، إنما السفه والغضب والعصبية وما إلى ذلك من معان نهى عنها الإسلام.[2] وتتضمن لفظة الجاهلية أيضا اتبّاع الأصنام والأوثان والشرك بالله من مفهوم إسلامي.

ومصطلح جاهلية وما يحمله من معان سلبية تدل على الجهل وقلة العلم، قد نجم عنه غبن وإجحاف وقع على العرب الذين عاشوا قبل الإسلام، وقد صاحبهم هذا المصطلح طوال التاريخ ولازمهم، فساهم ذلك في إخراجهم من حركة التطور الحضاري الإنساني، كما ساهم إلى حد ما في التقليل من شأنهم ومكانتهم بين الأمم.

وفيما يتعلق بمعتقدات العرب قبل الإسلام، فمعروف أنّ العرب في الجاهلية كانت على مذاهب وأديان، فمنهم من آمن بالله وبالثواب والعقاب والبعث كالحنفاء أو الحنيفية.

ومنهم من عبد الأصنام والأوثان وهم الأغلبية إذ زعموا أنها تقرّبهم لله زلفى كما أوضح القرآن:{ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}[3] ، وهذا الصنف هم الذين حجّوا إلى الأصنام وقصدوها ونحروا لها ونسكوا لها النسائك وأحلوا لها وحرّموا.[4]

ومنهم من دان باليهودية والنصرانية، ومنهم من كان يعبد الملائكة ويزعمون أنها بنات الله كما أوضح القرآن:{ ويجعلون لله البنات سبحانه وله ما يشتهون.}[5]

ومنهم من توقف فلم يعتقد بشيء فلا حساب ولا بعث إذ قالوا كما ورد في القرآن الكريم:

{ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر}[6]، وكان العرب أحياناً يقولون في ذلك شعراً، يقول شاعر جاهلي:

حياةٌ ثم موتُ ثم بَعْث   حديثُ خُرافةٍ يا أمَّ عَمرو[7]

---

1. الزوزني. عبد الله بن أحمد، **شرح المعلقات السبع**. بيروت: المكتبة العصرية.-2003، ص148.
2. جولد تسيهر، **الوثنية والإسلام**. نقلاً عن جواد علي. **المفصل**. ج1، ص 38.
3. **القرآن الكريم**. سورة الزمر 39
4. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**.. مج2. ص 21
5. سورة النحل. آية- 16
6. سورة الجاثية. آية- 24
7. الحوت، محمود سليم. **الميثيولوجيا عند العرب**. ص 113

أو كما قال ابن هشام في سيرته عن معتقدات العرب: " كانوا قوماً أصحاب شرك، أصحاب أوثان، لا يرون بعثاً كائناً بعد الموت".[1]

ولا غرابة في عدم إيمان العرب بالبعث فقد كان بعضهم يعتقد أن النفس هي الدم، ولذلك سمّوا المرأة نفساء لما يخرج منها من الدم، وأن القتيل عندما يسيل دمه فإن نفسه تسيل لأن النفس هي الدم، وقال تأبط شراً لخاله الشنفرى وقد سأله عن قتيل قتله فقال: " ألجمته عضبا فسالت نفسه سكبا ".[2]

وطائفة منهم تزعم أن النفس تكون في جسم الإنسان على هيئة طائر ويسمونه هام، فإذا هو مات أو قتل لم يزل مطيفاً به متصوراً له في صورة الطائر يصدح على قبره مستوحشاً له، وقد أنشد أحد الشعراء في ذلك:

سلّط الطير والمنون عليهم   فلهم في صدى المقابر هام[3]

وقد أدى ظهور الإسلام إلى بروز مصطلحات جديدة، وموت مصطلحات قديمة كانت من علائم الوثنية، لذلك فمن الدراسات التي يجب أن تنال الرعاية والعناية دراسة المصطلحات والألفاظ الجاهلية ذات المعاني الدينية حسب اللهجات العربية المختلفة، إضافة إلى دراسة أسماء الأصنام والآلهة والأوثان وماهية ألقابها ونعوتها ودلالاتها اللغوية، فذلك يساعد كثيراً على فهم عقلية القوم الدينية ونظرتهم للآلهة.

---

1. ابن هشام. **السيرة النبوية**. ج3، ص 226
2. المسعودي. **مروج الذهب**. مج2 ص 45
3. المصدر السابق

ثانياً: مصادر دراسة أديان العرب قبل الإسلام

تأريخ العرب قبل الإسلام هو أضعف قسم كتبه المؤرخون العرب، وأكثر ما ذكروه عن تاريخ هذه الحقبة أساطير وقصص شعبي، أو أخبار أخذوها من أهل الكتاب.

فلما انتهت هذه الأخبار إلى المستشرقين في القرن التاسع عشر، لم يطمئنوا لهذه الروايات وشكّوا في أكثرها وتناولوها بالنقد، ولم يكتفوا بهذا المروي في الكتب العربية القديمة عن تاريخ الجاهلية، بل رجعوا إلى مصادر وموارد أخرى، ساعدتهم في سد الثغرة وتدوين تاريخ العرب قبل الإسلام بشكل أفضل.

ومن أهم المصادر التي استعان بها المستشرقون لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام ومعرفة أديانهم ما يلي:

1. المصادر الاشورية والبابلية.
2. النقوش والكتابات العربية قبل الإسلام.
3. التوراة والكتب العبرية.
4. الكتب الكلاسيكية: اليونانية واللاتينية والبيزنطية والسريانية.
5. المصادر العربية والإسلامية.

أولاً: المصادر الأشورية والبابلية: تعتبر من المصادر المهمة للتعرف على تاريخ العرب وعلى وثنيتهم القديمة، حيث توجد إشارات قليلة في هذه المصادر عن بعض أصنام العرب وآلهتهم وعن بعض طقوسهم، أفادت في في تأريخ الوثنية العربية.

ثانياً: النقوش والكتابات العربية، يعتبر أهم عمل قام به المستشرقون البحث عن النقوش والكتابات العربية التي دونها عرب ما قبل الإسلام وترجمتها. ولقد قسّموا اللهجات العربية إلى لهجات عربية شمالية وهي: ثمودية وصفوية ولحيانية ولهجات جنوبية أطلقوا عليها اسم المسند وهو الخط اليمني كالمعينية والسبئية والقتبانية والحميرية والحضرمية.

وتعد هذه النقوش في طليعة المصادر لمعرفة معتقدات العرب، فمعارفنا عن أديان العرب قبل الإسلام وعن معتقداتهم الدينية مستمد في الدرجة الأولى من النصوص العربية المنقوشة بلهجاتها المتعددة شمالية كانت أو جنوبية.

وأغلب الكتابات العربية التي عُثر عليها هي في أمور شخصية، كمناسبة بناء معبد، أو إنشاء بيت، أو شفاء من مرض أو تقدمة، أفادت هذه النقوش أكثر من ناحية لغوية لا من ناحية دينية.[1]

وهذه النقوش المكتشفة في العربية الجنوبية أي في اليمن، وفي العربية الشمالية لا سيما في مناطق شمال الحجاز المتاخمة لحدود الشام كمناطق تبوك ودومة الجندل والعلا والحجر وتيماء والبتراء، قد حوت إضافة إلى أسماء أعلام وملوك أسماء آلهة وأصنام، لم يسمع المؤرخون العرب عن الكثير منها، ومن هذه النصوص المكتشفة تمكّن الباحثون من استخراج أسماء آلهة القبائل العربية القديمة ومعرفة المواضع التي كانت تعبد فيها.[2]

وصار المرجع والسند في تكوين صورة عن طبائع الآلهة العربية، هو دراسة وتفسير أسماء الآلهة ونعوتها التي نعتت بها، ويقرّر ديتلف نيلسن أنّ أسماء الآلهة وصفاتها وألقابها المكتشفة في نقوش العربية الجنوبية والشمالية، إضافة لأسماء الأعلام المركبة، تعدّ من أهم المصادر لفهم طبيعة آلهة العرب، وهو يشير إلى أنّ ما تمّ اكتشافه في بلاد العرب من نقوش، وبعد ترجمتها كوّن لدينا فكرة كافية وواضحة عن عالم الآلهة عند العرب، ونجد في هذه النقوش لا سيما الجنوبية منها أسماء آلهة، لا نجد لها موضعاً في نصوص متقدمة، كما نجد اختفاء أسماء آلهة وورود أسماء آلهة جديدة، فهناك اختلاف في أسماء الآله بحسب الزمان والمكان وفي كل هذا دلالة على حدوث تطور في الحياة الدينية عند العرب، وعلى تأثر هذه العقائد بمؤثرات داخلية وخارجية أحدثت هذا التطور.[3]

وحيث تضعف سائر المصادر تبقى هذه الأسماء والنعوت، المرجع الذي يعتمد عليه لفهم طبيعة آلهة العرب وحقيقتها وفهم الحياة الوثنية العربية، ويعود الفضل الأكبر في الكشف عن الكتابات والنقوش العربية لرحلات العلماء الأوروبيين نذكر منهم: بروكهارت الذي زار الحجاز كما كشف عن مدينة البتراء عام 1812، ونذكر أيضاً العالم الإنجليزي تشارز دوتي الذي قام برحلة في في شمال بلاد العرب وكشف عدداً من

---

1. علي، جواد. **المفصل**، ج1. ص42-46 - وانظر: سالم عبد العزيز. **تاريخ العرب في الجاهلية**. ص14.
2. علي، جواد. **المفصل**. ج1. ص46.
- وللاطلاع عل النقوش العربية يمكن العودة إلى الكتابين:

Kitchen. **Documentation for Ancient Arabia**. Liverpool University Press. 1994. V1
Montgomery. **Arabia and the Bible**. University of Bennsylvania Press. Philadelphia. 1934.

3. نيلسن، ديتلف. **تاريخ العرب القديم**. ص 183،185، 187

القبـور النبطيـة فـي الحجـر- مـدائن صـالح- عـام 1875 ونقـل نقوشـها وكتـب مؤلفـه (Travels in Arabia Desert)، إضـافة لـرحلات العـالمين هـوبر وأويـنج اللـذان قامـا بـرحلات فـي شـمال الجزيـرة العربيـة فـي الفتـرة بـين 1876- 1884 وكشـفا عـن كثيـر مـن النقوش العربية الشمالية.[1]

ثالثـاً: التـوراة والكتـب العبريـة، لقـد جـاء ذكـر العـرب فـي مواضـع مـن أسـفار التـوراة، (ارميـا واشـعيا) التـي يعـود أقـدمها إلـى سـنة (700-650 ق.م)، وآخرهـا حتـى عهـد الاسـرة المكابيـة(200-63 ق.م)، وهـي تشـرح علاقـة العـرب بـاليهود، إضـافة إلـى مـا ورد من أخبـار قصـيرة عـن العـرب فـي التلمـود الأورشـليمي والتلمـود البـابلي (400- 500 م) الأول كتبه أحبار فلسطين في طبرية والثاني كتب في العراق.[2]

أمـا مـا ورد فـي كتـب المـؤرخ الرومـاني الشـهير يوسـف فلافيـوس(37-100 م)، لاسـيما فـي كتابيـه: "آثـار اليهـود"، "وحـروب اليهـود"، ففيهمـا معلومـات ثمينـة عـن العـرب أفادتنـا كثيـراً، وفيهمـا أيضـاً أخبـار مفصّـلة عـن العـرب الأنبـاط الـذين عاصـرهم المـؤرخ وعلاقتهم باليهود.

رابعـاً: المصـادر الكلاسـيكية كالكتـب اليونانيـة واللاتينيـة والبيزنطيـة والسـريانية، كانـت رافـداً مسـاعداً فـي تـأريخ عـرب مـا قبـل الإسـلام وفهـم أديـانهم وآلهـتهم، فقـد حـوت أحيانـاً هـذه الكتابـات أسـماء أصـنام وآلهـة عربيـة قديمـة قبـل الإسـلام بعـدة قـرون، وللمـوارد النصـرانية أهميـة كبيـرة فـي معرفـة أديـان العـرب ومعتقـداتهم وعلاقـتهم بالشـعوب الأخـرى، وقـد كتـب أغلبهـا بـاللغتين اليونانيـة والسـريانية، وتحـدث مؤرخـو الكنيسـة عـن أخبـار القبائـل العربيـة كالغساسنة والمناذرة وعلاقتهم بالروم.

ومـن هـذه المـوارد الكلاسـيكية نـذكر: المـؤرخ اليونـاني هيـرودتس 480-425 ق.م، وديـودور الصـقلي (80- 40 ق.م) الـذي تنـاول الحـديث عـن بـلاد العـرب وخاصـة مـا يتصـل بالأنباط.

وسـترابون الجغرافـي اليونـاني (30 م)،الـذي وصـف حملـة القائـد الرومـاني غـالوس علـى الجزيـرة العربيـة، وبطليمـوس الجغرافـي (100-170 م) الـذي تعـرض فـي كتاباتـه

1. درادكة، صالح. **بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام.** عمان: دار شيرين للنشر. 1988، ص 19
2. **المصدر السابق.** ص 47

الجغرافيــة للجزيــرة العربيــة، لكــن هــذه المصــادر لــم تتنــاول الجانــب الــديني بشــكل جيــد إلا نتف قصيرة تعرفنا من بعضها على أسماء بعض الآلهة العربية.

إضــافة للمــؤرخين الســريان الــذين كتبــوا باللغــة الســريانية ومــنهم يوحنــا مــلالا (520م)، ويوحنــا الأفسســي (550 م)، وإســحق الأنطــاكي(400 م)، وشــمعون الأرشــامي فــي القــرن الســادس المــيلادي صــاحب رســائل الشــهداء الحميــريين، التــي تبحــث فــي تعــذيب ذي نــواس لنصــارى نجــران، حيــث يــدّعي هــذا المــؤرخ أنــه حصــل علــى أخبــار نجــران مــن بلاط ملوك الحيرة.

ومؤرخــو الكنيســة اليونــان مثــل أوســيبوس القيصــري (260-340 م) حيــث تضــمن كتابــه إشــارات عــابرة عــن العــرب لاســيما عــن النشــاط المســيحي فــي بــلاد العــرب وبــلاد الشــام، وبروكوبيــوس (500-575 م) وهــو أشــهر كاتــب بيزنطــي عــن تــاريخ بــلاد الشــام، وقــد قــدم لنــا معلومــات قيمــة عــن الغساســنة حلفــاء الــروم، والمــؤرخ مــاركلينوس (320م) فقــد تعــرض فــي كتاباتــه للعــرب قلــيلاً فوصــف عــادات العــرب فــي الحــرب والــزواج والاقتصــاد لكنــه كمعظــم المــؤرخين، لــم يتطــرق إلــى الناحيــة الدينيــة إلا النــزر اليســير.[1] وهنالــك أعمــال لــبعض مــؤرخي الكنيســة أفادتنــا أيضــاً لأنهــا قــدمت لنــا معلومــات عــن عــرب مــا قبــل الإســلام فــي الأمور المتعلقة بالحياة اليومية، وأحياناً الدينية والتاريخية.

خامســاً: المصــادر العربيــة الإســلامية، أمــا آلهــة العــرب وأصــنامهم قبيــل الإســلام وعنــد ظهــوره، فــالقران الكــريم هــو أحــد مصــادرنا فــي ذلــك ففيــه ذكــر لمــا كــان عليــه النــاس لا ســيما أهــل مكــة ويثــرب والحجــاز مــن ديــن وعبــادات، وفيــه أســماء بعــض الأصــنام الكبــرى لأشــهر القبائــل العربيــة كــالعزى والــلات ومنــاة، إضــافة إلــى مــا ورد فــي كتــب الســير والتفاســير والتــراجم والأخبــار ممــا لــه صــلة بهــذا الموضــوع: كســيرة ابــن هشــام، وأخبــار مكــة للأزرقــي، والطبقــات الكبــرى لابــن ســعد، وأنســاب الأشــراف للــبلاذري، وتفســير الطبــري، إضــافة إلــى ما ذكر في كتب المغازي عن هدم الأصنام ككتاب المغازي للواقدي .

أمــا مــا ورد فــي الشــعر الجــاهلي فــلا يســد رمقــاً، فلــم يمــدنا هــذا الشــعر بشــيء هــام عــن الحيــاة الوثنيــة الجاهليــة، ولــم نتعــرف مــن خلالــه علــى المعتقــد الــديني الجــاهلي، مــع أنــه أمــدنا بفــيض مــن معــارف قيّمــة عــن الجاهليــة وأحوالهــا، مــع ذلــك لا يخلــو هــذا الشــعر مــن إشــارات عــابرة

---

1. نولدكة، ثيودور. **أمراء غسان**، ترجمة: قسطنطين زريق. بيروت: المطبعة الكاثولوكية. 1933 ، ص11
- انظر: سالم. عبد العزيز. **تاريخ العرب في الجاهلية.** ص40

يمكـن الاسـتفادة منهـا، حـول أسـماء بعـض الأصـنام ومواقعهـا أحيانـاً، وبعـض الطقـوس المتبعـة، إضـافة إلـى مـا ورد فـي هـذا الشـعر عـن اليهوديـة والنصـرانية وانتشـارهما، ولعـل نـدرة ورود أسـماء الأصـنام فـي الشـعر الجـاهلي، يعـود إلـى أنّ رواة الشـعر وحملتـه فـي الإسـلام، حـذفوا منـه أسـماء الأصـنام وأحلـوا محلهـا اسـم الله، وإلـى هـذا الـرأي ذهـب العـالم ثيـودور نولدكـة، أمّـا فلهـوزن فيـرى أن عـدم ورود أسـماء الأصـنام فـي الشـعر الجـاهلي إلا فـي حـالات قليلـة، كالقسم أو فـي أثنـاء الإشـارة إلـى موضـع عبـادة صـنم، هـو لـيس مـن تغييـر الـرواة المسـلمين وتبـديلهم لأسـماء الأصـنام، وإنمـا سـببه هـو أدب عـرب الجاهليـة وعـادتهم فـي عـدم الإسـراف والإسـفاف فـي ذكـر أسـماء الآلهـة، وذلـك علـى سـبيل التـأدب تجـاه الأربـاب، فاستعاضـوا عـن الصـنم بلفظـة الله والتـي تعنـي عنـدهم مـا تعنيـه كلمـة رب وإلـه، ومن هنا كثر استعمالها في القسم وفي التمنّي أو التشفي.[1]

وأشهر من تحدث عن العرب قبل الإسلام وروى أخبارهم من المؤرخين المسلمين:

- وهـب بـن منبـه: وينسـب إليـه كتـاب: "الملـوك المتوّجـه مـن حميـر وأخبـارهم وأشـعارهم"، وقـد ورد فيـه أخبـار أصـحاب الأخـدود، وقصـة ذي نـواس وتعذيبـه نصـارى نجـران، ولـه أخبـار عـن ملـوك الـيمن ودخـول الأحبـاش إلـى بـلاد الـيمن، وعـن الأقـوام العربيـة البائـدة ، لكـن لا تخلـو كتاباتـه مـن الطـابع الأسـطوري القصصي المتأثر بعضها بقصص التوراة.
- الكلبـي أبـو المنـذر بـن هشـام: لـه فضـل كبيـر فـي دراسـة أديـان العـرب قبـل الإسـلام خاصـة فـي كتابـه "الأصـنام". فأغلـب معارفنـا عـن أصـنام الجاهليـة العربيـة تعـود إليـه، وقـد سـلك منهجـاً جعلـه فـي طليعـة البـاحثين عـن أديـان العـرب، وذلـك برجوعـه الـى الأصـول واعتمـاده المراجـع التاريخيـة، فيبـدو أنـه حصـل علـى الأخبـار مـن كنـائس وأديـرة الحيـرة، حيـث يرجـع لـه الفضـل فـي تـدوين اخبـار الحيـرة وأسـرتها المالكة.[2]
- عبيـد بـن شـرية: صـاحب كتـاب "الملـوك وأخبـار الماضـين" تحـدث فيـه عـن أخبـار ملـوك حميـر، وأسـماء أقـوام عربيـة هلكـوا وسـبب هلاكهـم، وأسـماء بعـض الأنبيـاء كهـود وصـالح ولقمـان، فكـان هـؤلاء أنبيـاء عنـد العـرب وقصصـهم متداولـة بيـنهم وقـد

---

1. علي، جواد. **المفصل**. ج6، ص 114- 115
[2]. درادكة، صالح. **بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام**. ص 42

ذكروا في القرآن وبعض أشعار العرب قبل الإسلام، إضافة لمعلومات جغرافية ذكرها في كتابه عن بعض المواقع مثل: الحجر، وادي القرى، اليمامة.

- كعب الأحبار: تحدث أيضاً عن قصص عرب ما قبل الاسلام وأخبارهم.[1]
- الهمداني (القرن الرابع الهجري) في كتابه "الإكليل": إذ يرجع له الفضل الكبير في معرفة أخبار اليمن، فقد ذكر أنساب حمير وملوكها، كما قام بوصف العاديات والآثار التي شاهدها في اليمن، وقام بترجمة بعض نقوش خط المسند وضمنها في كتابه، وقد استمدّ فيما بعد نشوان بن سعيد الحميري (القرن الخامس الهجري) معظم مصادره عن أخبار اليمن من الهمداني، وأودعها في كتابه "ملوك اليمن وأقيال حمير".
- الأزرقي، وكتابه "أخبار مكة "، حيث أنه أرّخ لأخبار مكة والحجاز وأورد بعض الأخبار الاجتماعية والدينية والسياسية لعرب ما قبل الإسلام.

وهناك عدد من العلماء المسلمين كالأصمعي وأبي عبيدة وغيرهم، وسائر من اشتغل باللغة والأنساب والأدب، كان لهم الفضل في جمع أخبار عرب ما قبل الإسلام وأيامهم أشعارهم، وقد تولدت من شروحهم وكتبهم، ثروة تاريخية قيّمة عن أحوال العرب ومعتقداتهم وأيامهم قبل الإسلام، إضافة لكتب إسلامية أخرى لا يمكن للباحث أن يستغني عنها لأن فيها ذكر لأديان العرب وأصنامهم مثل تفسير الطبري والقرطبي وطبقات ابن سعد ومروج الذهب للمسعودي وغيرها.

لكن على الرغم من أهمية القدماء وكتبهم، فإن المؤلفين العرب لم يتعمقوا تعمقاً كافياً في بحوثهم عن الوثنية العربية، وكل ما كتبوه هو روايات وأخباراً وقصصاً متصلة بالإسلام، ولا سيما عن أحوال الوثنية في الحجاز ومكة وعن القبائل العربية القريبة العهد من الإسلام، كتبوه بطابع ساذج وبسيط، وأحياناً بطابع أسطوري، وكثير من هذه الروايات والقصص كانت متأثرة بروايات أهل الكتاب لا سيما رواية الأنساب.[2]

أمّا أشهر المستشرقين ممن تحدّث عن أديان العرب ومعتقداتهم فنذكر منهم:

فله

1. سالم، عبد العزيز. **تاريخ العرب في الجاهلية.** ص31
2. علي، جواد، **المفصل.** ج1، ص 73

وزن(Welhausen) : في كتابه "بقايا الوثنية العربية" الذي كان من الأوائل الذين كتبوا عن الوثنية العربية، فوصف بعض آلهة العرب وأسمائها وصفاتها وذكر بعض أصنامهم، وقد كتبه باللغة الألمانية.

ديتلف نيلسن (Nilsen): الذي حاول أن يدرس الآلهة العربية القديمة وطبيعتها وصفاتها وأسماءها وألقابها.

ديسو رينيه (Renieh Diso): الذي تحدّث في كتابه "العرب في سورية قبل الإسلام" عن عرب شمال الجزيرة لا سيما عرب الصفاة وذكر أشهر آلهتهم وأصنامهم.

أوليري (O'leary de Lacy): في كتابه "Arabia before Mohammad" تحدث عن حالة العرب الاجتماعية والسياسية والدينية قبل الإسلام.

رودولف كريل (Rodolf Krel): في بحثه "في ديانة العرب قبل الإسلام" الذي تطرّق إلى عبادة النجوم عند العرب، وتحدّث عن أثر اليهودية والنصرانية في بلاد العرب.[1]

ومن الكتاب العرب المحدثين الذين تحدثوا عن هذا الموضوع، جواد علي في الجزء السادس من كتابه "المفصّل في أديان العرب قبل الاسلام"، وداود جرجس في كتابه "أديان العرب قبل الإسلام"، ومحمود سليم الحوت في كتابه: "في طريق المثيولوجيا عند العرب".

أمّا أشهر من ذهب إلى بلاد العرب الشمالية والجنوبية باحثاً عن النقوش والكتابات العربية: فمنهم العالم الفرنسي يوسف هاليفي الذي جمع ما يقارب 686 نقشاً عام 1870، صوّر قسماً وقسم آخر عاد به الى أوروبا وترجم معظمه.

والإنجليزي كوجلان(Cojlen) من عام 1860، الذي تمكن من الحصول على عدد من الألواح المكتوبة بالسبئية من مدينة عمران شمال صنعاء وأفادت هذه الألواح معلومات عن الإله المقة.

و أيضاً العلماء: دوتي وهوبر وأويتنج من القرن التاسع عشر الذين يرجع لهم الفضل الأكبر في الكشف عن النقوش العربية الشمالية.[1]

---

1. جواد علي . **المفصل.** ج1، ص 134- 136.

وإدوارد جلاسر(Glasser Edward): الذي قام برحلات إلى اليمن بين الأعوام 1882- 1894 ورجع بعدد كبير من النصوص والنقوش وصلت إلى حوالي 280 نقشاً وقام بترجمتها، ولقد قام أيضاً الأستاذ ليتمان (Littman) بترجمة العديد من النقوش العربية القديمة وأودعها في كتابه القيّم " النقوش السامية".

والعالم الأمريكي وندل فيليبس(Windel Phillipes) عام 1950، حيث كشف عن كثير من الآثار وبعض النقوش في تمنع عاصمة قتبان، كما كشف عن معبد لإله القمر في مأرب.[2]

ومن العلماء المحدثين المختصين في اللغات العربية القديمة H.Robin, Ryckmans, Stein, A.Beeston.

مع ملاحظة أن كثير من النقوش التي تم جمعها، كانت من بلاد العرب الجنوبية أي اليمن وهي تمثل اللهجات العربية الجنوبية كالسبئية والقتبانية والحميرية والمعينية، أما نقوش اللهجات الشمالية كالثمودية والصفوية واللحيانية والنبطية فكانت أكثر عدداً، لكن معظمها كانت نصوص قصيرة وتتعلق بأمور شخصية إلى حد ما مثل بناء معبد أو تقديم تقدمة نذرية أو شواهد قبور.

ويمكن الاطلاع على كثير من هذه النقوش مع ترجمتها في كتاب ماكدونالد (Macdonald) عن الهوية العربية قبل الإسلام [3]. أما في وسط بلاد العرب في الحجاز ونجد فلم يعثر على شيء ذو قيمة والأمر بحاجة لمزيد من الحفريات والمسوحات.[4]

---

1. سالم، عبد العزيز. **تاريخ العرب في الجاهلية**. ص 49.
2. المصدر السابق.
3. Michael.C.A. Macdonald **.Literacy and Identity in Pre- Islamic Arabia**. Ashgate Variour . UK. . 2009. 49ff
4. الأسد، ناصر الدين. **مصادر الشعر الجاهلي**. ص32.

ثالثاً: اتصال العرب بالأشوريين، وأقدم المصادر التي ذكرت العرب

اتصلّ العرب بغيرهم من الشعوب المجاورة إمّا عن طريق التجارة أو عن طريق القرب والجوار، ومن الشعوب التي اتصلّ بها العرب الآشوريين والبابليين والآراميين، وعلى الرغم من أن حضارات هذه الشعوب ذات أسماء متباينة، لكن على ما يبدو فإن لغتهم كانت في الأصل لغة واحدة، ومع الزمن تفرّعت هذه اللغة إلى عدّة لهجات تبعاً لعوامل جغرافية وتاريخية واجتماعية، فكلهم تجمعهم أواصر متبادلة تبرز في وضوح اللغة والدين والثقافة.

لقد تتبع الباحثون تأريخ كلمة عرب ومعناها، وبحثوا عنها في الكتابات الجاهلية وفي كتابات الآشوريين والآراميين واليونان والفرس واليهود والرومان، فوجدوا أن أقدم نص وردت فيه لفظة عرب، هو نص آشوري من عهد الملك (شلمينصر الثالث) ملك آشور الذي قاد في السنة السادسة من حكمه حملة عسكرية على ملك دمشق الآرامي (هدد عزر) وحليفيه (آخاب) ملك مملكة إسرائيل (السامرة) و (جندب) أحد مشايخ وأمراء العرب ومن والاهم من الآراميين والفينيقيين، فاصطدم الجيشان في موقع – كركر- شمال حماة، ويعود هذا النص إلى سنة 854 ق.م، واليك كلمات شلمنصر الملك كما ترجم من النقش الآشوري:

"كركر عاصمته الملكية أنا خرّبتها، أنا دمرتها، أنا حرقتها بالنار، 1200 مركبة، 1200 فارس.... 2000جندي لهدد عزر صاحب آرام (دمشق)، 1000 جمل لجندب العربي،.... هؤلاء الملوك الاثنا عشر الذين استقدمهم لمعونته برزوا إلى المعركة والقتال، جميعهم تألبوا علي".[1]

وبعد هذا النص أخذ لفظ (عربي) (أريبي) (عريبي) يرد بكثرة في النقوش والوثائق البابلية والآشورية، فقد ورد ذكر العرب في عهد الملك (تغلات بلاسر الثالث 745- 727 ق.م) إذ جاء في النص أن ملكة عربية تدعى شمسي قدمت الجزية لهذا الملك بعد أن قهرها وكانت هذه الملكة تحكم أريبي أي العرب، ويرد في سجلات هذا الملك أنه تلقى الجزية من قبائل عربية عديدة منها تيما وسبأ وخيابي وهي عبارة عن ذهب وفضة وطيوب [2]، وفي نص دوّنه الملك الآشوري (سرجون الثاني 721- 705

1. Daniel, Luckenbill. **Ancient Records of Assyrian and Babylonian**.Chicago 1926. vol. I. p.223

2. Lukenbill. **Ancient Records**. Vol.1.p 279

ق.م) يتبيّن أنه أخضع عرب الشمال وعرب الجنوب السبئيين، فقد قاد حملة حوالي سنة 720 ق.م، وأخضع أقواماً من العرب وقبائل من جملتهم قبائل أباديد وتمودي وهي ثمود الوارد ذكرها في القرآن، وأنه أسر بعض العرب ونقلهم إلى السامرة، وقد تلقى هذا الملك الجزية من الملكة (شمسي) ملكة عريبي أي ملكة العرب، ومن (يثع أمر السبئي)، وكانت الجزية عبارة عن خيل وإبل وأحجار كريمة، ويتبين من أسماء المواضع والقبائل التي ذكرها "سرجون"، أن تلك المعارك كانت قد وقعت في أرضين تقع في الشمال الغربي من جزيرة العرب، وفي المنطقة الواقعة فيما بين خليج العقبة و تيماء والبادية وقد ورد في نص سرجون الثاني جملة (أريبي الساكنين في مشرق الشمس) وذهب الباحثون إلى أنها تعني البادية موقع بلاد العرب.[1]

وفي نص نادر، وهو أقدم نص يرد به إشارة لعبادة العرب للأصنام، وفيه ذكر لأسماء بعض هذه الأصنام، وهو من النصوص المهمة لأنه يؤرّخ لفكر العرب الديني ولعبادة الأصنام، ففي أنباء الانتصارات التي سجلها الملك الآشوري (سنحاريب)، أنه قام في حوالي 680 ق.م بحملة على أعراب البادية التابعين للملكة (تلخونو) ملكة عريبي وكاهنة الإلهة دبلات، وعلى ملك قيدار الملك (حزائيل)، فسارت جيوشه باتجاه (أدماتو) وهي ربما دومة الجندل وتغلب على العرب والقيداريين.[2] (انظر للخارطة 2 في الملاحق).

وفي الحقيقة فهناك عدة مواقع في شمال الجزيرة العربية غنية بالنقوش الأثرية فيها ذكر لمواقع وأسماء قبائل أو ملوك، فهناك ذكر لقبيلة قيدار وسلسلة حكامها من القرن التاسع قبل الميلاد، وأيضاً نقوش باللغة المعينية تذكر قبائل الديدانيين وهي نقوش تعود للمعينيين الذين أنشأوا عدة مستوطنات معينية شمال الجزيرة العربية، وفي تيماء عثر على عدة نقوش قديمة تعود للقرنين السابع والسادس الميلادي، ومنها ما يذكر الإله أيل واسم إله هو رحم أي رحيم وهو على الأرجح صفة ولقب لأيل.[3]

---

1. **Ancient Records**. Vol 2. P. 27
- انظر: De Lacy O'leary.**Arabia before Mohammad.** P.51- 53.

2. جواد، علي. **المفصل**. ج1 ص 580

3. Winnet & Reed. **Ancient Records from North Arabia.** P 103

وفـي التـوراة ذكـر لمجـد قبائـل بنـي قيـدار مـراراً [1] ، فهـم والعـرب يتـاجرون مـع صـور بـالحملان والكبـاش والتيـوس، وهـم أهـل أخبيـة وغـنم وإبـل ويسـكنون فـي العزلـة، وقـد غـزاهم نبوخذنصـر ملـك بابـل(586 ق.م). ويبـدو أن سـلطة قبيلـة قيـدار امتـدّت مـن شـرقي الأردن حتى حدود سيناء، وقد عثر على وعاء فضي نقش عليه بالحروف الآرامية ما يلي:

" قينو ابن جشم ملك قبيلة قيدار ".[2]

وفـي نـص دونـه الملـك الآشـوري (أسـرحدون) 680-668 ق.م، عـن أعمالـه وأعمـال أبيـه (سـنحاريب)، أنّ أبـاه اخضـع (أدومـو) معقـل عريبـي أي معقـل بـلاد العـرب، واسـتولى علـى أصـنامها وحملهـا معـه إلـى عاصـمته نينـوى وأسـر ملكـة عريبـي أي ملكـة العـرب.[3] وفـي أثنـاء وجـود تلـك الأصـنام فـي الأسـر بحسـب الـنص، قـدِم (حزائيـل) إلـى الملـك أسـرحدون ومعـه هـدايا كثيـرة، وتلطـف الملـك الآشـوري علـى (حزائيـل) وسـلّمه الأصـنام الأسيرة وهـي: (عتـر شـمين) وهـو عثتـر السـماء، (ودبـلات) ويبـدو أنّهـا الـلات الـوارد ذكرهـا فـي القـرآن الكـريم:{ أفـرأيتم الـلات والعـزى ومنـاة الثالثـة الأخـرى}[4] والصـنم (نوهيـا) وهـو الصـنم نهـى مـن أصـنام العـرب كمـا سـنرى لاحقـاً، ثـم نقـش الملـك أسـرحدون علـى تلـك الأصنام كتابة تفيد بتفوق آلهة آشور عليها.[5]

وقـد ظـل العـداء مسـتحكماً بـين العـرب والآشـوريين، فنـرى ملكهـم (آشـور بانيبـال) يخـرج بحملـة عسـكرية حـوالي سـنة 648 ق.م لتأديـب الممالـك العربيـة، ويلقـي القـبض علـى زعـيمهم (أب يثـع)، بعـد أن قـام مـع عـدة قبائـل عربيـة بمهاجمـة الحـدود الآشـورية المتصـلة ببادية الشـام، ومـن هـذه الممالـك مملكـة (قيـدار) وملكهـا عـامو لادي، وقبيلـة (نبيتـي) أي النـبط وقبيلـة (عتـر شـمين) أي عثتـر السـماء، وقـد وصـف الملـك الآشـوري موقـف الأعـراب أثنـاء حملاتـه ومطاردتـه لهـم، ومـن هـذا الـنص يتضـح لنـا أن العـرب كـانوا أهـل باديـة وصـحراء، وأن هـذه الباديـة هـي موقـع بلادهـم يقـول الـنص كمـا تـرجم: "فـي رمضـاء الباديـة وقيظهـا... اشـتدت وطـأة الجـوع ولكـي يسـدوا رمقهـم أكلـوا لحـوم صـغارهم، وقـد سـأل أهـل

1.**الكتاب المقدس**. سفر أشعيا 21 عدد 16- 17
2. داود، جريس. **أديان العرب قبل الإسلام**، ص 29
3. جواد علي. **المفصل**. ج1 ص580-581
4. **القرآن الكريم**، سورة النجم. آية: 20
5. D. Luckenbill. **Ancient Records**. Vol 2. P.214

العربيــة بعضــهم: مــا بــال بــلاد العــرب قــد أحــدق بهــا هــذا الشــر المســتطير! فكــان الجــواب: تلــك عاقبة من يخرق وينكث عهد آشور".[1]

ومــن هــذه النصــوص الآشــورية القديمــة يتبــيّن لنــا أن العــرب فــي قــديم الزمــان ومــن القــرن الثــامن قبــل المــيلاد قــد عبــدوا الأصــنام، وأن مــن أســماء الآلهــة الــواردة فــي هــذه النصــوص مــا هــو معــروف لنــا، فالإلــه عثتــر الســماء (الــه جنــوبي) هــو (كوكــب الزهــرة أو كوكــب الصــباح) عنــد العــرب، والــلات: الــوارد ذكرهــا فــي القــرآن الكــريم هــي الإلهــة الأم عنــد العــرب كمــا ســنرى. أمــا الصــنم (نوهيــا) وهــو نهــى مــن أصــنام العــرب المعروفــة وقــد ورد اســم هــذا الصــنم فــي كتــاب الأصــنام للكلبــي باســم نهــم[2] ، وذكــر جــواد علــي فــي المفصــل أن كلمــة (نهى) تعني في الثمودية ما تعنيه لفظة (حكم) في العربية الجنوبية أي حكيم .[3]

وقــد ذكــر رينيــه ديســو فــي كتابــه (العــرب فــي ســوريا قبــل الإســلام) أن هــذه الصــفة (نهــى) وردت فــي مواضــع عديــدة فــي الكتابــات الثموديــة، وهــي تــدل علــى نظــرة القــوم لإلههــم فــي كونه يتصف بالحكمة أي الحكيم.[4]

وفــي النصــوص الآشــورية وردت أســماء ملكــات عربيــات كاســم شمســي وهــو اســم للآلهــة الشــمس ويعتقــد بعــض البــاحثين أنّ الملكــة العربيــة قــديماً كانــت تــؤدي أيضــاً دور الكاهنــة، كمــا مــع الملكــة (تلخونــو) فهــي ملكــة وكاهنــة للإلهــة دبــلات علــى حــد ســواء، هــذا وقــد ورد فــي النصــوص الآشــورية أســماء أمــراء وملــوك عــرب وهــي مــن أقــدم النصــوص التــي ذكــرت العــرب، وكانــت الأســماء المركبــة تظهــر فيهــا اســم الإلــه أو لقبــه ثــم اســم الشــخص أو بــالعكس، وقــد أفــادت هــذه الأســماء المركبــة فــي معرفــة آلهــة العــرب القديمــة وأصــنامهم، والصفات التي كان يطلقها العرب على آلهتهم.

وعلــى أيــة حــال فقــد قصــد الأشــوريون بكلمــة (أريبــي) أرض العــرب، بــداوة وإمــارة مشــيخة كانــت تحكــم فــي الباديــة المتاخمــة للحــدود الآشــورية، كــان حكمهــا يتوســع ويــتقلص تبعــاً للظــروف السياســية وكــان يحكمهــا ملكــة أو أميــر يلقــب نفســه بملــك. وفــي الكتابــات البابليــة

1. حتي، فيليب. **تاريخ العرب مطوّل**. ج1 . ص47.
وانظر: D. Lukenbill. **Ancient Records**. Vol.2. p. 314-313
2. الكلبي، **كتاب الأصنام**. ص 39- 40
3. جواد، علي. **المفصل**. ج6 ص 312
4. ديسو، رينيه. **العرب في سوريا قبل الإسلام**. ترجمة: عبد الحميد الدواخلي. الدار القومية للطباعة والنشر. 1959، ص132.

المتـأخرة وردت جملـة مـاتو أريبـي ومعنـى مـاتو " أرض" فيكـون المعنـى أرض العـرب وبلادهم والمقصود بها البادية التي تحفل بالأعراب.[1]

وصـارت تيمـاء الواقعـة شـمال الحجـاز والـوارد ذكرهـا فـي التـوراة باسـم سـكان أرض تيمـا،[2] قصـراً للملـك البـابلي مـن السـلالة الكلدانيـة نبونيـد (555-538 ق.م)، وقـد بنـى فيهـا قصـره وجعـل منهـا عاصـمته الجديـدة لـه ولابنـه (بـل شصـر). وقـد جـاء فـي النقـوش المسـمارية أن نبونيـد قـام بحملـة عسـكرية وتوجـه نحـو تيمـاء فـي بـلاد العـرب ويقـول الـنص أنّ نبونيـد: " فتـك بـأمير تيمـاء، وأعمـل بـبلاده السـيف، وأفنـاهم جميعـاً، ثـم ابتنـى لنفسـه مسـكناً هناك، وجيش أكاد جعل تلك المدينة زاهرة جعلوها كالقصر في بابل".[3]

وفـي تيمـاء عثـر علـى كتابـة آراميـة منقوشـة علـى حجـر تعـود للقـرن السـادس قبـل المـيلاد، ويبـدو أنهـا ترجـع لعهـد الملـك الكلـداني نبونيـد، وفـي هـذه الكتابـة ورد اسـم صـنم يـدعى (صـلم) أحضـره أحـد الكهنـة إلـى تيمـاء وبنـى لـه معبداً، وفـي الواقـع أنّ كلمـة صـلم هـي كلمـة آراميـة دخلـت الـى العربيـة وهـي تعنـي صـنم أي صـورة أو تمثـال، وقـد مثـل هـذا الصـنم في زي آشوري، وهذا يشير بوضوح إلى تأثر عرب تيماء بعبادة الأشوريين.[4]

ومـن يراجـع الـنص يجـد أن نبونيـد نقـل معـه أقوامـاً إلـى تيمـاء وأسـكنهم هنـاك، ويـرى الـبعض أن مـن جملـة مـن جـاء بهـم إلـى تيمـاء يهـود بابـل وفلسـطين، فربمـا كـان ذلـك أول عهـد لليهـود فـي بـلاد العـرب، فسـكنوا هنـاك منـذ ذلـك الحـين، ولكـن هـذه تبقـى نظريـة ينقصـها الدليل والبرهان.[5]

أمـا الآراميـون فلـم يختلفـوا عـن الآشـوريين فقـد أطلقـوا اسـم بيـت عرابيـة BethArabia علـى أرض العرب وباديتهم في شمال الجزيرة العربية وبلاد نجد والحجاز حتى اليمن.

---

1 . جواد، علي. **المفصل**. ج1، ص17

وللاطلاع على نماذج من الوثـائق والنقـوش الآشـورية والمترجمـة إلـى الانجليزيـة يمكـن مراجعـة كتاب:

Luckenbill.. **Ancient Records of Assyrian and Babylonian**

2 . **الكتاب المقدس**، سفر أشعيا 21، عدد 14

3. P. Dovgherty**: Nabonidous and Belshasser** , (New Haven) 1929. P. 106

4 . داود، جريس.**أديان العرب قبل الإسلام.** ص47.

5 . علي، جواد. **المفصل**، ج1، ص618.

وعلى كل حال فإن الآشوريين والكلدانيين والآراميين كانوا يقصدون بلفظة (عربي) (أربي) الواردة في وثائقهم على اختلاف أشكالها، معنى البدو والبداوة ومشيخة كانت تحكم البادية في أيامهم، وبلادهم بلاد العرب تشمل البادية التي تفصل العراق عن الشام، وهي بادية الشام وسكانها هم العرب.

ويشير جورجي زيدان إلى أنّ لفظ العرب في اللغات (السامية) كان يرادف لفظ البادية وسكانها من البدو، وقد أطلق اسم العرب على جميع القاطنين في جزيرة العرب من بدو وحضر "فاستعملوا لفظ الحضر لأهل المدن، والبدو لأهل البادية، ولم يبقى للفظ العرب من معنى البداوة إلا في مثل ما اصطلح عليه العرف في قوله أعرابي".[1]

وكان النسّابون إذا ذكروا بعض قبائل الحضر المستقرة وبدوها، قالوا: القبيلة الفلانية وأعرابها.[2]

وبهذا المعنى، أي معنى البدو والبداوة والجفاف والفقر وردت اللفظة في اللغة العبرية، ويدل ذلك على أن لفظة عرب في تلك اللغات المتقاربة تعني البدو والبداوة والحياة في البادية والصحراء. ويذكر ولفنسون أن كلمة عرب كانت مستعملة في اللغة العبرية القديمة لتدل على أهل العربة أي الصحراء وهم قبائل الجزيرة العربية، ويشير إلى الجذر المشترك لكلمتي عبري وعربي وهو عبر الذي معناه رحل، وأن كلمة عبري تؤدي المعنى الذي تؤديه كلمة عربي نفسها، أي أن العبرانيين كانوا قبائل رحل تنتقل بالإبل والخيام من مكان لآخر، وكان هذا الاسم يُطلق على بني إسرائيل وعلى غيرهم من القبائل التي كانت في جهات طور سيناء وبادية سورية وفلسطين، كما وردت كلمة عبيرو في وثائق تل العمارنة لتدل على البدو الذين كانوا يهاجمون المدن الفلسطينية.[3]

وإذا رجعنا إلى المواضع التي ذكرت لفظة (عربي) في التوراة فهي بهذا المعنى تماماً، ففي آية في أشيعا أيضا: "وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر تبيتين يا قوافل الديدانيين. هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء."[4]

---

[1]. زيدان، جورجي. **العرب قبل الإسلام**. بيروت: دار مكتبة الحياة. ط2. 1978. ص 36

[2]. الفيومي، إبراهيم محمد. **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**. ص 80

والديدانيين وهم قبيلة ديدان أو ددان وكانوا يقطنون شمال الحجاز وتقع خرائبهم في وادي العلا في مدينة العلا حالياً، وقد كانت ددان مستوطنة معينية سابقاً، وبين الأعوام (160- 110 ق.م) كانت مركزاً لإمارة عربية يحكمها الديدانيون، وقد عثر على كتابة بلهجة عربية شمالية تدل على اسم أحد ملوكها وهي:" قبر كرب أل بن متع أل ملك ددن". أي: قبر كرب أيل بن متع أيل ملك ددان".[1]

ومدّين هذه يقول عنها ياقوت: "إنّها اسم لقبيلة المديانيين وهي مدينة محاذية لتبوك، ، وقد سميّ مدين بهذا الاسم من اسم مدين بن النبي إبراهيم من امرأته قطورة وسكن بها مدين وذريته".[2] (انظر الخارطة 3 في ملحق الخرائط)

والعرب كانوا مولعين بذكر الأنساب كاليهود، فيظهر أن الجغرافي ياقوت الحمويّ كغيره من النسّابة العرب، كان متأثراً برواية الأنساب التوراتية حسب ما وردت في التوراة، فنراه يذكر أنّ مدّين هو ابن إبراهيم كما ورد في التوراة. [3]

وعلى أية حال فإن ما كتب عن أخبار العرب في أسفار التوراة يرجع إلى ما بين القرن السابع تقريباً إلى القرن الثاني قبل الميلاد وهي أخبار متناثرة وقليلة. [4]

وقد ربط اليهود لفظة عرب بإسماعيل بن إبراهيم، فصار إسماعيل جد هؤلاء العرب، فقد ورد في التوراة أن عشيرة إبراهيم انقسمت إلى عشيرتين، عشيرة إسماعيل من جاريته المصرية هاجر، وعشيرة اسحق من زوجته سارة، وقد سكن اسحق وابنه يعقوب في أرض كنعان، أما إسماعيل ابن إبراهيم فقد سكن في برية فاران حسب ما ذكرت التوراة وهي طور سيناء (انظر للخارطة 4 في ملحق الخرائط)، أما أبناء إسماعيل فقد سكنوا في المنطقة الممتدة من سيناء إلى بادية الشام عبر صحراء النقب، فقد ورد في التوراة بهذا الشأن:" فهؤلاء بنو إسماعيل وهذه أسمائهم بديارهم وحصونهم، اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم، وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو آشور.

وصار العرب لدى اليهود هم الإسماعيليين أي أبناء إسماعيل ومن نسله، ويرى جواد علي أن كلمة (عرب) اقتبسها العبرانيون من الآشوريين والبابليين، وهي نصوص يعود

1. داود، جريس. **أديان العرب قبل الإسلام** . ص104.
2. الحموي، ياقوت شهاب الدين بن عبدالله. **معجم البلدان.** بيروت: دار صادر للنشر. 1977، ج5، ص 77
3. **الكتاب المقدس**، سفر تكوين 25. آية: 2- 3
4. علي، جواد. **المفصل**. ج1، ص54.

عهدها إلى ما قبل التوراة، ثم ربطوا بينهم وبين الإسماعيليين أي جدهم إسماعيل بحسب التفسير التوراتي.

وصار اللفظ Arabia مألوفاً عند المؤرخين اليونان والرومان كدلالة عل بلاد العرب، ومنهم سترابون وبطليموس وبلينوس وثيودورس الصقلي ويوسيفوس وغيرهم.

وقد أفرد الرحالة اليوناني سترابون المتوفي حوالي سنة 34 م للعرب فصلاً في كتابه ذكر فيه مدائن العرب وقبائلهم، وذكر حملة قام بها القائد الروماني إيليوس غالوس عام 24-25 ق.م لفتح بلاد العرب، وقد كان سترابون مرافقاً للقائد الروماني في حملته هذه، ولقد فرّق سترابون بين العرب المستقرين والنازلين على حدود سوريا، وبين الأعراب وهم سكان الخيام من البدو، فوصف الأعراب أنهم قبائل ومشيخات، يعتنون بتربية الإبل، كما تحدث عن بلاد العرب السعيدة، -اليمن- ووصف أهلها بالفلاحين والمزارعين وشبههم بفلاحي سورية وذكر أنهم عدة شعوب وهم: أهل سبأ، وأهل معين، وأهل حضرموت، وأهل قتبان.[1]

ووصف المؤرخ اليهودي الروماني يوسيفوس فلافيوس المتوفى سنة 93م في كتابه "آثار اليهود" العرب الأنباط وعلاقتهم باليهود، فقد كان الأنباط على عداء مع اليهود وساندوا أحياناً الرومان ضد اليهود، لذلك نجد أخباراً عن العرب الأنباط في مؤلفات يوسيفوس وفي التلمود أيضا، فلقد جرت معارك بينهم وبين الدولة المكابية اليهودية في فلسطين، وفي عهد هيرودس الكبير عام (38- 4 ق.م) حاربهم هذاالملك وحدّ من مساحة مملكتهم التي كانت تمتد من النقب حتى دمشق، وعن أخبار هيرودس الكبير وأعماله وحروبه فإن كتاب يوسيفوس فلافيوس يعد من المصادر الرئيسية.[2]

كما ذكر العرب المؤرخ الروماني بلينوس المتوفى سنة 79م وقال إنّهم يقيمون في البادية. وخصّص الجغرافي بطليموس المتوفى سنة 140م، جزءاً من كتابه لبلاد العرب، فذكر مدنها وقبائلها ووصف أحوال العرب، ورسم خريطة للعالم أودعها في كتابه تضمنت بلاد العرب أيضاً.[3] (انظر للخارطة 5 في ملحق الخرائط).

---

1. ولفنسون، إسرائيل. **تاريخ اللغات السامية**، ص235 - وانظر: جورجي، زيدان. **العرب قبل الإسلام** . ص26.
Strabo, The Geography, V 16,P 4-18

2. Flavius Josephus**. Jewish Antiquities.** Wordsworth Mcging 2006.

3 . زيدان، جورجي. **العرب قبل الإسلام**، ص26 عن:
Ptolemy. The Geography. V. 6, P. 37 :وانظر - Pliny, Natural History

هـذا وذكـر جـواد علـي أن لفظـة Arabia عنـد اليونـان والرومـان دلـت علـى بـلاد العرب وقد شملت اليمن وبادية الشام إضافة إلى شبه جزيرة سيناء، وصارت كلمة عربي عنـدهم علمـاً علـى الأقـوام المقيمـين فـي تلـك الأرضـين مـن بـدو وحضـر، فلـم يميّـزوا بـين العـرب البـدو أو الحضـر بـل عـدوهم جميعـاً عربـاً، أمـا الفـرس قبـل ذلـك فقـد أطلقـوا علـى العرب وبلادهم اسم طيايا نسبة لقبيلة طيء العربية.[1]

وكـان اليونـانيون والرومـان يـرون فـي العـرب سـكان صـحراء وباديـة لا أهميـة كبيـرة لهـم ولا يمثلـون قيمـة أو قـوة حقيقيـة، وقـد نظـروا إلـى العـرب نظـرة دونيـة نابعـة مـن فكـر هيمنـة وتفـوق وقـوة، نظـرة تقـوم علـى التقليـل مـن شـأنهم وتهميشـهم ووصـفهم بالبـداوة والعزلـة والجهـل، وكـان القصـد أن يـروا فـي العـرب الدونيـة وأنـه لا يمكـن مقـارنتهم باليونـان والرومان المستعمرين، وفي هذه الفكرة تعظيم للذات في مقابل الحط من شأن الآخر.

وعلـى أيـة حـال فـإنّ كـل الوقـائع قبـل ظهـور الإسـلام تشـهد بـأن العـرب لا سـيما عـرب نجـد والحجـاز، لـم يشـكلوا مركـزاً سياسـياً قويـاً ومنافسـاً، فلـيس هنـاك دولـة مركزيـة، بـل كـانوا مجموعة من القبائل المتناثرة أو المتكتلة غير الموحّدة سياسياً وينقسمون إلى:

العرب البدو: وهم أهل الوبر وأهل الترحال والانتجاع أي القبائل المتنقلة.

العـرب الحضـر: أهـل المـدن وهـم القبائـل المسـتقرة فـي حواضـر نجـد والحجـاز كالمدينـة والطائف ومكة وخيبر وتيماء وفدك ودومة الجندل والحجر.

هـذه القبائـل مـن بـدو وحضـر كانـت تعـيش مجـاورة لحضـارات قويـة راسـخة ومسـتقرة، وتمثـل قـوى ثقافيـة وسياسـية لا يسـتهان بهـا، وقـد شـهد بـذلك ابـن خلـدون، عنـدما ذكـر أنّ الشـام والعـراق "بلغـت الحضـارة فيهمـا مبلغـاً، لطـول آمـاد الـدول فيهمـا واسـتحكام الصـنائع، فرسـخت الحضـارة فـيهم واسـتبحرت لاتصـال الدولـة واتصـال الملـك"،[2] ولقـد بـذلت محـاولات داخـل الصـحراء العربيـة نفسـها للتنظـيم السياسـي، كدولـة كنـدة التـي وحّـدت تحـت حكمهـا عـدة قبائـل مـن وسـط الجزيـرة، ولكـن ظـل البـدو فـي جملـتهم أحـراراً مـن مثـل هذه التنظيمات السياسية، فلم يطلبوا وحدة فوق قرابة الدم التي وحّدت بينهم في قبائل.

وقـد قسّـم اليونـان والرومـان بـلاد العـرب Arabia إلـى ثلاثـة أقسـام، وهـو فـي الحقيقـة تقسيم يتفق والحالة السياسية التي كانت سائدة آنئذ:

---

1 . علي، جواد. **المفصل**. ص22.
2. ابن خلدون. **كتاب المقدمة**. ص 319

1. العربية السعيدة: وتشمل بلاد اليمن ونجد.
2. العربيــة الصــحراوية: ويقصــدون بهــا باديــة الشــام أي الباديــة الفاصــلة بــين العــراق والشام.
3. العربيــة الصــخرية: وتشــمل الأرضــين التــي كــان يسـكن فيهــا العــرب الأنبــاط وكانــت خاضعة لنفوذ الروم.[1] (انظر الخارطة 1 في ملحق الخرائط).

أمّـا المؤرخـون العـرب ومـنهم يـاقوت الحمـوي والهمـداني، فقـد اعتبـروا بـلاد العـرب جـزءاً مـن الجزيـرة الكبيـرة المحاطـة بالبحـار مـن ثـلاث جهـات، والتـي تشـمل العـراق وبـلاد الشـام، وأطلقـوا علـى هـذه الجزيـرة اسـم جزيـرة العـرب، وقـد قسـمّوا بـلاد العـرب إلـى خمسـة أقسـام هي:

1. **الحجـاز**: حـدودها مـن تخـوم الشـام إلـى حـدود أرض تهامـة، وسـميّت حجـازاً لأنهـا تحجـز بلاد الشام عن اليمن.
2. **تهامة**: وهي المنطقة الموازية للبحر الأحمر.
3. **اليمن**: وتشمل حضرموت وعمان والشحر وعدن، وما يلي ذلك من التهائم والنجود.
4. **العروض**: ويشمل اليمامة والبحرين وما والاها.
5. **اليمامة**: وقد عدّها ياقوت من نجد وقاعدتها الحجر " مدائن صالح".[2]

ولقـد نقـل يـاقوت عـن أبـي المنـذر هشـام الكلبـي، حـديثاً لابـن عبـاس "أن العـرب سـمّت بلادهـا جزيـرة لإحاطـة الأنهـار والبحـار بهـا مـن جميـع أطرافهـا، و أنهـم أقـاموا بهـذه الجزيـرة وتوالدوا فيها، وهي تقسم إلى خمسة أقسام في أشعار العرب وأخبارهم.[3]

وبناء على هذا التقسيم الجغرافي قسّم النسّابون المسلمون العرب إلى قسمين:

أولاً: **العـرب البائـدة:** وتشـمل القبائـل العربيـة التـي كانـت تعـيش فـي بـلاد العـرب، ثـم بـادت ودرسـت أخبـارهم، ومـنهم عـاد وثمـود الـوارد ذكرهمـا فـي القـرآن الكـريم وفـي أشـعار

---

1 . حتي، فيليب. **تاريخ العرب مطوّل** . ج1، ص56.
2 . الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. **صفة جزيرة العرب**. بغداد: دار الشؤون الثقافية للنشر. ص58-56.
3 . الحموي، ياقوت. **معجم البلدان**. ج2. ص137.

العرب،[1] إضافة إلى قبائل بائدة أخرى ذكرها النسابة العرب كقبائل طسم وجديس وجرهم والعمالقة وأميم.

ومعرفة هذه القبائل البائدة يفيدنا في معرفة القبائل التي كانت تسكن بلاد العرب قديماً، فعن طريق النقوش المكتشفة في بلاد العرب، وبإضافة ما وصل إلينا من المصادر العربية وغير العربية، يمكننا أن نعرف المزيد عن أديان هذه القبائل العربية وآلهتهم وأسماء أصنامهم، وقد ذكر ولفنسون أن للنقوش العربية التي كشفت في شمال الحجاز شأن عظيم وقيمة كبيرة في نظر الباحثين.

ومن القبائل البائدة التي عرفها الكتاب اليونان والرومان قبيلة ثمود باسم (ثموداي)، ولقد ذكرهم الجغرافي بطليموس من القرن الثاني الميلادي، وذكر أن الأماكن التي كانت تستوطنها قبائل ثمود كانت مدينة أمن من جنوب العقبة إلى شمال ينبع بالقرب من المويلح، وأنهم كانوا منتشرين في أعالي الحجاز إلى نواحي خيبر وفدك.[2]

وأول ذكر لهم يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وقد ورد اسمهم كما رأينا في حوليات الملك الآشوري سرجون الثاني(720 ق.م)، ضمن جملة القبائل العربية التي حاربها الآشوريون، وقد قهرهم الملك الأشوري وتنص كتابات مسمارية على أن هذا الملك أجلى البطون الثمودية الثائرة إلى السامرة.[3]

وعُرف الثموديون بالقوة حتى كان الرومان يستأجرون منهم الجنود في حروبهم، وكان آخر ذكر لهم يعود للقرن الخامس الميلادي، إذ ذكر أنّ منهم فرساناً كانوا في جيش الروم.[4] أما البلاذري فقد أشار إلى أن ثمود نزلت مدينة الحجر بين الحجاز والشام وبها أهلكوا.[5] وكل ما جاء في القرآن عن ثمود ليس إلا أخباراً عامة قصدت العبرة الدينية، أما أين كانت تسكن هذه القبائل وفي أي العصور عاشت فلم يذكر القرآن أي شيء عن ذلك. ووردت إشارات عنهم في الشعر الجاهلي تدل على اندثارهم وضياع ملكهم.

وتعد اللهجة الثمودية من اللهجات العربية الشمالية، فلقد اكتشفت نقوش كثيرة في شمال الحجاز، وهي نقوش قصيرة موجزة تتعلق بأمور شخصية، أفادت هذه النقوش في

---

1 . **القرآن الكريم**، سورة النجم. آية: 53.

2 . انظر: ولفنسون، إسرائيل. **تاريخ اللغات السامية**. ص171 - وانظر: O'leary .**Arabia before Mohammad**. P.51.

2. ولفنسون، إسرائيل. ص 173

4 . حتي، فيليب. **تاريخ العرب مطوّل.** ج1، ص39

4. البلاذري. **أنساب الأشراف**. ج1، ص7.

استخراج أسماء بعض الأصنام والآلهة العربية، إضافة لمعرفة جملة من التقاليد في الأحوال الدينية والاجتماعية، وكانت النقوش الثمودية التي كشفت أقرب إلى الأسلوب العربي وإلى أسماء الأعلام المألوفة عند عرب الجاهلية، والقلم الثمودي مشتق من القلم المسند اليمني، ويحتمل أنه جاء إليهم عن طريق القبائل المعينية اليمنية التي استوطنت في الحجاز ما قبل الميلاد والتي نقلت على ما يبدو حضارة اليمن وعبادة الأوثان اليمنية إلى شمال بلاد العرب.[1]

ولاشك أن بطوناً معينية غزت جنوب فلسطين وكونت لها دولة في غزة وحافظت على كيانها إلى عهد الإسكندر الأكبر الذي حاصر غزة ثم دمرها، فرحلت معين إلى منطقة الحجاز وطور سيناء، وربما أن سبب فناء بني معين في شمال الجزيرة بحسب ولفنسون بسبب حروب نشبت بينهم وبين الأنباط أو بينهم وبين بعض القبائل الحجازية،والخلاصة أن معين كانت من أعظم القبائل العربية التي حكمت في بعض البلاد شمالي الجزيرة زمناً طويلا وتركت آثارا كثيرة كشف الكثير منها حديثاً.

والنقوش الشمالية التي اكتشفت في شمال الحجاز، كانت مدوّنة بلغات متشابهة، لكن خطوطها كانت متنوعة وقسّمت إلى: خطوط ثمودية ولحيانية وصفوية، والهدف من الإشارة إليها في هذا البحث هو لمعرفة أنواع النقوش التي تم اكتشافها في العربية الشمالية والتي من خلالها تمكن العلماء من استخراج أسماء الآلهة العربية.

والأنواع الثلاثة من الخطوط متشابهة وكلها متأثرة بالخط المسند اليمني المنقول من الخط الكنعاني على الأرجح، ويميل بعض العلماء إلى القول بأن خطوط شمال بلاد العرب منقولة مباشرة من الخط الآرامي معتمدين في اعتقادهم هذا على ما كان بين الآراميين وهذه القبائل من القرب والجوار.

أما فيما يتعلق بالخط الآرامي فإن الآراميين أخذوا حروف لغتهم من الكنعانيين في حوالي القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد، وبعد ذلك امتدّت اللغة الآرامية وأصبحت اللغة الأكثر شيوعاً في بلاد الشام وشمال بلاد العرب.

---

1. وعند الحديث عن النقوش العربية الشمالية فمن الحري الرجوع والاضطلاع على دراسات , Littman, Beeston Macdonald.

- A. F. L. Beeston**. Studies in the History of Arabia. Pre-Islamic Arabia.** Riyad 1984. Vol II
- M.C.A. Macdonald **.Literacy and Identity in Pre- Islamic Arabia**. Ashgate Variour . UK. 2009.
- Enno Littman**. Semitic Inscriptions.** New York Century. 1904

وكـان هـلاك ثمـود، وهـم قـوم النبـي صـالح بسـبب رجفـة عنيفـة أي زلـزال، بحسـب مـا ورد فـي القـرآن وقـد بـادت ثمـود قبـل ظهـور الإسـلام، والـذي يقـرأ فـي كتـب المـؤرخين العـرب عـن ثمـود يميـل إلـى الاعتقـاد بـأنهم بـادوا قبـل ظهـور الإسـلام بـزمن بعيـد، لكـنّ الواقـع أن جموعـاً مـن الثمـوديين وجـدوا فـي نـواحي العـلا (مـدائن صـالح) شـمالي الحجـاز إلـى عهـد غيـر بعيـد مـن ظهـور الإسـلام. ومـن اللافـت للنظـر أن المـواطن التـي كانـت لليهـود فـي بـلاد الحجــاز هــي بعينهــا التــي ينســبها بطليمــوس للثمــوديين، وكــان مــن أشــهر أصــنام الثمــوديين الصنم رضو، وكانوا أيضاً يستعملون اسم الله في نقوشهم.

أمــا اللحيــانيون، فقـد كــانوا فــي عهـد المـؤرخ الرومــاني بلينــوس فــي القـرن الأول بعـد المــيلاد تحــت ســيطرة الأنبــاط، ويضــيف بلينــوس أن منطقــة العــلا شــمال الحجــاز كانــت عاصمة لبطون لحيان، ولقد عثر فيها على نقوش لحيانية كثيرة.[1]

ويبـدو أن آل لحيـان كـانوا يسـكنون شـمال الحجـاز قبـل أن يسـتوطنه الثموديـون بمـائتي عـام، فــالمواطن التــي ينســبها بطليمــوس للثمــوديين، ينســبها بلينــوس للقبائــل اللحيانيــة كمــا ذكــر ولفنســون، وبلينــوس ســبق بطليمــوس بمئتــين وخمســين ســنة، وقــد بــاد اللحيــانيون قبــل الثمــوديين بــزمن لــيس ببعيـد، ويعتقـد الأسـتاذ ليتمـان أن النقـوش اللحيانيـة تعـود للقـرن الأول والثاني والثالث الميلادي.

ومـن أشـهر أصـنام بنـي لحيـان كمـا ورد فـي نقوشـهم: الـلات وشـيع القـوم ورضـو وجـاد عـوذ ويشع. وقد ورد في أحد نقوشهم:

لبرد بن أصلح بن أبجر وشتى هدر وذبح ف للات سلام. [2]

وكانــت مــن أشــهر مــدنهم الحجـر وهــي العــلا وكــات عاصــمة مملكــة لحيــان، ثــم أن النــبط اســتولوا علــى هــذه المملكــة فــي حــوالي القــرن الأول للمــيلاد وصــارت تحــت ســيطرتهم، كمــا واستولوا على تيماء، وكانتا ضمن حدود دولتهم التي امتدت حتى تخوم دمشق.[3]

كـذلك يحتمـل أن جموعـا لحيانيـة كثـرت وامتـدت بطونهـا إلـى أرض الأنبـاط، فـاختلطوا بهـم، وعظـم تـأثير العـرب فـي النـبط الآراميـين فكـان ذلـك مـن الأسـباب التـي حملـتهم علـى إيجـاد

---

1 .ولفنسون، إسرائيل. ص 172- 173
2.المصدر السابق.. ص 185
3 . داود، جريس. **أديان العرب قبل الإسلام** . ص 103

لأنفسهم مزيجاً من لغة الآراميين والعرب، فلم يكن هذا المزيج مفهوماً عند عرب الحجاز فأطلقوا عليه "رطانة نبطية". وقد ورد ذكر بني لحيان في بيت لحاتم الطائي:

وما زلت أسعى بين نابٍ ودارةٍ بلحيانَ حتى خفتُ أنْ أتنصّرا [1]

وفي سيرة ابن هشام أنّ الرسول قام بغزوة على بني لحيان، وسبى منهم سبياً، فلعل بني لحيان هؤلاء من نسل اللحيانيين، ويذكر ابن الكلبي: "أنّ قبيلة هذيل اتخذوا الصنم سواعاً وكان سدنته بني لحيان"،[2] ويبدو أن بني لحيان تعبّدوا للصنم مناف بدليل وروده بالكتابات اللحيانية، وفي سيرة ابن هشام وأخبار مكة للأزرقي، أخبار عن حوادث ثمود ولحيان.

أما الخطوط الصفوية، فلا يوجد بين العرب قبائل تسمّى القبائل الصفوية، إنما أطلق هذا الاسم على الخطوط التي وجدت في ناحية الصفاة جنوب الشام، وهي نقوش قريبة من نقوش لحيان وثمود.[3]

مع العلم أن أصحاب النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية هم عرب ظهر ذلك من أسمائهم العربية المنقوشة ومن لغتهم ولهجتهم، وكانت اللهجات الشمالية في القرون القريبة من ظهور الإسلام تتمتع بقوة ونفوذ واسع، وكانت تتدفق في جميع نواحي الجزيرة العربية بقوة ونشاط حتى كونت لنفسها أدبا جديداً وشعراً فتيا وهو الشعر العربي، في حين أن اللهجات في بلاد اليمن أخذت تتدهور وتتلاشى حتى كادت تفنى في القرن السادس للميلاد وكان ذلك جراء فقدان بلاد اليمن لحريتها واستقلالها لأنها كانت تئن تحت حكم الأحباش ثم من بعدهم الفرس.

وأما عن قبيلة عاد فورد ذكرهم في القرآن الكريم وهم قوم النبي هود بحسب القرآن، وذكرت أخبارهم في المصادر العربية وفي أشعار العرب:

عادُ عصوْا واستباحوا وعتوْا عمّا نهوا عنه لا سادوا ولا تابوا [4]

---

1 . شيخو، لويس. **النصرانية وآدابها بين عرب ما قبل الإسلام**. بيروت: دار المشرق. ط2. 1986، ص171

2. ابن كثير، **السيرة النبوية**. بيروت: دار المعرفة- 1971،ج3، ص156 - وانظر: الكلبي، **كتاب الأصنام**، ص10.

3. ديسو، رينيه. **العرب في سوريا قبل الإسلام**. ص86.

4. الحميري، نشوان بن سعيد. **ملوك حمير وأقيال اليمن**. القاهرة: المطبعة السلفية. ص 3

هذا ولقد جعل العرب من الشخصية الأسطورية لقمان الحكيم من نسل عاد فقالوا: لقمان بن عاد كان من بقية عاد الأولى أي أنه عمّر كثيراً.

وقد ذكره بعض شعراء العرب في أشعارهم ومنهم أمية بن أبي الصلت،[1] كما ذُكر لقمان الحكيم في القرآن وله سورة باسمه سورة لقمان، وقد وصفه القرآن بهذه الصفة في سورة لقمان: {وقد أتينا لقمان الحكمة}.

ويُروى أن هذه السورة نزلت في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان يخرج تاجراً إلى بلاد فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويُحدّث بها قريشا ويقول لهم إن محمداً يُحدّثكم بحديث عاد وثمود وأساطير الأولين،، وأنا أحدثكم بحديث رستم وأسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديث النضر ويتركون استماع القرآن فنزلت فيه هذه الآيات، وتذكر المصادر أن النضر هو أول من قال عن القرآن عندما سمعه أنه من أساطير الماضين فكان يقول لقريش : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً من محمد فهلم أحدثكم؛ وكان يقول في القرآن: هو أساطير الأولين أي أكاذيب الأولين وفيه نزلت الآية في سورة الأنعام: "حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين".[2] والمقصود من أساطير الأولين هي تلك القصص والأساطير الدينية المروية والمتوارثة في التراث الشفوي العربي، وقسم لا بأس به من هذه القصص كان متأثراً بروايات اليهود الذين عاشوا في بلاد العرب.

وتذكر المصادر أن النضر بن الحارث قتله علي بن أبي طالب، قُتل هو وعقبة بن أبي معيط في يوم واحد بعد أن أمر الرسول بقتلهما، ويُروى أن الرسول لما سمع شعر أخته في رثاء أخيها النضر، قال: " لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه".[3]

وفي المصادر العربية ذكر لمجلة لقمان أو صحيفة لقمان، وفي الواقع أن هذه الصحيفة لا نعلم عنها سوى من المصادر العربية ولا ندري ما هو محتواها . وزعم وهب بن منبّه انه قرأ من حكم لقمان نحواً من عشرة آلاف باب ، وزعم الرواة أن عرب الجاهلية كانت عندهم مجلة لقمان وفيها الحكمة والعلم والأمثلة ، وأن جماعة منهم كانوا قرأوها وامتلكوها ، ذكروا من جملتهم سُوَيْد بن الصامت، وقد رووا أنه كان

1. شيخو، لويس. **شعراء النصرانية**. ص 226
2. ابن هشام. **السيرة النبوية**. ج1. ص191
3. ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج3. ص 143

يقرأها، وأنه أخبر الرسول بها لما قدم عليه وقرأها أمامه فاستحسنها الرسول، وقال له: "أن الذي معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله عليّ".[1] ويبدو أن الناس جمعوا حكمة لقمان وأمثاله والقصص المروي عنه، وربما هذه الصحيفة كانت معتبرة كثيراً عند العرب، فقد حوت أمثالا وحكما وقصصاً نسبوها للقمان، وكانت هذه الحكم متداولة بينهم ومتوارثة من جيل إلى جيل، وهي في الحقيقة تعبير صادق عن التراث الشفوي العربي وما يحتويه من موروث حضاري غني لم يصل منه إلا النزر اليسير، تجد بعضه في أشعار العرب قبل الإسلام، ولشدة حرص العرب على هذه الصحيفة قاموا بتدوينها قبل الإسلام بدليل وجود نسخة منها مع سويد بن الصامت.

وقد ذكر بطليموس قبيلة عاد باسم Oadiate وقال إن مساكنهم في المناطق الشمالية من بلاد العرب قرب منازل ثمود، بينما يذكر ياقوت أن مساكنهم في حضرموت بالأحقاف.[2] بينما يذكر البلاذري أن مساكنهم كانت منتشرة وتمتد ما بين اليمن حتى الشام، [3] وقد كان هلاكهم بحسب القرآن الكريم هبوب رياح عاتية- ريحاً صرصراً دمرت مساكنهم وهذا الأمر كان معروفاً بين العرب وفي أشعارهم وقصصهم.[4]

هذا وقد أرجع المؤرخون المسلمون نسل جميع القبائل البائدة إلى (إرم بن سام بن نوح) متأثرين برواية الأنساب التوراتية، لكن أحياناً مع بعض الاختلافات في الأسماء والترتيب،[5] ولا تتوافر أخبار يوثق بصحتها عن قبائل العرب البائدة المنقرضة، وجل ما في المصادر التاريخية حولها مختلط بالأساطير، ولا يمكن النظر إليه على أنه يمثل حقائق تاريخية ثابتة.

فقبائل طسم وجديس وجرهم وأميم والعمالقة، لم يرد ذكرها في القرآن، بل وردت في كتب المؤرخين المسلمين، وفي أشعار العرب أحياناً، ولم يرد ذكر لهذه القبائل في النقوش المكتشفة حتى الآن، بل قد نجد لهم ذكراً في التوراة كأسماء أشخاص. فقبيلة أميم وردت في التوراة باسم أوميم، وقبيلة طسم جعلوها من نسل (طسم بن إرم بن لاوذ بن

1. ابن هشام. **السيرة النبوية. ج**ج1. ص 210
2. عبد العزيز، سالم. **تاريخ العرب في الجاهلية**، ص74
3. البلاذري. **أنساب الأشراف**. ج1، ص 6
4. **سورة فصلت**، آية: 16.
5. زيدان، جورجي. **العرب قبل الإسلام**. ص84.

سـام) ولعلهـا طوشـيم الـوارد ذكرهـا فـي التـوراة، وقـد ذكـر الـبلاذري أنهـم نزلـوا مـا بـين الـيمن واليمامة.[1]

وقبيلــة جــديس جعلوهــا مــن نســل (جــديس بــن لاوذ إرم بــن ســام) وكانــت مســاكنهم بحســب الـبلاذري فـي اليمامـة مـع طسـم، وقـد توجـه لهـم تبـع ملـك الـيمن وأبـاد القبيلتـين. أمـا قبيلـة جـرهم فجعلوهـا مـن نسـل (جـرهم بـن قحطـان بـن هـود) وهـي عنـدهم قبيلـة قحطانيـة يمنيـة، وذكــروا أن إبــراهيم حمــل إســماعيل وأمــه هــاجر وأســكنهما فــي مكــة بحســب الروايــة الإســلامية، فــي وادي غيــر ذي زرع بحســب تعبيــر القــرآن:{ربنــا إنــي أســكنت مــن ذريتــي بـواد غيـر ذي زرع عنـد بيتـك المحـرّم}[2]، ثـم تـزوج إسـماعيل إمـرأة مـن قبيلـة جـرهم، حيـث أن جـرهم كـان لهـا السـيادة علـى مكـة قبـل أن تصـير السـيادة لقبيلـة خزاعـة اليمنيـة، فصـاهر إسماعيل جرهم وسكن معهم في مكة هو وذريته بحسب روايات المؤرخين المسلمين.[3]

أمــا العمالقــة فجعلــوهم مــن نســل (عمليــق بــن لاوذ بــن ســام بــن نــوح) وقــد ورد ذكــرهم فــي التــوراة ، حيــث كــانوا أول شــعب تصــدى للعبــرانيين حينمــا خرجــوا مــن مصــر متجهــين لفلســطين, وظلــوا يحــاربونهم مــدة طويلــة، وكانــت مســاكنهم بحســب التــوراة فــي أدوم وصـحراء النقـب وشـرقي الأردن وطـور سـيناء، وقـد ذكـر المؤرخـون المسـلمون أن سـكان المدينـة وأعـالي الحجـاز كـانوا قـديماً مـن العمـاليق، فقـد ذكـر الـبلاذري أن العمـاليق نزلـوا فـي يثـرب قبـل أن ينتقلـوا إلـى ناحيـة جنـوب فلسـطين، وذكـر أنهـا إنمـا سـميت يثـرب لاسـم رئـيس لهــم.[4] وربمــا تعنــي المكــان المــريح أي الاســتراحة لانهــا كانــت مســتوطنة تجاريــة معينيــة. (انظر الخارطة 4 في ملحق الخرائط).

وهنــاك بعــض القبائــل البائــدة ورد ذكرهــا فــي المصــادر غيــر العربيــة أو مــن خــلال النقـوش كعـاد وثمـود ولحيـان، أمـا القبائـل البائـدة الأخـرى كطسـم وجـديس وجـرهم وغيرهـا فلم يرد ذكرها إلا في أشعار العرب و في المصادر الإسلامية.

ثانيـاً: العـرب الباقيـة: وهـم بحسـب تقسـيم النسّـابة العـرب نوعـان العـرب العاربـة والعـرب المستعربة.

---

1. البلاذري. **أنساب الأشراف**. ج1، ص 7 - وانظر: **الكتاب المقدس.** سفر تكوين 25، آية: 3
1. **سورة إبراهيم**. الآية 37
3. المسعودي. **مرزج الذهب**. ج1، ص 26
- وانظر: الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله. **أخبار مكة وما جاء فيها من آثار**. ج1، ص 33
4. البلاذري. **أنساب الأشراف.** ج1 ص 6 . - وانظر**: سفر صموئيل الأول**. إصحاح 15، و سفر التكوين 25 آية: 2-8

والعرب العاربة في رأيهم: هم عرب أهل اليمن الذين تسلسلوا من قحطان أو يقشان بن إبراهيم كما ورد في التوراة.[1] أي هم القحطانيون الراسخون في العروبة وموطنهم اليمن ومن هاجر منها من القبائل اليمنية كالأوس والخزرج والغساسنة والمناذرة والأزد وجرهم وغيرهم.

أما العرب المستعربة بحسبهم: فهم العدنانيون من نجديين وحجازيين وعرب الشمال، وجميعهم من سلالة عدنان من نسل إسماعيل ، أي هم بحسب أنساب العرب أبناء إسماعيل من نسل عدنان،[2] وسمّوا المستعربة لأن إسماعيل عندما نزل مكة مع هاجر أمه حسب الرواية الإسلامية، كان يتكلم العبرية أو السريانية في رواية أخرى، فلما صاهر اليمنية من قبيلة جرهم، تعلم اللهجة العربية وصار يتكلمها.[3]

ويشير الأستاذ جواد علي إلى أنّ مثل هذا التقسيم إلى عدنانية ويمينة لم يظهر في القرآن الكريم، ولا حتى في أشعار العرب، بل ظهر متأخراً عندما قام المسلمون بتسجيل الأنساب وتدوينها في الكتب، لا سيما في العصر الأموي مع بروز العصبيات القبلية، والنزاعات حول الخلافة، فكان النسابون هم أنفسهم من أصحاب العصبيات لعدنان أو لليمن.[4] والواقع أنه لا يمكن الركون إلى هذا التقسيم، فإضافة إلى كونه متأثراً برواية الأنساب التوراتية، فإنه يقسّم العرب إلى جنوبيين أي أهل اليمن وإلى شماليين وهم أهل الحجاز، مع أن الصلة التاريخية وصلة النسب كانت قوية بين الجنوب والشمال.

ويلاحظ أن عدداً من القبائل العربية لا سيما تلك الضاربة في الشمال والساكنة على تخوم بلاد الشام والتي تأثرت بلغة الآراميين وحضارتهم قد كتبت بهذه اللغة، كالعرب الأنباط وأهل تدمر، فالبدوي الذي يقيم في إقليم متحضر يفقد غالباً لغته، فإلى هذا الحد يظهر النبطيون والتدمريون وقد أحاطوا باللهجات الإرامية إحاطة تامة، لكن عدّهم علماء النسب واللغة والأخبار من غير العرب بسبب عجمتهم، فجعلوهم من الآراميين وأبعدوهم عن العرب والعروبة لأنهم كانوا يلهجون لهجات عربية كانت تبرز فيها العجمة، حتى اعتقد العلماء العرب أنهم شوّهوا اللغة العربية. [5]

---

1. **الكتاب المقدس**. سفر تكوين 10 آية: 21-26.
2. القرشي، أبو زيد. **جمهرة أنساب العرب**. ص330.
3. فيليب، حتي. **تاريخ العرب**. ص39،
وانظر: سالم، عبد العزيز. **تاريخ العرب في الجاهلية**. ص67 - وانظر: ابن النديم، **كتاب الفهرست**. ص8
4 . علي، جواد. **المفصل**. ج1، ص494.
5. علي، جواد. **المفصل**. ج1، ص33 - وانظر: ديسو، رينيه. **العرب في سوريا قبل الإسلام**. ص21.

وتدل النقوش النبطية المكتشفة على أن الأنباط كانوا من العرب، يتضح ذلك من أسماء أعلامهم وأسماء أصنامهم مثل العزى واللات وشيع القوم، فهم قوم من العرب كانوا يستعملون الكتابة الآرامية في النقوش وسائر شؤون العمران، وقد اختلطوا بعد انهيار دولتهم سنة 106م بالقبائل العربية المختلفة وامتزجوا بها.[1] وعُثر في البتراء عاصمة المملكة النبطية على نقوش تتحدث عن تسلسل ملوك مملكتهم وأحوالهم.[2]

على أن هناك من يرى أن الأنباط كانوا مزيجاً من عناصر آرامية وعربية، ثم تغلب العنصر العربي بالتدريج على العنصر الآرامي ومحاه محواً تاماً، لكن بقيت لغة الحضارة هي اللغة الآرامية.

والنقوش النبطية تشهد بأن هؤلاء القوم عاشوا في البادية السورية، واستطاعوا إقامة دولة قوية من القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً، ومن أسمائهم العربية تبين أنهم ينتمون للعرب فمن أسمائهم: بكر، وحنظل، وعمرو، وأسد، وأوس، وعدي، وأوس الله، وكعب. وقد عثر في صلخد من أعمال حوران على نقش نبطي يعتبر من الكتابات المتأخرة عند النبط، يظهر في هذا النقش تأثيرا عربياً واضحاً لا في الكلمات فقط بل في الأسلوب أيضاً بحسب ولفنسون، ويدل النقش على أن النبط أخذوا يتركون شيئاً فشيئاً اللغة والحضارة الآرامية ويندمجون تدريجياً في اللغة والحضارة العربية، والذي يلفت في النقش أيضا وجود صلة بين إله معين وإله النبط، فالمعينيون الذين ارتبطوا بالنبط هم معينيو الحجاز لا معينيو اليمن. فقد ورد في النقش: "دنه حمنا عبد معيرو بن عقرب بت أسد إلها إله معينو في سنت سبع لهدريانس قيسر" ترجمة النقش: هذا هو مذبح النار الذي صنع معير بن عقرب بيت أسد الإله إله معين في السنة السابعة لهدريانس قيصر.[3]

وما يهمنا من النقوش النبطية، هو دراسة أسماء الأصنام والآلهة العربية التي كان النبط يقدسونها فهذه الأسماء تساعدنا في معرفة رؤية القوم الدينية وفي فهم العلاقة بينهم وبين عرب الحجاز ونجد لاسيما من الناحية الدينية.

وبما أن الأنباط كانوا منتشرين في صحراء سوريا إلى تخوم الشام حتى دمشق، فقد كانوا حلقة الوصل في نقل الحضارة والفكر الديني من هذه المراكز إلى عرب

1. بروكلمان، كارل. **تاريخ الشعوب الإسلامية**. ص21.
2. Kitchen. **Documentation for Ancient Arabia**, Liverpool University Press, 1994. V.1. P 237
3. **تاريخ اللغات السامية**. ص 141

الحجاز، وقد كان الأنباط على اتصال دائم بغيرهم من العرب، مما أثر تأثيراً لا يستهان به في الحضارة العربية الجاهلية، كما اتضح لنا من الخط النبطي وتأثيره في الخط العربي الإسلامي، فالخط العربي يظهر أنه مأخوذ من الخط النبطي.[1]

وأقدم النقوش النبطية نقش الخلصة من النقب بين عبدة وغزة في النقب ويعود لعام 168 ق.م. من عهد (الملك الحارث الاول)، ومن النقوش النبطية المتأخرة التي تعود لأواخر القرن الرابع المتأخرة من عبدة في النقب عثر على كتابة تحمل بركة دوشرا إله النبط،[2] وهذه النقوش دوّنت باللغة الآرامية لتأثرهم بحضارة بلاد الشام، وقد كانت عاصمتهم البتراء (سلع) أي صخرة و بالعبرية סלע و باللاتيني Petra Arabia).

وكما أفادت النقوش النبطية في معرفة أسماء آلهة النبط وأسماء أصنامهم، كذلك أفادتنا النقوش التدمرية في معرفة آلهة أهل تدمر وأصنامهم، وإنّ أقدم نقش تدمري يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد وأحدث نص يعود إلى القرن الثالث بعد الميلاد، واستخدم أهل تدمر كالنبطيين الكتابة الآرامية وتحدثوا بلهجة آرامية، وكانت أسماءهم تشتمل أيضاً على أسماء عربية، وكان الخط التدمري قريب من الخط العبري المربع، ويبدو أن القبائل التدمرية قد امتزجت بالفعل بعرب الحجاز الشماليين، وهناك من يرى أن أهل تدمر هم مزيج من عناصر آرامية وعناصر عربية.[3]

ويذكر رينيه ديسو أن العنصر العربي في تدمر كان مهماً، فلقد أدخلوا فيها عبادة اللات[4] ، ويقول بروكلمان إنّ تدمر التي خلفت دولة الأنباط كانت السيادة فيها للعرب على الرغم من أن أهل تدمر كانوا مزيجاً من عناصر عربية وآرامية. [5] ولقد خاضت تدمر حروباً ناجحة ضد الفرس، مكنّت ملكها أذينة من بسط سلطانه على كل سوريا، ولما توفي أذينة تولت امرأته الزباء (زنوبيا) الحكم سنة (237 م) إلى أن دمّر الإمبراطور الروماني أورليانوس تدمر عام(270 م).

ولأن أهل تدمر كالأنباط كانوا على اتصال دائم ومباشر بالعرب، فقد استطاعوا أن ينقلوا لعرب الحجاز جزءاً من ثقافة بلاد الشام الوثنية وما تبنوه من آلهة كانت معبودة في تدمر، ظهر ذلك في أسماء آلهتهم وألقابها التي عثر عليها في النقوش.

---

1. الأسد، ناصر الدين. **مصادر الشعر الجاهلي**. ص27-29.
2. Negev, A. (1963) **"Nabatean Inscriptions from ‘Avdat"**, *Israel Exploration Journal* 13: 113-124.
3. المصدر السابق. ص 135
4. ديسو، رينيه. **العرب في سوريا قبل الإسلام**. ص122.
5. بروكلمان، كارل. **تاريخ الشعوب الإسلامية**. ص22.

وبعد القضاء على دولة الأنباط ثم بعدها مملكة تدمر انتهى عهد الدول العربية المستقلة في شمال الحجاز، ومن ذلك الحين صار الروم والفرس يستعينون بالعرب في صد غارات البدو على المناطق المتحضرة، فاصطنع الروم الغساسنة في الشام، واصطنع الفرس المناذرة في الحيرة بين القرنين الرابع الى السادس الميلادي. [1]

هاتان الإمارتان العربيتان اللتان كانتا تتاخمان العراق وبلاد الشام، كانتا على اتصال وثيق بالعرب وبالجزيرة العربية، فلذلك كانتا قناتين تسرّب منهما أثر حضارة بلاد الشام والعراق إلى الجزيرة العربية.

وقد استطاعوا في اليمن أن يقيموا عدة دول، وأول دولة كانت دولة معين (1100- 300 ق.م)، ودولة قتبان التي ظهرت بين (400- 300 ق.م)، ودولة حضرموت بين (500- 150 ق.م)، ودولة سبأ (650-150 ق.م)، ودولة حمير السبئية (150-525 م)، وقد عُثر على نقوش جنوبية كثيرة: معينية وحضرمية وسبيئية وقتبانية، عرفت هذه النقوش بخطوط المسند اليمني، وقد أفادتنا هذه النقوش في معرفة أسماء آلهة عرب الجنوب وأصنامهم وطبيعتها، وبذلك تعرفنا بشكل أوضح على رؤية عرب الجنوب الدينية أيضاً وعلاقتها بالرؤية الدينية عند عرب الشمال. [2]

1. بروكلمان، كارل. **تاريخ الشعوب الإسلامية**. ص23.
2. داود، جريس. **أديان العرب قبل الإسلام.** ص 89- 100.

الفصل الثاني: الوثنية العربية قبل الإسلام

أولاً: عبادة العرب للأصنام والأوثان بحسب الرواية الإسلامية

عند تتبع الرواية الإسلامية وحديثها عن الوثنية العربية، يتبين أن عبادة الأصنام كانت دخيلة على العرب، وأنها أتت إليهم من بلاد الشام، ومن هذه الروايات نستنتج أن العرب كانوا على اتصال دائم بمن حولهم، وكان لهذا الاتصال سبل عدة منها التجارة والطرق التجارية العديدة الرابطة بين جزيرة العرب وبلاد الشام مثل طريق تيماء- بصرى الحرير وصولاً إلى دمشق، وإنشاء المدن العربية على الحدود المتاخمة، إضافة إلى الاتصال الثقافي والديني.

ويبدو أن كتب السير والتاريخ الإسلامي بنت رواياتها حول قصة دخول الوثنية بلاد العرب بناء على هذا الاتصال الدائم بين بلاد الشام وجزيرة العرب، فهم يرون أن الوثنية العربية تأثرت بوثنية الشعوب الساكنة في شمال جزيرتهم أي في بلاد الشام، وأن عبادة الأصنام أتت إليهم من هناك، لكن الإسلام لم يبقي على أثر من عبادة الأحجار والأصنام التي سادت أديان العرب.

وتحدثنا الروايات الإسلامية دائماً عن شخص يُدعى عمرو بن لحي الخزاعي، وأنه عندما تغلب على قبيلة جرهم ونفاهم عن مكة، كان أول من تولى وقبيلته خزاعة حجابة البيت وأمر مكة، ويشير المسعوي إلى أن عمُرو هذا عمّر ثلاثة قرون ونيف ومات إلى وقت ليس ببعيد من ظهور الإسلام، كما ينسبون إليه إدخال عبادة الأصنام إلى العرب بعد أن جلبها من الشام، وأنه أول من غير دين إبراهيم التوحيدي ودعا العرب إلى عبادة التماثيل، وأنه اكثر من نصب الأصنام حول الكعبة وغلب العرب على عبادتها.[1]

يقول ابن الكلبي: "إن عمراً بن لحي أول من غير دين إسماعيل وإبراهيم، فنصب الأوثان، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وبحر البحيرة وحمى الحامية، وكان أن مرض مرضاً شديداً، فقيل له: إنّ بالشام من أرض البلقاء حمىً إن أتيتها برأت، فأتاها واستحم بها فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فسألهم ما هذه؟ فقالوا: هذه أصنام نستمطر بها فتمطرنا، ونستنصر بها فتنصرنا، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة ".[2]

وفي رواية ابن هشام أنّ "عمراً بن لحي استقدم الصنم هبل من موآب بأرض البلقاء، وفيها يومئذ العماليق، ونصبه على بئر في جوف الكعبة، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه". [3]

(انظر للخارطة 2 في ملحق الخرائط).

1.المسعودي. **مروج الذهب.** ج1. ص 344

2. ابن الكلبي. **كتاب الأصنام.** ص 8.

3. ابن هشام. **السيرة النبوية**. ج1، ص 79.

- انظر: ابن كثير. **البداية والنهاية**. بيروت: دار الكتب العلمية. ج1 ص173

ورواية الأزرقي تذكر أن "عمراً بن لحي أتى بصنم يقال له هبل من هيت بأرض الجزيرة في العراق، ونصبه على بئر في جوف الكعبة فكانت العرب تستقسم عنده بالأزلام".[1]

ويقول الأزرقي:" لما وليّت خزاعة أمر البيت، وتولاهم عمرو بن لحي،غيّر دين إبراهيم، ونصب الأصنام حول الكعبة، ودعا العرب إلى عبادة التماثيل، وفي ذلك يقول شحنة بن خلف الجرهمي:

يا عمرو، إنك قد أحدثتَ آلِهة **شتى بمكة حول البيتِ أنصابا**

وكان للبيتِ ربٌ واحدٌ أبداً **فقد جعلتَ له في الناسِ أربابا.**[2]

وعلى هذا يكون عمرو بن لحي بحسب الرواية الإسلامية، هو من أفسد الحنيفية ديانة إبراهيم، وجلب الأصنام إلى الكعبة، وما دام لعمرو هذا تلك الأهمية، فهل كان هذا الرجل شخصية تاريخية حقيقية، وفي أي زمن عاش، والجواب عن هذا السؤال يلقي قبساً من نور على أقدمية عبادة الأصنام وانتشارها بين عرب الجاهلية، لكن هذا يظلّ بحسب الرواية الإسلامية، لا بحسب النقوش المكتشفة في بلاد العرب.

فمثلا يذكر المسعودي أنّ عمراً بن لحي قد أتى بصنم من الشام ونصبه في جوف االكعبة في زمن سابور ذي الأكتاف ملك الفرس، الذي هادن بحسب رأيه قسطنطين ملك الروم وباني مدينة القسطنطينية.[3] وليس ببعيد عن ذلك ما يذكره المسعودي من أن ولاية قبيلة خزاعة أمر البيت كان ثلاثمائة سنة، ثم استقام الأمر بعد قبيلة خزاعة لقصي بن كلاب جد قريش، فتولى أمر مكة والكعبة، وأنشأ الرفادة والسقاية وحافظ على أمور الكعبة.[4]

فهذه الروايات تجعل انتشار الأصنام بين العرب عائداً إلى ما بين القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد، لكن ما ورد في النقوش العربية المختلفة، والمصادر غير العربية كاليونانية واللاتينية والسريانية، وفي الوثائق الآشورية والبابلية يرجع انتشار الأصنام بين العرب إلى زمن موغل في القدم، أقدم مما تحدثت عنه الروايات الاسلامية.

وقد ذكرنا كيف أنّ الملك الآشوري" تغلات بلاسر" يذكر انتصاره على دومة الجندل وظفره بملكتها شمسي، إضافة إلى ما ورد في حملة سنحاريب ملك آشور على بلاد العرب، وأسره لأصنام العرب وآلهتهم، وجلبها إلى عاصمته نينوى.

---

1. الأزرقي. **أخبار مكة**. ج1، ص 71.
2. **المصدر السابق.** - وانظر: المسعودي. **مروج الذهب**. ج1. ص 344
3. المسعودي. **مروج الذهب**. ج1. ص 202
4 المصدر السابق. ج1. ص346

وهذه الوثائق الآشورية تعود للقرنين السابع والثامن قبل الميلاد، مما يثبت أن الوثنية العربية هي قديمة وموغلة في القدم، وهناك أيضاً نقوش عربية شمالية وجنوبية تذكر أسماء آلهة عربية يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد.

وقد أدرك ابن الكلبي هذه الحقيقة عندما قال: "إنّ العرب اشتهرت بعبادة الأصنام، وأنه كان في كل دار بمكة صنم يعبدونه ويتمسّحون به".[1]

ويبدو أنّ الوثنية المحلية العربية مرت بمراحل تطور عبر عصور مختلفة، وقد كانت جزءاً من التطور الديني الذي شهدته المنطقة، ولم تتأثر وثنية العرب بوثنية بلاد الشام واليمن فحسب، بل نمت الوثنية العربية وتطورت كمثيلتها في الجوار، فالتطور الديني قد شمل الجميع وبدرجات متفاوتة، وهكذا لم تنغلق الوثنية العربية على نفسها، ولم تكن أيضاً معزولة عن التطور، بل ساهمت في إنشاء وثنيتها بنفسها وفي تطويرها.

هذه الأصنام التي عبدها العرب، بعد أن جاء بها عمرو بن لحي الخزاعي من الشام، بحسب الرواية الإسلامية، كانت عبارة عن مجسدات للآلهة وهي تكون على شكل تماثيل أو صور، كما في الصنم هبل الذي كان على هيئة إنسان مصنوع من عقيق أحمر.[2]

وكلمة صنم في اللغة العربية كما أشرنا جاءت من كلمة صلم بالعبرية والآرامية، وموجودة ايضا بالفنيقيية والاوغاريتية والأكدية وهي بذلك سامية مشتركة وهي تعني التمثال أو الصورة،[3] وهذا أيضا ما أورده ابن الكلبي حول الصنم إذ قال: "فإن كانت تماثيل دعوها الأصنام، وسمّوا طوافهم بها الدوار".[4]

وقد فرّق ابن الكلبي بين الصنم والوثن والنصب، "فما كان معمولا من خشب أو فضة أو ذهب على صورة إنسان فهو صنم، أما إذا كان من حجارة فهو وثن".[5]

وجاء في لسان العرب في مادة صنم أنه ما كان له جسم أو صورة، أما الوثن فهو ما اتخذوه من آلهة فكان من غير صورة، وقد سمّي وثناً لانتصابه وثباته على حالة واحدة، ويقال وثن بالمكان أي أقام به فهو واثن[6]. وهناك من لا يفرّق بينهما بل يجعل الوثن صنماً صغيراً، لكن الغالب في أقوالهم أن الوثن ما ليس له صورة، والصنم ما له صورة وهيئة كالتمثال.

1. ابن الكلبي. **كتاب الأصنام**. ص 33- 32
2. المصدر السابق، ص 28
3. الحوت، سليم. **الميثيولوجيا عند العرب**، ص 37
4. ابن الكلبي، **الأصنام** . ص .33
5. ابن الكلبي. **الأصنام.** ص 53.
6. ابن منظور. **لسان العرب.** (مادة صنم)

وهذه الأصنام والأوثان كانت تقدّم كنذور للآلهة، وهي عادة ترمز للإله، ويتقربون بواسطتها إليه، وقد ذكر الأوثان الأعشى بقوله:

وذا النَّصْبِ المنصوبِ لا تنْسكنَهُ ولا تعبدِ الأوثانَ واللهَ فاعبدا [1]

أما النَّصب فيقول عنه ابن الكلبي: "إنّ من لم يتخّذ صنماً ولا يقدر على بناء بيت له، نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره ثم طاف به، وسموها الأنصاب، وكانوا يذبحون الغنم عند أصنامهم وأنصابهم، ويسمون الذبائح العتائر والمذبح العتر".[2]

وقال الفراء: "كأن النَّصب الآلهة التي كانت تعبد من أحجار، وقال ابن سيده: " الأنصاب حجارة تنصب فيُهلّ عليها ويذبح لغير الله".[3]

أي أنّ الأنصاب كانت تستخدم ضمن الطقوس والشعائر الجاهلية، وهي عبارة عن مسلة عمود حجر مصقول يرمز للإله لاعتقادهم بأن روح الإله تسكن فيه فتراهم يذبحون عندها ويقسمون بها ويطوفون عندها تقرباً للإله.

وقد ذكر الأنصاب المتلمّس وأقسم بها كقوله لعمرو بن الهند ملك الحيرة:

أطرَدتني حَذرَ الهجاءِ ولا واللات والأنصابِ لا تئلُ [4]

ويظهر من قول النابغة الذبياني:

فلا وربُّ الذي قد زرتهُ حَجِجاً وما هريقَ على الأنصابِ من جسدِ

أنّ الجاهليين كانوا يريقون دم الضحية على الأنصاب.[5]

وفي القرآن الكريم ذكر للأصنام والأوثان والأنصاب في عدة مواضع، ويبدو أن هذه الأنصاب وردت في التوراة أيضاً، وبالعبري والآرامي لفظة مصبه والجمع مصبوت، وفي الفنيقية مصبت وفي العربية الجنوبية والعربية نصب وتعني حجر أو عامود أو مسلة، ولعدم وجود صورة للإله كانوا يرمزون إلى الإله بحجر مقدس وهو النّصب وكان يمثل الإله.[6]

ويبدو أن هذه الأحجار المقدسة أو الأنصاب التي كانوا يذبحون عندها، عرفت عند العرب قبل الأصنام والتماثيل التي جاءتهم بحسب الرواية الاسلامية من الشام، فهناك روايات تفيد أن تأليه الأحجار والأنصاب وتقديسها باعتبارها رموزاً للإله، يعود إلى ما قبل عهد عمرو بن لحي

1. **ديوان الأعشى.** بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ص 46.
2. ابن الكلبي. **الأصنام**. ص 33.
3. ابن منظور. **لسان العرب.** مادة (نصب).
4. المصدر السابق.
5. **ديوان النابغة الذبياني**. بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر. ص 35.
6. حتي، فيليب. **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**. ج1، ص 129.

الخزاعي، الذي كما يقولون نشر عبادة الأصنام في بلاد العرب، أي هي نوع من العبادة القديمة ربما تسبق عبادة الأصنام والأوثان.

فابن الكلبي يقول:" لمّا تكاثر أولاد إسماعيل وملأوا مكة وضاقت بهم أرضها ووقعت بينهم الحروب والعداوات، فأخرج بعضهم بعضاً وتفسّحوا في البلاد لالتماس المعاش، والسبب الذي ساقهم إلى عبادة الأوثان والحجارة، أنه كلما ظعن من مكة ظاعن احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للبيت وصبابة بمكة، وحيثما حلوا وضعوه وطافوا به تيمنا بالكعبة، ثم تباعد بهم الزمان فعبدوا ما استحبوا من الأوثان، ونسوا ما كانوا عليه من دين إبراهيم وإسماعيل، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه"، ويقول أيضاً: " فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار ، فنظر إلى أحسنها فاتخذوه رباً، وجعل ثلاث أثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه فإذا نزل منزلاً فعل مثل ذلك". [1]

ومن رواياتهم حول الأحجار قولهم :" كنّا في الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا منادياً ينادي،: يا أهل الرجال ربكم قد هلك فالتمسوا غيره، قال: فخرجنا كل صعب وذلول، فبينا نحن كذلك نطلبه إذا بمنادٍ ينادي: إنّا قد وجدنا ربكم أو شبهه، وإذا حجر فنحرنا عنده الجزور". [2]

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي رجاء العطاري قال:" كنّا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا حثيثة من التراب، وجئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به". [3]

وكأن فكرة تقديس الحجارة عند العرب هي مرحلة سابقة وقديمة، نشأت من حبّهم لمكة، ثم أتى بعدها مرحلة عبادة الأصنام والأوثان. وعلى الرغم من انتشار الأصنام والتماثيل بين العرب، فإن العبادة القديمة المتمثلة بتقديس الأحجار والصخور المصقولة بقيت سائدة بينهم، والدليل على ذك ما ذكره ابن الكلبي من أن بعض أصنام العرب التي عُبدت كانت على هيئة صخرة.

وتقديس الأحجار الطبيعية والمصقولة عادة ظهرت عند العرب، كما ظهرت عند غيرهم من شعوب الجوار لاسيما في بلاد الشام عند الكنعانيين فهي كانت عبادة مشتركة، ففي التوراة "أن يعقوب نصب عموداً في المكان الذي تكلم فيه مع الله، عموداً من حجر، وسكب عليه سكيباً وصبَّ عليه زيتاً، ودعا يعقوب المكان بيت إيل". [4]

---

[1] الكلبي. **الأصنام**. ص 33

[2] الخطيب، محمد. **الدين والأسطورة عند العرب في الجاهلية**. دار علاء الدين للنشر، دمشق، ط1، 2004 ، ص 41

3. ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج2، ص 188

[4] **الكتاب المقدس**. سفر تكوين 35، آية: 14.

ويوجد إلى الآن مثل هذه الأنصاب أو الأعمدة الحجرية في تل أبو شوشة(تل الجزر) في فلسطين، عددها 11 وتؤرخ الى العصر البرونـــزي المتـــأخر ، وهي تنسب إلى الحضارة الكنعانية، فيبدو أن الكنعانيين أيضا قاموا بتقديسها على اعتبارها رموزاً للآلهة، ويحتوي أحد الأنصاب في تل الجزر على حوض حجري مجوف مرتبط بالعمود يستخدم لذبح القربان المقدم للإله، وفي المنحر جوف يتجمع الدم فيه، وهناك مجموعة من تل القدح(تل حاتصور) مؤرخة الى البرونزي المتأخر.

وأيضا وُجدت مثل هذه الأنصاب في تل عراد في النقب، حيث وجد آثار مذبح يعود للقرن الثامن قبل الميلاد، وفيه نصبان حجريان يمثلان إلهين على الغالب، وبقربهما مكان لاغراض التضحية ومذبح حجري لحرق البخور، ومذبح تل عراد يحمل الطابع الكنعاني من حيث وجود غرفة قدس الأقداس حيث يكون تمثال الإله بداخلها وأيضاً وجود الأنصاب، وقد عثر العلماء في الموقع على إحدى القطع الفخارية القديمة منقوش عليها بالأحرف العبرية عبارة: بيت يهوه.[1] وبيت يهوه قد يكون معبد القدس أو معبد عراد حسب وليام ديفر. وعلى الأرجح أن النصبين الحجريين كان أحدهما يمثل الإله يهوا والآخر يمثل الإلهة الأم أشيرة، حيث أن هذه الإلهة كانت مرتبطة بالإله يهوه كما ورد في التوراة، حيث أن يهوه لم يظهر بشكل واضح في الثقافة الكنعانية بل ورد في التوراة كإله إسرائيل.

ويبدو أن هذه الأنصاب أو الكتل الحجرية كانت ترمز لتجسيد الإله ومنها ما كان مكرساً للإلهة الأم ومنها ما كان مكرساً للإله أيل، وقد ذكرت هذه الأنصاب في التوراة كرمز للعبادة الكنعانية، وكانت الشجرة الخضراء أيضاً تقدّس للغاية ذاتها باعتبارها رمزاً لإلهة الخصب والنسل والخضرة، وقد عرفت هذه الأشجار باسم السواري في التوراة، حيث كان الكنعانيون يقدسونها كرمز لإلهة الخصوبة في مذابح على قمم التلال في العراء تُعرف بالمرتفعات ولم تكن مشيدة. [2]

ويبدو أن الفكرة من وراء هذا التقديس هي اعتقادهم أن هذه الأنصاب والأعمدة الحجرية بمثابة المسكن لروح الآلهة كما في فكرة تقديس الشجرة.

[1] Aharoni, Yohanan. **Arad Inscriptions**. University of Virginia: Israel Exploration Society. 1981. P 15 .

[2] **الكتاب المقدس**، سفر ملوك الأول 14، عدد 23
وانظر: المصدر السابق، سفر ملوك الثاني 17، عدد 10

كما وجدت مثل هذه الأنصاب في اليمن، فذكر نيلسن أن الأنصاب الخاصة بالنذور، التي عثر عليها في بلاد العرب الجنوبية وفي نقوش التخليد في العربية الشمالية، حوت الكثير من أسماء الآلهة العربية الوثنية. [1]

وقد عبدت بعض آلهة العرب على شكل حجر مقدس أو صخرة مصقولة كما لدى الكنعانيين، فقد عبد العرب اللات بشكل صخرة مربعة بالطائف، وكانت ثقيف وقريش وجميع العرب تعظمها، كذلك الإله ذو الخلصة كان مروة بيضاء أي صخرة ملساء عليها هيئة كالتاج، وأيضاً عُبد الصنم سعد على شكل صخرة طويلة ملساء، والإلهة مناة كانت حجراً أسودَ تعظمه العرب ولا سيما الأوس والخزرج.[2]

وخلاصة القول عن الأنصاب، إننا يمكن أن نستنتج من هذا كله أن العرب كغيرهم من شعوب الجوار، قاموا بتقديس الأنصاب الحجرية في عبادتهم منذ عصور قديمة، ثم شرعوا بعبادة الأصنام والأوثان والتماثيل، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن الوثنية العربية لم تبق في حالة بدائية، ولم تكن بسيطة وساذجة، لكنها كانت تنمو وترتقي وتتفاعل مع التطور الديني الواقع في الحضارات المجاورة، فحياة العرب الدينية قبل الإسلام عبارة عن مزيج من طابع محلي وتأثير من الجوار، وهذا الطابع في حضارتهم يتجلّى قبل كل شيء في دينهم، فهو نتاج الأثر الذي أحدثته تأثيرات قوية من اليمن وبلاد الشام، كما ولم يمنع انقسام العرب وتفرّقهم إلى عدة قبائل دون النهوض بوثنيتهم وتطويرها ذاتياً، بل استطاعوا أن يستوعبوا كل تطور ديني وأن يتقبلوه بمرونة.

---

[1] نيلسن، ديتلف- **تاريخ العرب القديم.** ص 182.
[2] ابن الكلبي. **كتاب الأصنام.** ص 16، 35، 36.

ثانياً: عبادة أيل إله السماء عند العرب

كانت الأرض بمثابة الأم الكبرى الحقيقية للإنسان والحيوان والنبات ولجميع مظاهر الحياة، وكانت الأرض بحق أكثر مظاهر الكون تجسيداً للأم الكبرى، فهي ترمز إلى الخصب والنتاج والنسل والأمومة، فكان أول عمل فني تشكيلي صاغه الإنسان تماثيل الأم الكبرى، ففي هذه الأشكال يثبت الفنان كل ما له علاقة بالخصب والفيض التلقائي للطبيعة، وكانت التماثيل الأولى التي شكلها الإنسان القديم في سوريا وفلسطين والعراق وهي تعود للألفين الخامس والسادس قبل الميلاد، تمثل الإلهة الأم على شكل امرأة بوضع الحمل ممسكة بثدييها، هذه الأم الكبرى التي تجسّد الأرض عرفت عند السومريين في بداية عصر الكتابة في الألف الثالث ق.م باسم "إنانا"، وأطلق الأكاديون والبابليون عليها اسم "عشتار" وفي سوريا وأرض كنعان عرفت باسم "عشتاروت" و "أشيرة"، وعند العرب والنبط وأهل تدمر عرفت الإلهة الأم باسم "اللات" أو "الإلهة".[1]

وقد اعتقد الإنسان القديم بأن الآلهة كالبشر عبارة عن ذكر وأنثى، فبما أن الإلهة الأم هي الأرض فهناك إله أب، لذا رفع الإنسان رأسه إلى السماء وأدرك أن فيها قوة مطلقة خفية، هذه القوة المطلقة التي توحي بها السماء أطلق عليها الأكاديون اسم أل وصار هذا الإله أيل هو الأب وسيد السماء والإله العالي أل عليون، وقد ظهر اسم أيل الذي وجد بنفس الاسم لدى كل الشعوب السامية في كل الفترات.

ويبدو أنه من لفظة أل اشتق لفظ الجلالة الله، وقد أشار اللغوي ابن منظور إلى تطور لفظة الجلالة الله من أيلاه أو إلاه، فقال:" روى المنذري عن أبي هيثم أنه سأله عن اشتقاق اسم الله تعالى، فقال: كان حقه إلاه، ثم أدخلت الألف واللام تعريفاً فقيل ألإلاه، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالاً لها، فلما تركوا الهمزة حوّلوا كسرتها إلى اللام التي هي لام التعريف، وذهبت الهمزة أصلاً فقالوا ألاه، فحّركوا لام التعريف التي لا تكون إلا ساكنة، ثم التقى لامان متحركان فأدغموا الأولى في الثانية فقالوا الله.. قال أبو الهيثم فالله أصله إيلاه".[2]

وعندما تحول الاسم أيل وصفته (العالي) وتطورت صيغتها على ألسنتهم إلى اسم الله، كان من الطبيعي أن يقترن لفظ الله في تركيب أسمائهم، فمن النقوش الآرامية المكتشفة في الجنوب السوري والمناطق التي عمرها الأنباط، عثر على أسماء كثيرة منها: رام الله، رضى الله، سلم الله، غوث الله، سعد الله، تيم الله، وهب الله، عبد الله، شيع الله، حي الله، زيد الله، جرم الله.

---

[1] كنعان، جورجي. **تاريخ الله**. ص 77

[2] ابن منظور. **لسان العرب**، مادة (إلاه)

ومن النقوش العربية التي جمعها ليتمان في العربية الشمالية، من مناطق الثموديين واللحيانيين والصفويين في العلا وتبوك وتيماء والجوف، تم العثور على أسماء كثيرة مثل: وهب الله، أوس الله، نصر الله، سعد الله، مار الله، جاد الله، عطا الله، علي الله، معن الله، سلم الله.[1]

وفي الحقيقة فإن الإله إيل كان اسماً مشتركاً عند كافة الساميين فهو كبير الآلهة السامية، ومن النقوش الكنعانية القديمة المكتشفة في شمال سوريا نقش كتب بالأبجدية الكنعانية، عُرف هذا النقش بنقش الملك كلمو، وصف فيه إيل بلقب ركب إيل أي مستقره في السماء، وهذا النقش يعود للقرن التاسع ق.م.[2]

وفي آثار معبد بيسان الذي كرّس لعبادة الإله أيل من القرن 14 ق.م، عندما كانت فلسطين تحت السيادة المصرية، عثر على مسلة تحمل الاسم ميكال، وميكال تعني: من مثل أيل، ومع أن المسلة مقدمة من شخص مصري إلا أن الإله ميكال الجالس في المسلة يحمل الطابع السامي الكنعاني.[3]

هذا وقد عرفنا الكثيرمن الأسماء المركبة المقترنة بأيل سواء أسماء ملوك أو أشخاص، سواء في النصوص والنقوش المكتشفة في العراق أو في سوريا أو في فلسطين أو في بلاد العرب جنوباً وشمالاً، وليس من المبالغة أن هذا الاسم هو من أكثر الأسماء وروداً في النقوش وفي أسماء الأعلام السامية، وهذه الأسماء الكثيرة المرتبطة بإيل تفيد في معرفة فكرة المؤمنين عن هذا الإله وتصورهم لماهية طبيعته وصفاته وأفعاله وكينونته ومن هذه الأسماء:

عبد إيل، ملك إيل، عم إيل، جبرائيل (أيل الجبار)، عزرأيل (أيل المساعد)، (أب إيل)، سعد إيل، صلم أيل (صنم أيل تمثال او صورة ال)، حزائيل(أيل يرى أو يقصد)، يشع إيل (أيل ينقذ ويخلص)، أيل شمر (أيل يحفظ) زيد إيل (يزيد أيل)، ود أيل(حب أيل)، غوث إيل، حي أيل، وهب أيل، كبر أيل، جاد أيل (أيل يجود)، أوس أيل (أيل يعطي)، يسمع أيل، نورأيل، عوذ أيل (ينقذ أيل)، (صدق أيل)، عون أيل، (رب أيل)، (أيل تيم)، (أيل أمر).[4]

وورد في النقوش الثمودية مثلاً أسماء مثل (سعد أيل) (وعزر أيل) (وصلم أيل)، أي فعل وفاعل أومضاف ومضاف إليه، لكن الصفة تأتي بعد الاسم الموصوف وليس قبله في اللغات السامية مثلا ال عليون (الاله العالي)، هذا وقد يفيد الاسم في معرفة كيف أنه ومع مرور الوقت يُستغنى

---

1. كنعان، جورج. **تاريخ الله**، ص 309- 310
2. ولفنسون، إسرائيل. **تاريخ اللغات السامية**. ص 64-65
- وانظر: Frank.M.Cross. **Canaanite Myth and Hebrew Epic**.P.10 ,
3. حتي، فيليب. **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**. ج1. ص 132.
- وانظر: Shimon Gibson and Avraham Negev .**Archaeological Encyclopedia of the Holyland**.The Cotinuum Puplishing Group , London, 2001.P. 81- 85
4.. كنعان، جورجي. **تاريخ الله**. ص 305، 306

عن الاسم الحقيقي لأنه مدرك في الأذهان ويستعمل الاسم الآخر، فمثلاً عُبد الإله (صلم أيل) في تيماء في حوالي القرن السادس قبل الميلاد ثم صار صلم اسماً علماً لأيل، وصلم أل اسم مكون من مضاف ومضاف اليه وتعني صورة أو تمثال أيل، ولقد عثر على مسلة في تيماء نُقِش عليها باللغة الآرامية اسم الإله صلم، ويبدو أنّ عبادة صلم "جاءت إلى تيماء من الآراميين سكان سورية، ومنهم انتقلت عبادته إلى العرب".[1] هذا وقد وجدت في النصوص الثمودية أسماء آلهة من بينها اسم صلم، كما وتدل بعض الأسماء المركبة في الكتابات اللحيانية مثل (صلم يهب)على أن الإله صلم كان معبوداً عند اللحيانيين أيضاً.

وفي بلاد العرب يرد الإله أيل بكثرة في أسماء الأعلام المركبة كما في بلاد الشام واليمن باعتباره إلهاً رئيسياً فهو إله الساميين الأكبر المهيمن على الحياة السياسية والدينية، فأيل كان معروفاً ومعبوداً عند الشعوب السامية كافة من كنعانيين وبابليين وآراميين وعرب، سواء في بلاد الشام والعراق أو في البادية العربية فهو إله مشترك بين هذه الشعوب، وفي النسخة الكنعانية الأوغاريتية كان يُطلق على أيل الكنعاني عدة ألقاب منها:

أب الآلهة، أب البشر، خالق الخلائق، [2] الثور، الأب، أيل عليون أي أيل العالي، سيد الرحمة، أبو السنين، الإله العالي، سيد السماء، الأب السماوي.[3] لكن من جهة أيل العربي فلا نملك سوى أسماء الأعلام المركبة التي تساعدنا في التعرف على طبيعته وصفاته وألقابه.

وفي الحقيقة أن صفات الإله أيل وألقابه ظهرت في الأساطير الكنعانية من أوغاريت، وقد نجد جزء منها أيضاً في التوراة، لكن ليس في الكتابات العربية ما يشير إلى ذلك لأن أيل كما أوضحنا يظهر في هذه الكتابات في أسماء الأعلام فقط، إذ لم يعثر على أساطير أو تراتيل عربية دينية كما في بلاد الشام والعراق تفيدنا في معرفة أيل العربي، لكن رغم ذلك يمكن أن نستخرج من أسماء الأعلام الواردة في الكتابات العربية تصورات المتعبدين لهذا الإله ونظرتهم إليه، وبالتالي نأخذ فكرة أفضل عن مزايا هذا الإله وأسماءه المتعددة.

ومن رموز الإله إيل الثور، ومن المكتشفات الأولى التي تم اكتشافها في العراق وبلاد الشام إضافة للتماثيل الأنثوية رمز الإلهة الأم، جماجم الثيران رمز الإله الأب إيل، وهما أول الشواهد على التمثيل الإلهي لرمزي الخصوبة الأنثوية والإخصاب الذكري، وفي فلسطين تم العثور على تماثيل أنثوية صغيرة ترتبط بموضوع المرأة رمز الخصوبة أو الآلهة الأم، كذلك تم

---

1. الفيومي، إبراهيم. **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، ص 65

[2] Frank. M. Cross. **Canaanite Myth and Henrew Epic.** London 1973. P. 13
See: William.F. Albright. **Yahweh and the Gods of Canaan** , University of London 1968 P. 121

[3] سبيتينو، موسكاتي. **تاريخ الحضارات السامية**. ص 272.
وانظر: Thomas. L. Thompson.**The Mythic Past**. Published by Basic Books, 1999, Page 24

العثور على تماثيل صلصالية صغيرة، تمثّل حيوانات ويمثّل بعضها ثوراً ذا قرنين، وهذه التماثيل موغلة في القدم وتعود للألفين الرابع والخامس قبل المبلاد.[1]

ولفظ أيل وإيلي أي إلهي قد ظهر في التوراة، وظهر أيضاً باسم آخر مشتق من أيل هو "إيلوهيم" وهو بصيغة الجمع بهدف تعظيم الجلالة وهنا تظهر الهاء التي هي في الأصل ا ل ه، وهذا في الثقافة التوحيدية، وهذا الاسم الثاني يتكرر في معظم أسفار التوراة، وكان ينظر إليه كإله للسماء، ويظهر أيضاً باسم آخر وهو (يهوه) كإله قومي لليهود، وهذا الاسم الجديد قد ظهر حسب ما ورد في التوراة من أيام النبي موسى، عندما ظهر له الله في مدين قائلاً له :" أنا إله أبيك إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب..وقال الله أيضاً لموسى، هكذا تقول لبني إسرئيل: يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب أرسلني إليكم، هذا اسمي إلى الأبد".[2]

وعند الحديث عن أصنام العرب الواردة في المصادر الإسلامية وفي القرآن نجد أننا أمام عدد كبير من أسماء الأصنام، وتبقى الإشكالية المطروحة هل كثرة أصنام العرب يدل على تعدد الآلهة العربية وكثرتها، أم أن الحديث يدور عن اختلاف في الأسماء بحسب المكان والقبيلة والحي.

وهل ممكن أن الصنم ذاته يكون معبوداً في عدة أماكن وعند عدة قبائل بأسماء مختلفة لكنه يعبر عن نفس الإله، وهذا إلى حد ما يتوافق مع نظرية نيلسن في الثالوث، أم أن الأصنام المتعددة التي عرفها العرب هي تعبيرعن آلهة عديدة ومتنوعة كانت القبائل العربية تعبدها وبالتالي يصدق ابن الكلبي عندما أشار أن لكل حي من أحياء العرب وفي كل منزل كان هناك صنم يُعبد.

ومن أصنام العرب التي ذكرها ابن الكلبي وذكرت أيضا في القرآن والتفاسير من سورة نوح:

{ولا تذَرُنّ ودًا ولا سُواعًا ولا يغوث ويعوقَ ونسرًا، وقد أضلوا كثيراً}.[3]

وقد ذكر الطبرسي في تفسيره لهذه الآية: "كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ونسر على صورة نسر من الطير".[4]

وفي التفسير نجد أننا أمام أسماء أصنام متعددة كل منها له هيئة تختلف عن الأخرى، وكانت تُعبد في أماكن مختلفة ولدى قبائل متعددة، فالصنم يغوث مثلاً تسمّى العرب به (عبد يغوث) وهذا دليل على عبادته، ومن الأسماء المقترنة بيغوث في نقوش الحجاز: أمر يغوث، تيم يغوث، عبد يغوث، واللفظة (يغوث) تعني الغوث والمعونة، وقد عثر في الكتابات العربية في أسماء الأعلام على اسم غوث مرتبط بأيل (غوث أيل) أي معونة أيل، فربما أن هذا الصنم يغوث الوارد في القرآن

---

[1] الشواف، قاسم. **فلسطين التاريخ القديم الحقيقي**. دار الساقي. دمشق، 2008. ص 47، 71

[2] **الكتاب المقدس**، سفر الخروج 3، آية: 6- 16

[3] **القرآن الكريم**، سورة نوح. الآية 21- 23

[4] **تفسير الطبرسي**، للآية 21 من سورة نوح. ج5، ص 364

والمصادر الإسلامية هو للإله أيل، هذا التفسير قد يكون منطقياً وعملياً لأن الاسم غوث وجد في الكتابات العربية مرتبطاً بأيل، وربما قد يكون غريباً أذا اعتبرناه صنماً أخر لإله آخر.

وفي هذا الصنم يغوث يقول الشاعر الجاهلي:

وسارَ بنا يَغوثُ إلى مرادٍ   فناجزناهُمُ قبلَ الصّباح [1]

وهو بيت قيل حول نزاع قام بين قبيلة مراد وقبيلة الكعب بن الحارث على من يمتلك هذا الصنم، وقد ذكر هذا الإله أيضا في النقوش الثمودية باسم (يغث) .

والأصنام الخمسة التي ذكرها القرآن الكريم قال عنها ابن الكلبي إنّها من جملة الأصنام التي فرّقها عمرو بن لحي الخزاعي على العرب ليعبدوها بعد أن جلبها من بلاد الشام، وأضاف أن قبيلة مَذحِج اتخذوا الصنم يغوث، فعبدته مذحج ومن والاها باليمن، وأما الصنم نسر فذكر ابن الكلبي أن قبيلة حمير اتخذوا نسراً، فعبد بأرض يقال لها بلخع. [2]

وقد حفظت لنا النقوش العربية أسماء عدد لا بأس به من الأصنام، كانوا يتقربون إليها بالنذور والقرابين، ومن بين هذه الأسماء أسماء يجب اعتبارها نعوتاً للآلهة، التصقت بها حتى صارت في منزلة الأسماء، وهذه النعوت أفادت كثيراً في معرفة طبيعة تلك الآلهة ورأي المؤمنين بها.

وفي طليعة هذه الأسماء في اليمن اسم الإله (ود) المدوّن في نصوص المسند، والمذكور في النقوش اللحيانية والثمودية، وود هو اسم بمعنى حب،[3] وقد كان الإله (ود) إله معين الأكبر، وقد عُدّ إلههم القومي، ويعدّ أحد الثالوث الفلكي المقدس لشعب معين المكوّن من (ود، نكرح، عثتر) فود القمر، ونكرح الشمس، وعثتر كوكب الزهرة. [4]

وقد ورد اسم ود في كتابة ثمودية جاء فيها: "بدين ود أمت" أي على دين ود أموت، كما ونجد في نقش لحياني الاسم (عبد ود) أي كاهن ود.

وورد في نص قتباني جملة "بت ودم" أي بيت ود والمقصود معبد ود. [5]

فتكون عبادة هذا الإله قد انتشرت في بلاد العرب من أعالي الحجاز حتى العربية الجنوبية، وذلك ما قبل الميلاد وبعده حتى ظهور الإسلام.

---

[1] ابن الكلبي. **الأصنام**. ص 10. - وانظر: كنعان، جورجي. **تاريخ الله.** ص 224
[2] علي، جواد. **المفصل**. ج6. ص 334.
[3] **نيلسن، ديتلف.** ص 209.
[4] الجرو، أسمهان. **دراسات في التاريخ الحضاري لليمن**. بيروت: دار الكتاب الحديث، 2003، ص 133
[5] علي، جواد. **المفصّل**، ج6، 294
وانظر: جمعه، محمود. **النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والساميين**. القاهرة: مطبعة السعادة. ص 125.

وقد اقترن اسم ود مع اسم إيل، فكان (ود إيل) فيكون المعنى حب أيل وهو اسم مركب من مضاف ومضاف إليه، ولا يمكن اعتبار لفظة ود أيل اسم مركب لإلهين هما ود وأيل، حيث أن كثير من الأسماء المركبة ارتبطت بالإله أيل في إشارة إلى الصفات والرموز التي ابتكرها الإنسان كي يعبر عن طبيعة هذا الإله وجوهره، فالحديث لا يدور عن لفظ مركب لإلهين بل اسم مركب من ود أيل ليدل على حب أيل. [1]

ومتى ورد اسم ود في نص قصد به أيل، وفي نصوص المسند وصف (ود) بالأب فجاء (ودم أبم) أي ود الأب، وقد عثر في الكتابات العربية على أسماء مركبة ومنها (أب أيل) لتدل على أن لفظة أب من أسماء أيل وهذا يتوافق مع ما جاءت به الأسطورة الأوغاريتية من وصف إيل بأب الآلهة وأب البشر، لذلك كان هناك رؤية مشتركة بين الساميين كافة لطبيعة هذا الإله ومزاياه.

وقد ورد في النقوش العربية الجنوبية والشمالية اسم الإله (كهل)، (كهلن) في المسند، والنون في المسند في نهاية الكلمة هي أل التعريف، والاسم (كهلن) أي الكهل والمقصود بها القديم والأزلي فورد (كهل أيل) أي أيل القديم. [2]

ومن الأسماء الواردة في نصوص المسند والكتابات الشمالية (رحم) أي رحيم و(رب أيل رحيم) و(حلم) أي حليم، و(سمع) أي سميع و(أب حمى) أي الأب الحامي لأبنائه، (وأب شفق) أي المشفق، (وأب شعر) و(أب رضو) أي الراضي و(أيل فخر) و(أيل تعلى) أي أيل تعالى وهي بمفهومنا الله تعالى، وأمثال ذلك من ألفاظ تعبّر عن أمور معنوية، وقد جرت بين الناس مجرى الأسماء، وعلى هذه الأسماء يمكن الاعتماد في فهم طبيعة آلهة العرب.[3]

وقد ذكر جواد علي أن من الألقاب التي أطلقتها النصوص العربية الشمالية ولا سيما الثمودية على هذا الإله لقب (عم) وهي بمعنى الأب، و(سمع) السميع (ورم) أي العظيم والكبير، (وأبتر) من المعنى المفهوم أي الذي ليس له ولد. فقد جاء في نقش ثمودي (هـ أل هـ هـ أبتر) أي الله الأبتر الذي لا ولد له. وجاء في نقش أخر (هـ آل هـ أبتر بك سر لن) أي يا إلهنا الأبتر بك سررنا. [4] وفي النقوش القتبانية ورد ذكر لصنم باسم (حوكم) أي الحاكم أو الحكيم.[5]

---

[1] علي، جواد. **المفصل.** ج6. ص 294.
[2] نيلسن، ديتلف. **تاريخ العرب القديم**. ص 208.
[3] علي، جواد**. المفصل**. ج6. ص 178.
[4] **المصدر السابق.** ج6 ص 294
[5] الجرو، اسمهان. **دراسات في التاريخ الحضاري لليمن.** ص 1

ويظهر في النقوش الاسم (هـ ع ر ف) أي العارف، فالهاء في النقوش العربية الشمالية كالثمودية والصفوية هي أل التعريف، وورد في نص ثمودي: (بك ري نور تمت حيت) أي بك رأينا النور وتمت الحياة.[1]

وأيضاً الاسم (حصي) أي أحصى، وهي في عربيتنا بمعنى أحاط بكل شيء، وأيضاً (عوذ أيل) أي الملجأ الذي يُعاذ به، وب (ذا هرق) أي الذي تراق عنده الدماء. [2]

وكثيرة هي الألفاظ التي تصف هذا الإله بأنه المبارك والمعين والحامي والعادل والملك والصادق (صدق) والحكيم (حكم)، وهي صفات وردت في القرآن على أنها من أسماء الله الحسنى

وفي اللهجات العربية الشمالية نجد لفظة (أيل)، وفي الآرامية نجد لفظة أيل وأحياناً لفظة إله وهي نفس الكلمة المعروفة عندنا وهي الله، وفي فلسطين ولبنان نجد الاسم إيل بمعنى السيد والرب وهو يقابل لفظة إله عند العرب. [3]

وتقدّم النصوص الصفوية لأول مرة الدليل القاطع على أن الله كان إلهاً عبده عرب الشمال قبل مجيء الإسلام بخمسة قرون، فجاء اللفظ بهذا الشكل(هـ ل هـ) أي الله.

وقد جاء في نقش صفوي:

" لسنّى بن سنّى عثر على آثار عمه وانتجع فيا الله الأكبر امنح السلام لمن سار وساعده". [4]

ومن النقوش الصفوية التي جمعها ليتمان، إضافة لنقوش جمعها جوسين من الأرض التي عمرها الأنباط، وجدوا نداءات موجهة لله منها: يالله السلام، يالله ساعدني على المضي، ياإلهي أنجدني، يالله امنحني الرحمة والطمأنينة، يالله الأمن والفرج. [5]

وقد اعتقد بعض الكتّاب بوجود عدد كبير من الآلهة عند العرب، فمحمد الجارم مثلاً في كتابه "أديان العرب في الجاهلية" نقلاً عن ابن الكلبي يذكر أنه كان للقبيلة أكثر من صنم وكان منها عند الكعبة الكثير، وأنه ليس في الاستطاعة حصر أسماء أصنامهم في الجاهلية فكثرتها يتجاوز العد، وهو يعتمد في هذا على ما سبقه من كتب السير والأدب والتفاسير. [6]

وفي الحقيقة أن الروايات المدونة في المصادر العربية الإسلامية عن أصنام العرب وعبادتهم، قد تكون سبباً في اعتقاد الكثيرين بكثرة الآلهة وتعددها عند العرب، ويمكن الرد على ذلك بالقول: هل من الضروري أن يكون عند كل رجل أو في كل منزل صنم معبود يخالف في

---

[1] علي، جواد. **المفصل.** ج6. ص 179.
[2] الجرو، أسمهان. **التاريخ الحضاري لليمن.** ص 137
[3] نيلسن، ديتلف. **تاريخ العرب القديم.** ص 213.
[4] ديسو، رينيه. **العرب في سوريا قبل الإسلام،** ص 132-134.
[5] كنعان، جورجي. **تاريخ الله،** ص 292
[6] الجارم، محمد نعمان. **أديان العرب في الجاهلية.** مصر: مطبعة السعادة. ط1، 1923، ص 155

كنهه ومميزاته صنم الرجل الآخر أو المنزل الآخر؟ ألا يجوز أن يكون للحي أو للقبيلة إله واحد كالعزى أو هبل مثلاً يُعبد وتجرى له الطقوس، ثم تكون هناك أسماء وألقاب ورموز أخرى للإله نفسه عند هذا وذاك من الأفراد والقبائل؟

ومن الأسماء الواردة أيضاً في النصوص والنقوش الاسم(يشع) والذي أشرنا إليه سابقاً، والاسم شيّع القوم أي الذي يرافق القوم ويراقبهم ويحرسهم، والاسم جاد، والاسم عوذ وأحياناً يظهر الاسم مركباً جاد عوذ، والاسم رحم أي رحيم، فقد جاء في نقش صفوي أورده ديسو: "والنقمة، يارحم السلامة له". [1] أو كما ورد في نقش آخر أورده وينيت (أيل رحم) أي الرب أيل رحيم. [2]

والاسم جاد يظهر كثيراً في النصوص سواء في بلاد الشام أو في بلاد العرب لاسيما في النصوص الشمالية كالثمودية والصفوية، وقد اقترن اسم جاد بأسماء أماكن وأشخاص ، واسم جاد في العبرية يعني الحظ والمصير، وهو كذلك في الفينيقية والحضرية والنبطية والتدمرية والسريانية، ويكون المعنى من الاسم(جاد أيل) أي حظوة أيل.

هذا ولقد اقترن اسم جاد بأسماء الآلهة ، فورد: جاد أيل، جاد بعل، جاد اللات، وجاد هدد في أحد النقوش الثمودية، وذكر ديسو الاسم (جاد ثيوس) حسب ما ورد في بعض نصوص حوران المتأثرة بالثقافة الهلنستية، وثيوس تعني إله باليونانية، فيكون المعنى الإله المعطي، وفي النصوص الصفوية ورد اسم جاد، كما ورد أيضاً في هذه النصوص الاسم جاد عوذ، فقد جاء في النقش: "لمعن بن حنى بن ملك قضى الصيف هنا وتتبع العدو، فيا اللات الجزاء ويا جاد عوذ السلام". كما جاء أيضا: " بدر وسعدأيل بن وترو محب ل جاد سلام عليك". [3]

ويعتقد الأستاذ ديسو أن عوذ هو اسم قبيلة صفوية معتمداًعلى ترجمة يونانية، فيكون الإله جاد بذلك إلهاً لقبيلة عوذ بحسب رأيه، لكن المرجّح عندي أنّ جاد عوذ هو اسم مركب يدل على لقب من ألقاب إيل وطبيعته، بدليل ورود هذا الاسم (عوذ) كصفة أو فعل في النصوص المكتشفة في العربية الشمالية وفي جنوب ووسط سورية، فقد أتى بصيغة مركبة: عوذ أيل أو أيل عوذ، وأحياناً يظهر الاسم عوذ لوحده كما في بعض النصوص الثمودية، فيظن المرء أن الحديث يدور عن اسم لإله آخر، لكنه في الواقع أمام الإله نفسه، لأن اللقب مع مرور الوقت تحولت إلى اسم. [4]

---

[1] رينيه، ديسو. **العرب في سورية قبل الإسلام** ، ص 144

[2] Winnet & Reed. **Ancient Records from North Arabia.** P 103

[3] رينيه، ديسو. **العرب في سورية قبل الإسلام.** ص 140، 141

[4] كنعان، جورجي. **تاريخ الله**، ص 192 - وانظر: علي، جواد. **المفصّل**. ج6 ص 334

ويذكر ديسو أن كلمة جاد كلمة عربية قديمة، ويشير إلى أن الأوساط السورية قد تأثرت تأثراً كبيراً بالنفوذ العربي، وجاد في العربية الشمالية تعني الكرم والجود وهي بعيدة عن المعنى العبري، فاشتهرت هذه الكلمة بينهم لتدل على اسم الإله، ودليل ذلك ما نقله المؤرخ الكنسي يعقوب السروجي (القرن السادس للميلاد) إذ ذكر الاسم جاد لات، وهي بلا شك تعني جاد اللات أي الإلهة اللات المانحة والمعطية .[1]

أما الاسم شيّع القوم فقد ورد ذكر هذا الإله كما يقول الأستاذ ليتمان في النصوص الصفوية وفي نص نبطي يعود لسنة 96 م، وقد جاء في هذا النص الذي هو عبارة عن تقدمة للإله شيع القوم من رجل اسمه عبيدو ما يلي: "هذان الهيكلان قد أقامهما عبيدو بن غنمو بن سعد اللات النبطي من قبيلة دحوالذي كان فارساً، في جبذت وفي معسكر عان، لشيّع القوم الإله الطيب المجازي، الذي لايشرب الخمر لسلامته وسلام".[2]

ويبدو أن الإله شيع القوم كان يُعبد في العصر الروماني في الصفا وجنوب حوران في القرن الأول الميلادي، وكان بمثابة الإله القومي للصفويين، ويبدو أن الأوساط النبطية التي كانت متصلة بالصفويين قد عرفت هذا الإله، ويظهر من هذا النقش النبطي الذي أوردناه أن قوماً من العرب الأنباط كان مذهبهم يدعو إلى عدم معاقرة الخمر، بدليل أن شيّع القوم كانوا ينظرون إليه بأنه الإله الذي لا يشرب الخمر(دى لا شتا حمر) بالتالي يحرم الخمر على مؤمنيه، فيبدو أن عادة تحريم الخمر عادة تعود لأصول قديمة.[3]

ومن النقوش الصفوية التي جمعها ليتمان ، نقف على نداءات كثيرة موجهة لهذا الإله منها :
(يا شيّع القوم امنحني السعادة)، (يا شيّع القوم امنحني الطمانينة)، [4] ويظهر في الثمودية باسم (شيع هقم)، ومن اسمه يمكن أن نستدل على طبيعته فهو يرافق القوم في الترحال ويحرسهم، وكلمة شيع القوم هي كلمة عربية مركبة من كلمتين هما: القوم بمعنى الرهط أو الجماعة، وشيّع التي يشتق منها كلمة الشيعة بمعنى الأنصار، والمعنى المراد من شيّع القوم هو الإله الذي يرافق القوم ويقودهم ويحرسهم أي يشيعهم بنظره، فيقال: شيّع قوم الله بالسلام أي: صحبه بالسلام، وبحسب الأستاذ ليتمان أن اللفظ شيع القوم يدل على معنى خرج ليودعهم لأنه إله القوافل، وأن شيع القوم مركب من كلمتين شيع آرامية والقوم عربية فيكون معنى شيع القوم معين الأمة، لكن شيع هي كلمة عربية كما أوضحنا وليست آرامية، وقد اعتبر ولفنسون أن الإله شيع القوم هو لقب لأيل وأنه من

[1] ديسو، رينيه. **العرب في سورية قبل الإسلام.** ص 140
[2] المصدر السابق. ص 145
[3] المصدر السابق. ص 145، 147
[4] كنعان، جورجي. **تاريخ الله،** ص 292

الأصنام الآرامية التي انتقلت من النبط والتدمريين إلى العرب، وأنه يدل على إيل وتفسيره شيع إل قوم أي معونة أيل تقوم.[1] لكنها ترد في الثمودية (شيع هقم)، والسؤال هنا يبقى مطروحاً عن شيع القوم هل هو إله آخر من الآلهة العربية أم أنه لقب من ألقاب أيل.

الصنم ود: ذكر الصنم ود أيضاً في القرآن الكريم ضمن أصنام العرب، وقد تسمّى بعض الجاهليين باسم عبد ود، وذكر ياقوت الحموي أن قريشًا كانت تتعبد لصنم اسمه (ود) ويقولون له (أد).[2]

وذكر ابن الكلبي أن الصنم (ود) من الأصنام التي فرّقها عمرو بن لحي على القبائل العربية، بعد جلبها من الشام حسب المصادر الإسلامية، فدانت العرب لهذه الأصنام وعبدتها، والمفارقة أن ود اله جنوبي معيني الأصل فكيف أحضره عمر بن لحي من الشام. وقد أجابت دعوة عمرو هذه قبيلة كلب من قضاعة، فاتخذوا الصنم (ود) وأقروه بدومة الجندل.[3]

وقد ذهب المفسرون في تفسيرهم للأصنام الواردة في القرآن كل مذهب، فقالوا إنّ وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين فماتوا، وإنّ أحدهم قام وعمل خمسة أصنام على صورهم، فعبدها العرب، وهذا التفسير الساذج ناجم عن عدم إدراكهم لطبيعة الإله (ود).

أما هيئة الصنم ود، فقد ذكر ابن الكلبي: "أنه كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال قد دُبِرَ عليه حلتان متزر بحلة مرتد بأخرى، عليه سيف قد تقلده، وقد تنكب قوساً، وبين يديه حربة فيها لواء، ووفضة فيها نبل". [4]

ومن هذه الأصنام التي كانت على هيئة رجل، تمثال هبل الذي كان منصوباً في جوف الكعبة، ويذكر ابن الكلبي أنّ الصنم هبل " كان على صورة إنسان من عقيق أحمر، مكسور اليد اليمنى، أدركته قريش، فجعلوا له يداً من ذهب، وكان أول من نصبه بحسب ابن الكلبي خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وكان يقال له "هبل خزيمة" وكان من أعظم أصنام قريش".[5]

وكانوا يستقسمون عنده بالأزلام أي القداح في أمورهم، وكانوا يدعونه الإله الأعظم والأكبر، وقد ذكر ابن هشام نقلاً عن ابن اسحق أن" الصنم هبل كان على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدي للكعبة، وكان عنده سبعة قداح يضرب بها، مكتوب في أولها "صريح" وفي الآخر "مُلصق"، ويذكر ابن هشام أنه:"إن خرج لهم القدح نعم في أمر عملوا به،

---

[1] ولفنسون، إسرائيل. ص 187

[2] الحموي، ياقوت. **معجم البلدان**. ج5. ص 366.

[3] الكلبي. **كتاب الأصنام.** ص 10.

[4] **كتاب الأصنام.** ص 56 .

[5] الكلبي. **الأصنام.** ص 40 - وانظر:الأزرقي. **أخبار مكة**. ج1. ص 87.

وإن خرج لهم لا أقروه عامهم ذلك، حتى يأتوا به مرة أخرى إلى هبل .. ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح".[1]

وذهب زيدان أن هبل من آلهة الكنعانيين وهو يرى أدلة على ذلك منها ما ورد في سيرة ابن هشام أنّ الصنم هبل جاء به عمرو بن لحي من مؤاب بأرض البلقاء مع سائر الأصنام، ولعل في هذا التقليد شيئاً من الحقيقة التي تقرّ بأنّ الصنم العربي (صلم) أصله من بلاد الشام، وفي رأيه أن لفظ هبل غير مشتق من لفظ عربي بل هو لفظ كنعاني وأصله هبعل وهو اسم أكبر أصنام الفينيقيين والكنعانيين ومن جاورهم،[2] وهبل هو صنم قريش الرئيس وإلههم القومي وهو إله الكعبة أيضاً ويعتبره فنسنك (Wensink) إله مكة والكعبة.[3]

وكان للكنعانيين عشرات الآلهة يميزون منها اثنين هما عشتاروت وبعل، فيبدو أن هذا الصنم حمل إلى مكة باسمه الأصلي بعل وصار العرب يطلقون عليه لفظ هبل، أو ربما كان المؤابيون في أرض البلقاء يلفظونها بإهمال العين فنقلها عمرو بن لحي كما سمعها، وقد كانت أساليب عبادة العرب لهبل تشبه أساليب عبادة الكنعانيين والمؤابيين بعل، حيث كانوا ينصبون هذا الصنم في المرتفعات أو فوق سقوف البيوت ويذبحون له الذبائح ويحرقون له المحرقات، وكما أن بعل أكبر أصنام بلاد الشام فهبل كان أكبر أصنام العرب وكانوا ينصبونه فوق جوف الكعبة.

وكان هبل أيضاً من أصنام الأنباط، إذ ذكر بالاسم (هبلو) وهي بالإرمية تعني الروح. أما في تدمر فكان الإله بيل القريب من لفظ هبل هو إله تدمر الأكبر، فهو راعي مدينة تدمر وشعبها، وهو سيد السموات ذات النجوم.[4]

وفيما يتعلق بلفظة الله فإنها عرفت ليس فقط في النقوش الصفوية بل أيضاً في بعض النقوش اللحيانية، ففي النقوش اللحيانية ظهرت لفظة (هـ إل هـ) أي الإله، وفي النقوش الصفوية ظهرت لفظة (هـ ل هـ) أي الله، وهي نقوش تعود للقرنين الأول والثاني بعد الميلاد.[5]

ويذكر ديسو أنّ الحجر الأسود عند الجاهليين كان يرمز إلى الله، وهذا قريب مما ذكرناه لفكرة النصب وأنه يرمز للإله، ويرى فلهوزن أن الصنم هبل كان يمثل الله وهو حارس مكة.[6]

---

[1] ابن هشام. **السيرة النبوية**، ج1. ص 152،
[2] زيدان، جورجي. **أنساب العرب القدماء.** ص 71- 73
[3] Encyclopidia of Islam. Vol.2 p. 591
[4] موسكاتي، سبيتينو. **تاريخ الحضارات السامية**. ص 364
[5] **المفصّل، المصدر السابق.** 330 - وانظر: نيلسن، ديتلف. **تاريخ العرب القديم**. ص 216.
[6] ديسو، رينيه. **العرب في سوريا قبل الإسلام.** ص 133. - وانظر: مقالة فلهوزن بالألمانية عن **الوثنية العربية**.

وعلى أية حال فهناك العديد الأصنام التي ذكرها ابن الكلبي، ومن هذه الأصنام الصنم (سعد) أي المسعد أو الذي يُفرح، وقد ذكر هذا الصنم في نقوش صفوية، وهو أيضا من أصنام تدمر إذ جاء اسمه (سعدو)، فاستعملت مثلا (تبارك اسمه) (رب العالمين) (المحسن) (المسعد).[1]

ويبدو أن الصنم سعد هو لقب من ألقاب الإله وأن لفظة سعد تدل على طبيعة هذا الإله كما وردت في بعض النقوش، فربما الحديث يدور عن صنم آخر من أصنام العرب المتعددة وبالتالي الحديث عن إله آخر غير معروف لنا، أو ربما الصنم سعد هو لقب من ألقاب الإله المركزي أيل، حيث كانت كل قبيلة تطلق أسماء مختلفة على هذا الإله بحسب اعتقاد كل قبيلة عنه، فمثلاً ذكر ابن الكلبي أن الصنم سعد كان لمالك وملكان من بني كنانه، وكان صخرة طويلة بساحل جدة، وأقبل رجل منهم بإبل له ليقفها عنده ليتبرك بذلك منه، فلما أدناها منه نفرت منه (لأنه كان يراق عليه الدماء)، فتناول حجراً ورماه وقال "لا بارك الله فيك إلهاً، أنفرت علي إبلي" وأنشد:

أتينا إلى سعدٍ ليجْمعَ شَملنا فشتتنا سعدٌ، فلا نحنُ مِنْ سَعدِ

وهلْ سعدٌ إلا صخرةٌ بتنوفةٍ من الأرض، لا يُدعَى لِغيٍّ ولا رُشدِ[2]

وفي شتمه للصنم سعد (لا بارك الله فيك إلهاً) يمكن أن نستدل على أنّ الوثنية العربية القريبة العهد من الإسلام، أصبحت في حالة ضعف وانحلال، وأنّ الإيمان بالتوحيد بدأ يتعاظم على حساب التعدد والتثليث، ولعل بعض العرب قد رأى في كثرة الأصنام وانتشارها دلالة على تعدد الآلهة، وإن كانت بعض هذه الأصنام ترمز في الغالب لنفس الإله، فلم يستسيغوا هذا التعدد بل ضعفت عبادة الأصنام في نفوس البعض، وربما كان ذلك مقدمة لخروج بعضهم مثل الحنفاء عن العادات والتقاليد وتركيزهم على عبادة الإله الواحد.

وفي الحديث عن أصنام العرب، وأنّ منها ما كان على هيئة رجل، نذكر الصنم (الفَلس)، فقد ذكر ابن الكلبي أنّ قبيلة طيّيء كان لها صنم يقال له الفَلس، ويصفه بأنه كان كتمثال إنسان، وكان أنفاً أحمر في وسط جبلهم، وكانوا يعبدونه ويهدون إليه، ويعترون عنده عتائرهم، ولا يأتيه خائف إلا أمن عنده، ولم تخفر حوبته، وكان سدنته بني بولان.[3]

والفلس هو (هـ فلس) كما في النقوش اللحيانية، وقد تعبدوا له مع أصنام أخرى فهو معبود إذن من عدة قبائل.[4]

---

[1] علي، جواد. **المفصل**. ج6. ص 329.
[2] الكلبي. **الأصنام**. ص 37.
[3] **الأصنام**. ص 59.
[4] علي، جواد. **المفصل**. ج 6. ص 279.

ومن أصنامهم الصنم (نُهْم) أو نهى الذي ذكره ابن الكلبي، ويبدو أن أصل اللفظة كانت (هنهى)، وقد ورد اسم الإله (نهى) (نهيا) في النصوص الثمودية من القرنين الأول والثاني الميلادي، والنهى تعني العقل، فيكون المعنى الحكيم أو العاقل، وهي ميزة هذا الصنم كما تصورها المؤمنين به، فهل هذا الصنم هو صنم آخر من أصنام العرب المتعددة، أم هو اسم آخر للإله أيل؟ فقد وجدنا أن هذا الصنم ورد في النصوص الآشورية التي تعود للقرن السابع قبل الميلاد، عندما قام الملك سنحاريب بحملة على بلاد العرب، فأسر بعض أصنامهم وجاء بها إلى نينوى، ومن هذه الأصنام التي أسرها صنم يدعى نهى، إذن فعبادة هذا الصنم قديمة جداً عند العرب، وقد ذكر ابن الكلبي " أن الصنم نُهْم كان لقبيلة مزينة وقد سمّوا به فقالوا عبد نهم، وكان سادنه يدعى خزاعة بن عبد نُهم، و قد أنشد عندما سمع بدعوة الرسول التوحيدية، فثار على الصنم وكسره:

ذهبتُ إلى نُهْمٍ لأذبحَ عندَهُ ... عَتيرَةَ نُسْكٍ كالذي كنتُ أفعلُ

فقلتُ لنفسي حينَ راجعتُ عقلها ... أهذا إله أيكم ليسَ يعقِلُ

أبَيْتُ فدِيني اليومَ دينُ مُحمّدٍ ... إلهُ السماءِ الماجدُ المتفضلُ" [1]

ويبدو أن قائل هذا البيت يريد أن يثبت للعرب بطلان عبادة الأصنام ونهايتها، وبأن الإله الحقيقي هو ما جاء به الرسول محمد.

وكان العرب يصوّرون بعض آلهتهم برجل كهل أي أب لأنه يمثل رأس قبيلتهم وحاميها، فكما أنّ هبل هو الإله القومي لقبيلة قريش، كذلك نُهْم هو إله قبيلة مزينة، وفلس إله قبيلة طيّيء، وود إله شعب معين، وهكذا ينظرون إلى القبيلة والشعب كعائلة واحدة ترجع إلى أب واحد.

ويُفهم من ابن الكلبي أنّ الصنم الأقيصر كان أيضاً صنماً على هيئة رجل ، والصنم (الأقيْصِر) الذي ذكره ابن الكلبي، كان صنماً لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان في مشارف الشام، مما يجعله قريباً من تأثير أصنام بلاد الشام، ويظهر من رواية ابن الكلبي أن أنصاباً كانت لهذا الصنم، ينحر الناس عليها ذبائحهم التي يتقربون بها إلى هذا الإله، وكانوا يحجّون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده ويحلفون به.

وحلف به الشاعر زهير بن أبي سلمى قائلاً:

حلفتُ بأنصابِ الأقيصِرِ جاهِداً ... وما سُحِقتْ فيهِ المقاديمُ والقملُ

وقال ربيع بن ضبع الفزاري:

---

[1] الكلبي. **الأصنام**. ص 39.

فإنّي والذي نَغمُ الأنامِ لـهُ　　　　حولَ الأقيصرِ تسبيحٌ وتهليلُ

ويظهر أنّ عبّاده كانوا يذبحون له ويطوفون حوله وهم يلبّون ويسّبحون.

ومن الأصنام التي ذكرها ابن الكلبي صنم يقال له (مَناف)، تعبدّ له بنو لحيان، كما وتسمّت قريش به فقالوا (عبد مناف) ممّا يدل على عبادته، وقد كان هذا الصنم معروفاً ومعبوداً ًبين عرب الشام أيضاً، وقد عُثر على حجر حفرت عليه صورة للإله مناف على هيئة رجل، كما ذكر هذا الإله في الكتابات اللحيانية، والاسم مناف من الفعل ناف ينوف: بمعنى المرتفع والعالي.[1]

وقد ذكر أهل الأخبار صنماً يدعى (عوف)، وقد عبد العرب هذا الإله بدليل أنهم تسّموا به فقالوا: عبد عوف والعوف تعني: ذكر الرجل، وتقال عادة للرجل العزيز المنيع فهي صفة تختص بالرجل، وصفات الرجل من قوى وعظمة ومنعة كانت تنسب عادة للإله.[2]

وجاء في النصوص العربية الجنوبية كالحميرية من القرنين الثاني والثالث الميلادي اسم إله (رحمنن) أي الرحمن فقد جاء (رحمنن بعل شيمن وأرضين) أي (الرحمن رب السماوات والأرض).[3] وفي سبأ تعبد السبئيون للإله (المقة) إلههم الأكبر وإله سبأ القومي، ويعد في منزلة (ود) عند المعينيين وكان يرمز إلى القمر، وقد كان أحد الثالوث الإلهي لشعب سبأ كما ذكر نيلسن وهو (المقة، عثتر، شمس)، أو (المقة، عثتر، ذات حمم).[4]

وقد كني عن المقة (بثور) في بعض الكتابات، فالثور كان يرمز إلى الإله المقة، وكان الناس يتقربون إلى المقة بذبائح مختلفة من بينها الثيران، كما كانوا يتقربون إليه بصور اشتملت على صور ثيران وفاء لنذور نذروها له.

وكما كان الإله (ود) يرمز له بصورة ثور لقرنيه، كذلك كان الإله المقة يرمز له بالثور، وقد ورد (المقة ثور بعل) أي المقة الثور رب، وكان في مأرب عاصمة دولة سبأ أكبر المعابد للإله المقة، وتبقى تفسيرات لفظة المقة تفسيرات غير مرضية وينقصها الدليل.

وعند شعب قتبان كان إله القمر يدعى عم، وكان هو إله شعب قتبان الرئيسي، وهو أيضا أحد الثالوث الإلهي الفلكي المكون من (عم، عثتر، شمس)، وعم من الكلمات الشائعة عند العرب، وهي تحمل نفس دلالة الأب، وقد ورد (شيمن عم) أي عم الحامي، والجذر ش ي م في العربية الجنوبية

---

[1] علي، جواد. **المفصّل**. ج6 ص 269 - وانظر: **تاج العروس**، مادة (ناف)
[2] **تاج العروس**: مادة (عوف)
[3] علي، جواد. **المفصل**. ج6. ص 306.
[4] نيلسن، ديتلف. **تاريخ العرب القديم**. ص 194

يعني وعد وتعهد وأقام ونصب وبذلك يكون المعنى عم الاله الحامي، وقد جاء (ولد عم) أي أبناء عم، فشعب قتبان أطلقوا عليه هذا الاسم، فهم بمثابة أبناء للإله عم.

وعند شعب حضرموت كان الإله سين هو إله القمر وهو إله حضرموت الأكبر، وكان أحد الثالوث الإلهي (سين، عثتر، شمس)، فسين كان إله القمر وهو أيضاً إله شعب حضرموت الخاص، وسين أيضا هو إله القمر عند البابليين، وهو الإله الأكبر عندهم، ومن اللافت للنظر أن الاسم سين ورد في حضرموت وفي بابل بنفس الصيغة، ويبدو أنه يوجد علاقة بين تجارة البخور في اليمن مع بلاد الرافدين وبين دخول الاله سين الرافدي الى حضرموت.[1]

[1] Yoel Natan. **Moon-O-theism**, **Religion of a War and Moon God Prophet.** P 355f. Volume I .2006..

ثالثاً: عبادة الإلهة الأم عند العرب

إنّ عبادة الإلهة الأم كانت من أقدم العبادات، لأنها ترمز إلى التوالد والتكاثر والخصوبة، وكانت اللات عند العرب هي الإلهة الأم وهي تقابل عشتار في بلا الشام،[1] والعرب أطلقوا اسم الإلهة على الإلهة الأم، وهذا واضح من بيت شعر جاهلي ورد فيه:

تزَوّحنا مِنَ اللعْباءِ عَصْراً   فأعْجَلنا الإلهَةَ أنْ تؤوبا [2]

كما وعبد العرب الشمس والدليل أنهم تسموا بها فقالوا عبد شمس وامرئ الشمس، وقد تسمّت الملكات في بلاد العرب بشمسي كما رأينا، ونستدل من هذا على أنّ عبادة الشمس كانت قديمة في بلاد العرب، وهذا يؤيده ابن منظور بقوله: "الشمس صنم قديم، وعبد شمس من بطون قريش سمّوا بذلك الصنم". وذكر اليعقوبي: "إنه كان لبني عذرة صنم يقال له شمس".[3]

ويقول ياقوت الحموي: "إنّ الشمس صنم كان لبني تميم وكان له بيت وكانت تعبده بنو أد كلها".[4]

ولقد عرفت الإلهة الأم في النصوص العربية الشمالية ب (هـ الت) أي الإلهة، وفي النصوص السبئية عرفت الإلهة الأم ب (ذات حمم) بمعنى ذات الحمم و (ذات بعدن) أي البعيدة، وفي النصوص المعينية عرفت ب (نكرح)، وفي النصوص القتبانية عرفت باسم (ذات أثر) (أثرت)، وكل اسم ورد في نصوص المسند استهل بلفظة (ذات)، فالمراد به الإلهة الأم.[5]

والإلهة الأم اللات قد ذكرت في القرآن الكريم:

{ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**}. سورة النجم. آية 2.

وذكر ابن الكلبي اللات وقال: "إنها كانت بالطائف وهي أحدث من مناة، وكانت صخرة مربعة بيضاء، وكان يهودي يلت عندها السويق، وكان سدنتها من بني ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بيتاً، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها، وبها كانت العرب تسمّي زيد اللات، تيم اللات".[6]

ويقول المتلمس في هجائه عمرو بن الهند:

---

[1] نيلسن، ديتلف. ص 216

[2] سبتينو، موسكاتي. **الحضارات السامية القديمة**. ص 361.

[3] ابن منظور. **لسان العرب**. مادة (شمس)

- وانظر: اليعقوبي. أحمد بن أبي يعقوب. **تاريخ اليعقوبي**. منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1964- ج1. ص 225.

[4] الحموي، ياقوت. **معجم البلدان**، ج3. ص 362.

[5] علي، جواد. **المفصل**. ج6. ص 166.

[6] الكلبي. **كتاب الأصنام**، ص 16

أطردتني حَذرَ الهجاءِ، ولا   واللاتِ والأنصابِ لا تئِلُ

وقال أوس بن حجر يحلف باللات:

وباللاتِ والعُزّى ومَنْ دانَ دينَها   وباللهِ، إنّ اللهَ منهنّ أكبرُ [1]

ولم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف، فبعث رسول الله المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها. وكان تحت صخرة اللات حفرة يقال لها (غبغب)، حفظت فيها الهدايا والنذور التي كانت تقدم إلى الصنم اللات.

ويظهر من وصف أهل الأخبار لبيت اللات، أنه كان معبداً شهيراً في مدينة الطائف، وكان على طراز البيت الحرام بمكة من حيث المنزلة والاحترام والكسوة، وكان حرماً معظماً عند أهل الطائف كتعظيم قريش لحرم البيت، حرّم على الناس قطع شجره، وصيد حيوانه، ومن دخله صار آمناً، ويرى ابن الكلبي أن الصنم اللات أحدث عهداً من مناة، لكن في الواقع أن الصنمين من الأصنام القديمة التي ورد ذكرها في كتابات النبط والصفويين.[2]

وكانت تلبية اللات:" لبيك اللهم لبيك، كفى ببيتنا بنيه، ليس بمهجور ولا بليه، لكنه من تربة زكية، أربابه من صالحي البريّة".[3]

وصنم اللات ذكره المؤرخ اليوناني هيرودتس 425 ق.م، وذكر أن العرب كانوا يعبدون إلهين،الأول أورانيا وكانوا يسمونها (أليلات)، والثاني أورتال، وأنهما أكبر إلهين عند العرب.[4] واللات هي الإلهة الام ، بينما أورتال يبدو أنها من الكلمة الآرامية (أور أل) أي النور العالي، وهو يدل إمّا على كوكب الزهرة أو على القمر. .

ويبدو أن لفظ اللات مشتق من كلمة إيل أو إله ، ثم جرى التأنيث بزيادة التاء مع إدغام اللام فصارت (اللات) مثل بعل وبعلات، وذكر الطبري في تفسيره للات أنها مشتقة من الله، ثم ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر وللأنثى عمرة.[5]

أما ما ذهب إليه المسلمون كما جاء في اللسان وفي بعض التفاسير أن اللات من الفعل لت يلت، وأن حجر اللات كان يستعمله يهودي يلت عنده السويق فلما مات، قال لهم عمرو بن لحي

---

[1] **الأصنام**. ص 16.
[2] علي، جواد. **المفصل**. ج6. ص 228-229.
[3] البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب. **المحبّر**. المكتب التجاري للطباعة والنشر. بيروت. ص 312-313.
[4] ديسو، رينيه. **العرب في سوريا قبل الإسلام**. ص 114.
[5] **تفسير الطبري**. سورة النجم، آية 2- ج27، ص 34

الخزاعي إنه لم يمت بل دخل في الصخرة، فعكفوا على قبره يعبدونه، فهذا تفسير غريب، يدل على اشتقاق خاطىء للات، وعلى عدم معرفة بأصلها وطبيعتها.[1]

وليس ببعيد أن تكون صخرة اللات هي صخرة مقدسة، كان يقدسها الجاهليون، كما قدّسوا الحجر الأسود بمكة، إذ إنّ هذا النوع من العبادات، أي اتخاذ الأحجار الغريبة التي لم تصقلها الأيدي، بل عبدت على هيأتها في الطبيعة، هو نوع من العبادات القديمة، وأقدم من مرحلة عبادة التماثيل والأصنام والأوثان، وكان هذا النوع من العبادات يمارس أيضاً عند شعوب العراق وبلاد الشام واليمن كما رأينا. [2]

واللات هي من الآلهة المعبودة عند النبط، وقد ورد اسمها في نصوص الحجر وصلخد وتدمر على شكل (هـ لت)، ومعناها اللات، وكان لها معبد في بصرى جنوب الشام أيام النبط، وعُدّت أم الآلهة عندهم.

وتعدّ اللات من أهم الآلهة عند الصفويين جنوب حوران، بدليل كثرة ورود اسمها في كتاباتهم مثل (هـ لت)، ومن النقوش الصفوية التي جمعها ليتمان ، نقف على نداءات كثيرة موجّهة للات منها:

يااللات سلام، يااللات اعطي الفرج، يااللات اشملي برعايتك من خرج في المساء، يااللات امنحيني الطمأنينة.[3]

وفي نص صفوي مميز أورده ديسو ورد اسم الإلهة الأم اللات مقترناً بشمس، بالاضافة إلى اسم جاد عوذ، وما يميّز هذا النص هو ورود اسم الإلهة الأم اللات والاستعانة بأكثر من إله عند اللعنات كما يلي:

" لخالص بن شوهيم بن عميرت بن عم، ليحلّ الذعر بصديقه الذي هزم ترح فيا شمس، يا جاد عوذ، يا اللات، ليصب بالعمى من يمحوه".[4]

وورد اسم اللات أيضاً في تدمر، وقد عُبدت عند أهل تدمر على شكل إلهة مؤنثة، وتصور اللات أحيانًا بصورة امرأة عارية واقفة على أسد، حيث نجد هذا الحيوان مع الإلهة عشتار، و قد دخل اسم اللات في تركيب الكثير من الأسماء التدمرية، مثل: أمة اللات، عبد اللات، نصر اللات، وهب اللات.[5]

---

[1] علي، جواد. **المفصل**. ج 6. ص 230. وانظر. الأزرقي. **أخبار مكة**. ج1. ص 95.
[2] علي، جواد. **المفصل**. ج6. ص 232.
5 كنعان، جورجي. **تاريخ الله**. ص 292
[4] ديسو، رينيه. **العرب في سورية قبل الإسلام**، ص 142
[5] سبتينو، موسكاتي. **الحضارات السامية القديمة**. ص 359.

وورد أيضاً في نقش تدمري أورده ديسو ذكراً لثلاث آلهة مختلفة وهي اللات وشمس ورحم أي رحيم، فهنا أيضا ذكرت الشمس كإلهة مع اللات الإلهة الأم في نقش واحد، أما الإله رحيم الوارد في النقش فهو على ما يبدو اسم من أسماء أيل كما أوردنا، وقد جاء في النقش التدمري الذي نقله ديسو بالخط العبري ما يلي:

:" للغالية شمس واللات ورحم الآلهة الطيبة".[1]

وقد ورد أيضاً اسم اللات في النقوش اللحيانية باسم (لت) كما ورد أيضا اسم شمس.[2]

وضمن النصوص الصفوية اكتشفت نقوش صفوية في جبل حوران ذات عبارات دينية، ومع أنها تتعلق بأمور شخصية إلا أنها تدل على الأهمية العظمى للات، وهذه النقوش هي باللهجة الصفوية، ويعتقد الاستاذ ليتمان أن الكتابات الصفوية عادة ترجع للقرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وقد أورد ديسو بعضها في كتابه ومنها:

"فيا اللات اشملي بالرحمة من خرج، وأصيبي بالعمى من يمحو هذه الكتابة". وأيضاً:

:" فيا اللات، رافقي من سار واحرسي من رحل".

:" لقد توقف في النمارة، فيا اللات، ليتخل السلام عن عدوه".

" مالك بن حميان عاد من بلاد الروم فيا اللات، لا سلام على ذلك الذي يطارد بين الفرسان".[3]

وذكر ديسو أن العنصر العربي في تدمر كان مهماً، وأنه هو الذي أدخل عبادة اللات إلى تدمر، وقد كان اسم ابن الملك أذينة ملك تدمر من زوجه زنوبيا وهب اللات أي عطية اللات، ولم تلبث اللات في تدمر طويلاً حتى اكتسبت الطابع اليوناني الذي تأثرت به تدمر، فصارت اللات صنو الإلهة أثينا إلهة الحكمة. [4]

وقد كانت اللات تقابل عشتار لذلك تصوّر حسب الطريقة العشتارية بامرأة حسناء عارية، هذا ما كان في تدمر وهذه الصورة هي عينها صورة عشتار، وفي صور أخرى تظهر واقفة على أسد وفي يدها غصن أخضر يرمز للخصب.[5]

وكانت الإلهة الأم تمثل في عدة رموز وأشكال غير تمثال المرأة العارية، ومن هذه الرموز الشجرة المقدسة، أو الصخرة المصقولة أو النصب الحجري.

---

[1] ديسو، رينيه. **العرب في سورية قبل الإسلام**، ص 144

[2] علي، جواد. **المفصل**. ج6. ص 335.

[3] ديسو، رينيه. **العرب في سورية قبل الإسلام**، ص 129- 130

[4] المصدر السابق. ص 121.

[5] نيلسن، ديتلف، ص 219.

وقد وردت في التوراة لفظة(أشيرة) وترجمت إلى العربية بكلمة سارية والجمع سواري، وقصد منها الشجرة المقدسة التي ترمز للخصوبة والخضرة الدائمة حيث تسكن الإلهة الأم إلهة الخصب بحسب اعتقادهم.[1]

وكان الكنعانيون يقيمون مذابحهم على المرتفعات، وكان النصب أو الشجرة المقدسة يرمزان إلى مسكن الإله، وقد عرفنا هذه المعلومات لأنها وردت في التوراة عند ذكر أخبار الكنعانيين وعبادتهم، وربما استخدم الكنعانيون في عبادتهم هذه الأنصاب والأعمدة إضافة للتماثيل البرونزية والطينية الصغيرة بكثرة، أكثر من استخدامهم للأصنام أو الصور الكبيرة، لأنّ ما عثر عليه من تماثيل صغيرة، أكثر بكثير مما عثر عليه من أصنام وتماثيل كبيرة.[2]

والإلهة الام العربية اللات كانت تقابل الإلهة الأم الكنعانية التي وردت في نصوص أوغاريت باسم أشيرة زوج الإله أيل، وقد عبدت في بابل وسوريا ولدى الاموروين وكانت تلقب بخالقة الآلهة وربة البحر، وقد ورد في النصوص الأوغاريتية اسم للإلهة عناة وكانت تلقب بالبتول وبالبقرة والعجلة كرمز للعطاء والبركة، وتظهر في النصوص كبنت لأيل وأخت بعل أو زوجته، وهي من نزلت للعالم السفلي لتنقذ بعل من يد الإله موت وتعيده للحياة (الدورة الزراعية)، وقد عبدها الآراميون أيضا فكانت هذه الإلهة مرتبطة ببعل إله المطر الكنعاني، ولا نعلم إن كانت هذه الإلهة رمزاً للبتولية فقط أم ربما هي من تجليات الإلهة الأم لكن بصيغة شبابية بدليل وصفها بالبقرة والعجلة وهما من ألقاب الإلهة الأم الأرض التي تدر بالبركة والخير كالبقرة التي تدر اللبن من ثديها، فقد جاء في صلاة سومرية إلى الإلهة الأم إنانا :" **أيتها البقرة البرية الجموح، أنت أعظم من كبير الآلهة آن".**[3]

وفي لبنان وفلسطين ورد اسم عشتاروت للدلالة على الإلهة الأم، وهي عينها عشتار البابلية، وهذان الاسمان (عشتاروت وأشيرة) ذكرا في التوراة، مع فارق أن أشيرة تظهر في تمثال حجري من أوغاريت بصورة أكثر صرامة وحدّة وكهولة، أما عشتار فتظهر بصورة أكثر أنوثة ورشاقة وشباب،(انظر للصفحة 19 في ملحق الصور)، وكان يطلق على عشتاروت اسم ربة وبعلة كما ورد في بعض النصوص الكنعانية، ومنها نقش الملك "يحوملك" وهو من الكتابات الفينيقية القديمة التي كشفت في أرض كنعان بحسب ولفنسون ويعود للقرن الخامس ق.م، حيث يناجي الملك يحوملك عشتروت ويناديها باسم (ربتي بعلة جبيل).[4]

---

[1] **الكتاب المقدس،** سفر الملوك الأول. 16: آية 23، - وانظر: **سفر أشعيا.** 27: آية 9.
[2] حتي، فيليب. **تاريخ سورية وفلسطين ولبنان.** ج1. ص 130-132 - وانظر: الفيومي، إبراهيم. **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**. ص 57
[3] السواح، فراس، **لغز عشتار**. ص 71
[4] ولفنسون، إسرائيل. **تاريخ اللغات السامية**. ص 66

وفي نصوص المسند وردت الإلهة الأم باسم (ذات أثر)، وهذا اللفظ كما هو واضح قريب من اللفظة أشيرة، أما عند السومريين فكانت تعرف عشتار باسم إنانا، وكان هناك كهان للربة عشتاروت ولمعابدها وأحياناً يكون الملك كاهنا أيضاً كما مع ملك صيدا "تبنت"، حيث يشير نقش ملك صيدا (الملك تبنت) المكتوب بالأحرف الكنعانية والذي يعود ل 300 ق.م، أن ملك صيدا كان كاهن عشتاروت أيضاً (تبنت كهن عشترت ملك صيدن بر اشمعنزر).[1]

ومن أسماء الأعلام المقترنة بعشتار نجد في تراث بابل عبد عشتار، نور عشتار، مار عشتار، وفي النقوش الكنعانية نجد الاسم عزر عشترت، أمة عشترت.[2]

وكما تسمّى العرب باللات وصوروها ونحتوا لها الأصنام، فقد بنوا لها بيوتاً وهياكل كمعبد اللات في الطائف، الذي كان له سدنة وحجّاب، وكان يدعى خادم الصنم عند العرب بالسادن أو الكاهن أو الحارز، وقد يكون السادن من رؤساء القبيلة وأشرافها.[3]

هذا وكانت العرب تتعبد لمعبوداتها بالطواف، إذ يطوفون بالبيت سبعاً ويمسحون بالحجر، وسمّوا طوافهم الدوار، وكانوا يقومون ببعض النسائك والطقوس والشعائر، كنحر القرابين والإفاضة والصيام، وكانوا يسعون بين الصفا والمروة، ويقفون المواقف كلها ويهدون الهدايا ويرمون الجمار، وكانوا يلبون:

لبيك اللهم لبيك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك.

وكانوا يحرمون الأشهر الحرم فلا يغزون ولا يقاتلون فيها، إلا طيىء وخثعم وبعض بني الحارث بن كعب فإنهم لا يحرمون الأشهر الحرم.[4]

وذكر الشهرستاني عن ابن الكلبي أن العرب كانت في جاهليتها تحرّم أشياء نزل القرآن بتحريمها، إذ كانوا لا ينكحون الأمهات ولا البنات ولا الخالات ولا العمات، وكانوا يطلقون ثلاثاً على التفرقة. ويقول المقدسي:"وكان في مشركيهم بقية من دين إسماعيل كالنكاح والختان والمناسك وتعظيم الأشهر الحرم"، وينسبون إلى الوليد بن المغيرة قوله: "يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها أي (الكعبة) من كسبكم إلا طيّباً، لا يدخل فيه مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس"، وهذا يدل على أن الربا كان حراماً عليهم في الجاهلية.[5]

---

[1] المصدر السابق. ص 68
[2] كنعان، جورجي. **تاريخ الله.** ص 221
[3] الحوت، سليم محمود. **في طريق الميثيولوجيا عند العرب.** ص 94
[4] الخطيب، محمد. **الدين والأسطورة عند العرب في الجاهلية،** ص 44 - 45
[5] **المصدر السابق**

وذكر محمد بن حبيب في كتابه المحبّر أن طواف أهل البيت بالجاهلية كان أسبوعاً، وذكر أنهم كانوا يمسحون الحجر الأسود، ويسعون بين الصفا والمروة، وكانوا يلبّون قائلين:

"لبيك اللهم لبيك، لبيك ما نهارنا نجرّه، إدلاجه وحرّه وقرّه، لا نتقي شيئا ولا نضرّه، حجاً لرب مستقيم برّه".[1]

أما الإفاضة فهي طقس تعبدي كان يمارسه الجاهليون، فيندفع فيه الناس بكثرة، وهو مشتق من الفعل فاض الماء أو الدمع أي كثر حتى سال، وقد خالف الإسلام الجاهليين في ذلك، فروي عن ابن عمر أن رسول الله قال:

"إنّ المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون (أشرق ثبير)، إشارة إلى الشمس، وأن النبي خالفهم في ذلك فأفاض قبل أن تطلع الشمس، وكان العرب يقولون: أسرع ثبير في الشروق حتى نسرع للنحر".[2]

ولقد حجّ العرب إلى الكعبة، وطافوا حول البيت وقدسوه وأقسموا به في أشعارهم:

يقول زهير بن أبي سلمى:

فأقسَمتُ بالبيتِ الذي طافَ حَولهُ رجالٌ بنوه من قريشٍ وجُرهُمِ [3]

ويقول النابغة الذبياني يقسم برب البيت:

فلا وربُّ الذي قدْ زرتهُ حَجِجَاً وما هُريقَ على الأنصابِ من جسدِ [4]

وقد تعددت الكعبات في الجزيرة العربية وكانت في عرفهم عبارة عن بيوت لسكن الإله، وأحياناً كانت هذه الكعبات تقام تقديساً للأحجار الغريبة كالبركانية والملساء والتي ترمز لحلول الإله فيها، وتقول المصادر الإسلامية أنه كانت توجد أكثر من خمس وعشرين كعبة في الجزيرة العربية، وكل كعبة بها حجر يقدسونه، فقد ذكر ابن هشام في سيرته أن" العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجّاب وتُهْدَي لها كما تُهْدَى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها" [5] ومن هذه الكعبات: كعبة اللات بالطّائف كانت صخرة مربعة وكانت قريش وجميع العرب تعظمها، وكعبة العزى: لسليم وغطفان وغشم وكانت أعظم الأصنام عند قريش وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح، وكعبة مناة: كانت لقديد بين مكة والمدينة، وكانت أقدم الكعبات كلها، وكانت العرب جميعا تعظمها وتذبح حولها وكانت الأوس

---

[1] البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب. **المحبّر**. ص 313.
[2] الحوت، سليم. **المثيولوجيا عند العرب**، ص 95.
[3] داود جريس. **أديان العرب قبل الاسلام**، ص 210.
[4] **ديوان النابغة الذبياني**. بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ص 35.
5. ابن هشام. **السيرة النبوية**. بيروت: دار الجيل. ط1. ج1. ص209

والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونها ويذبحون لها، وأيضاً كعبة ذي الخَلَصَةِ: لدوس وخثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من هوازن وتسمى الكعبة اليمانية [1]، والحج إلى البيت في مكة وإلى البيوت المقدسة الأخرى أو الكعبات، إنما هي أعياد يجتمع فيها الناس للاحتفال، ويتقربون إلى بيوت الآلهة بالنذور والقرابين.

ويذكر المستشرق ونكلرWinckler أن الحج إلى مكة كان مرتين في السنة ولغاية شهر، وذلك عند اقتران الشمس ببرج الثور، وذلك في الربيع والصيف، وقد كان يطلق على أحد الأشهر عند العرب (حج البيت) وهو ذو الحجة، بينما يرى فلهوزن أن الحج إلى الكعبة كان مرة في السنة وذلك في فصل الخريف.[2]

وكان من عادة بعض العرب إذا حجّوا البيت، أن الرجل منهم إذا أحرم بالحج لم يدخل بيتاً ولا داراً من بابه، ولا يتظلل سقفاً مادام محرماً، بل ينقب نقباً في ظهر بيته ويدخل منه. [3]
وقد نهى القرآن الكريم عن هذه العادة بالقول:{وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها، لكن البرّ من اتقى وآتوا البيوت من أبوابها}.[4]

وكان عرب الجاهلية يطوفون بالبيت عراة وبضمنهم النساء، أو يأخذون ثياباً من الحمس إما إعارة أو إجارة، والحمس أو الأحماس من العرب من يطوفون بثيابهم، وهم المتحمسون على دينهم والمتشددون في حجهم، وقيل إنّ الأحماس من العرب الذين أمهاتهم من قريش، وعادة يكون ثوب الإحرام أبيض اللون، ومن لم يتمكن من الحصول عليه طاف عرياناً بحكم الضرورة.[5]

ولقد روى الأزرقي عن ابن عباس أنّ قبائل من العرب كانت تطوف بالبيت عراة، الرجال بالنهار والنساء بالليل وهم يقولون: لا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب، وكانت المرأة إذا ما طافت عريانة تضع إحدى يديها على قبلها والأخرى على دبرها، وقد أنشدت العامرية في ذلك:

اليومَ يبدو بَعضُهُ أو كلّهُ   وما بدا منهُ فلا أحلّهُ [6]

وعادة الطواف حول بيوت الأصنام أو حول الصنم نفسه عادة شائعة بين العرب، وعند جماعات عربية أخرى كالنبط، لكن فيما يتعلق بالعربية الجنوبية وشعوبها من معينيين وسبئيين وحضرميين،

---

1. جواد علي. المفصل. 6 ص 271-72
2. المصدر السابق. ج6. ص 371.
3. داود، جريس. **أديان العرب قبل الإسلام**، ص .212
4. سورة البقرة. آية 189.
5. **تاج العروس**. مادة (حمس).
6. الأزرقي. **أخبار مكة**. ج1 ص 182

فلا نعلم شيئاً عن سنّة الطواف حول المعابد عندهم، لعدم ورود أي شيء عن ذلك في نصوص المسند، فربما أنهم كانوا يطوفون كما كان يفعل أهل الحجاز.[1]

وبلغ من تقديس اللات عند العرب الأنباط الإكثار من وجود المعابد والمذابح، فهي من أعظم أصنام عندهم، وقد تسمّوا بها فقيل عبد اللات وتيم اللات (تيملاتوس) واعتبروها الإلهة الأم وزوجاً للإله أيل سيد السماء.[2]

وفي نقش صفوي ذكرت فيه الإلهة اللات كأعظم أصنام الصفويين العرب، فقد جاء في النقش: "سلم وجم العم، ورخص بالتبر، وخاله شنأه فهلات سلام ووجد أثر أخ فنقم". ومعناه:" أن سليم قد اغتسل بالماء في مكان يعرف باسم تبر، وخاله شنأه أي كرهه، فسلام على اللات، ثم وجد أثر أخيه فنقم". [3]

وكانت الشجرة الخضراء من أشهر رموز الإلهة الأم، سواء في بلاد العرب أو في بلاد الشام والعراق، فهي رمز من رموز الخصوبة والتوالد وتجدد الطبيعة والعطاء، وكانت الإلهة الأم عشتار في بابل وسوريا وفينيقيا يرمز لها بشجرة، وقد عبرّت الأعمال التشكيلية لهذه الحضارات عن علاقة الإلهة الأم بخصب الأرض ونمو الزرع والشجر.[4]

وفي العراق تظهر الشجرة مراراً خلف عشتار في الرسومات، هذه الشجرة ليست في الحقيقة إلا عشتار نفسها الإلهة الأم، التي عبدها الإنسان القديم في هيئة الشجرة.

وكان جذع الشجرة لدى الكنعانيين ينصب في محراب الأم الكبرى عشتاروت، وتقدم لها العبادة باعتبارها تجسيداً للطبيعة، كما كانوا يقيمون طقوساً خاصة تحت الأشجار الخضراء في المرتفعات العالية كما ورد في التوراة التي سلطت الضوء على جزء من الديانة الكنعانية.[5]

وقد ورد ذكر الشجرة المقدسة في التوراة باسم شجرة أو سارية فقد ورد مثلا "أن آحاز ملك على أورشليم، ولم يفعل المستقيم في عيني الرب كداود أبيه، فعمل تماثيل مسبوكة لإله البعل، وذبح وأوقد على المرتفعات وتحت كل شجرة خضراء".[6]

وأيضاً ورد في التوراة "أن منشّى ملك في أورشليم، وعمل الشر في عيني الرب، وعاد فبنى المرتفعات التي هدمها حزقيا أبوه وأقام المذابح للبعل وعمل سواري".[7]

---

[1] علي، جواد. **المفصل**. ج6، ص 374.
[2] الفيومي، إبراهيم. **الفكر الديني الجاهلي**. بيروت: دار الجيل، ط1، 1999، ص 250 - وانظر: الحوت، سليم. ص 94
[3] ولفنسون، إسرائيل. **تاريخ اللغات السامية**، ص 162
[4] السواح، فراس. **لغز عشتار**. ص 82.
[5] المصدر السابق. ص 82.
[6] **الكتاب المقدس**. أخبار الأيام الثاني 28: آية 1-4.
[7] **الكتاب المقدس**. أخبار الأيام الثاني، إصحاح 33 ، آية: 1-3

والمرتفعات هنا هي تلك الهياكل غير المشيدة، التي كانت تقام في الهواء الطلق على المرتفعات، وهي عبارة عن مذبح بسيط مع نصب للإلهة الأم، أو للإله بعل إله المطر، وقد كان الكنعانيون يقيمون هذه المذابح في العراء، وتحت الأشجار ويذبحون القرابين تقرباً للإلهة الأم عشتار أو أشيرة في أرض كنعان.

والسارية وجمعها سوارٍ هي جذع الشجرة الذي يرمز إلى الإلهة عشيرة أو عشتاروت وقد كان الكنعانيون يقدسونها ويعكفون عليها نهارهم.[1]

وذكر ابن هشام أن عرب نجران قبل أن يصيروا على دين النصرانية في القرن الخامس الميلادي، كانوا يعبدون شجرة نخلة طويلة يأتونها كل سنة، يعلقون عليها الثياب والحلي، ويعكفون عليها طيلة يومهم.[2]

وذكر الأزرقي أنه كان للعرب شجرة عظيمة يعظمونها تدعى ذات أنواط، ويذكر أن هذا الاسم أنواط أو ذات أنواط ورد في نصوص المسند، وقد أضاف الأزرقي في روايته هذه نقلاً عن أبي واقد الليثي:" خرجنا مع رسول الله إلى غزوة حنين، وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة، فيعلقون عليها أسلحتهم، ويذبحون عندها، ويعكفون عندها يوماً، فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله: الله أكبر، قد قلتم والذي نفس محمد بيده، كما قال قوم موسى، اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة".[3] أما معنى أنواط: فهي المعاليق أي ما علّق، وقيل: نيط عليه الشيء أي علق عليه.[4]

فهذه الشجرة إذن رمز الأرض والحياة رمز الإلهة الأم عند العرب، ولفظة (ذات) أحد ألقاب هذه الإلهة، وعرفت أيضاً بهذا اللقب في العربية الجنوبية، وفي بلاد الشام بدأت عشتار تخرج من الشجرة التي كانت مسكناً لروحها، وصارت تعبد في شكل امرأة حسناء جميلة، وحلّت في التماثيل الرخامية التي تتصدر معابد المدن على هيئة امرأة عارية، ممسكة بثدييها وتحمل بيدها غصناً أخضر، وهي بذلك ترمز للعطاء والخصب والجمال.[5]

ومن الواضح أن هناك الكثير من الأمور المشتركة في العبادة والطقوس بين حضارة بلاد الشام وحضارة العرب، ليس فقط في أسماء الآلهة بل أيضاً في بعض الممارسات والعبادات.

---

[1] حتي، فيليب. **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، ج1 ص 130

[2] ابن هشام. **السيرة النبوية**. ج1. ص 34.

[3] الأزرقي. **أخبار مكة**. ج1. ص 98.

[4] ابن منظور. **لسان العرب**، مادة (نوط).

[5] السواح، فراس. **لغز عشتار**. ص 110

ومن أصنام العرب صنم العزى أعظم أصنام قريش، كانت تعبد في شجرة ببطن نخلة، وفي رواية بثلاث سمرات ببطن نخلة، وكانت لقريش وبني كنانة العزى بنخلة.[1] وفيما يتعلق بالعزى فلا ندري هل هي من أصنام العرب الكثيرة وترمز لإلهة معينة أم هي الإلهة الأم بعينها لكن باسم العزى أي العزيزة أي أن العزى ربما لقب آخر للإلهة الأم اللات.

ويرى ديسو وفلهوزن وستاركي أن الطقوس الدينية للإلهة العزى في بلاد العرب، تقابل وظيفة عبادة الإلهة الأم عشتار البابلية وعشتاروت الكنعانية وطقوسها [2]

ولنتوقف قليلاً عند رأي فلهوزن، فهو أول من درس الوثنية العربية قبل الإسلام في كتابه بقايا الوثنية العربية، لقد أقرّ فلهوزن أن اللات عند العرب هي الإلهة الأم، لكنه فيما يتعلق بالإلهة العزى فإنه حاول أن يثبت أن العزى تمثل كوكب الزهرة عند العرب.

وقد اعتمد في حجته على مؤرخ الكنيسة البيزنطية بروكوبيوس المتوفي سنة 562م، وعلى المؤرخ السرياني إسحق الأنطاكي. ويحدثنا فلهوزن عن عبادة العرب للعزى كما تصفها المصادر غير العربية، فيقول إنّ الإلهة العربية التي يسمّيها بروكبيوس أفروديت هي العزى، عوزي.

وفي قول إسحاق الأنطاكي (400 ب.م):" إنّ العرب كانوا يعبدون بليتس، ويقدمون قرابين إلى العزى" (عوزي)، ويقول فلهوزن:" إنّ إسحق الأنطاكي يطلق على الإلهة العربية العزى اسم (كوكبتا) مؤنث كوكب، وهو اسم اعتاد السريان واليهود إطلاقه على كوكب الزهرة، وقد جعل إسحق الأنطاكي العزى، صنو الإلهة بليتس، التي هي الزهرة فينوس Venus عند الرومان، وأفروديت عند اليونان. [3] (انظر نص اسحق الأنطاكي صفحة 6 في ملحق النقوش).

ويذكر فلهوزن أنّ العزى هي المقصودة حين قال إسحاق الأنطاكي إنّ العرب يعبدون الزهرة أو نجم الصباح، فالعزى لم تجعل صنو كوكب الزهرة لأنها إلهة الحب والجمال، بل لأن نجم الزهرة كان مقدساً عند العرب. ويضيف فلهوزن ملاحظة هامة تسترعي الانتباه وهي أن هذه العلاقة بين الزهرة والعزى ليست ثابتة في الجزيرة العربية كلها، وإنما هي ثابتة فقط في العربية الشمالية أي في منطقة الحدود مع فلسطين وسوريا، أي أن العرب لم يعقدوا الصلة بين آلهتهم العزى وكوكب الزهرة إلا في مناطق الحدود الشمالية، أما في نجد والحجاز فنحن لا نلحظ شيئاً من هذه العلاقة. [4]

---

[1] الكلبي. **كتاب الأصنام**. ص 25. - وانظر: ابن هشام. **السيرة النبوية**. ص 86.
[2] سبتينو، موسكاتي. **الحضارات السامية القديمة**. ص 375.
[3] المصدر السابق. ص 375.
[4] المصدر السابق. ص 375. - وانظر: مقالة فلهوزن بالألمانية: **بقايا الوثنية العربية**.

ومن هنا يتبّين أنّ العزى كانت هي الإلهة الأم عند أهل قريش وقد سميت عندهم باسم العزى، بينما كانت الإلهة الأم عند قبائل أخرى تُعرف باسم اللات. والدليل على ذلك ما يلي:

أولاً: أنّ كوكب الزهرة في القرآن الكريم كان يدعى النجم الثاقب أو الطارق، وورد بصيغة التذكير أيضاً في لغة العرب وأشعارهم. بينما العزى عند قريش كانت مؤنثة لذا فهي على الأرجح ترمز للإلهة الأم.

ثانياً: أنّ العزّى اسم آخر من أسماء الإلهة الأم عند قريش وغيرهم، فالعزى تأنيث الأعز بمعنى الأقوى والعزى تعني القوية والعزيزة.

رابعاً: أن طقوس عبادة العزى كما وردت في المصادر العربية توحي بأنها الإلهة الأم، فقد كانت تعبد في بطن نخلة أو على شكل ثلاث سمرات بنخلة. ونحن نعلم أن عبادة الشجرة وتقديسها كان يرمز دائما للإلهة الأم كما ذكرنا، فقد ذكر ابن هشام مثلاً أنّ العزى كانت لقريش بنخلة.[1]

أما ابن الكلبي فقد ذكر أن العزى كانت تعبد في شجرة ببطن نخلة، وقال أيضاً إنّ العزى كانت تعبد في ثلاث سمرات ببطن نخلة، يأتون ويطوفون بها ويعكفون عندها [2]. وكانت كما يذكر ابن الكلبي أعظم الأصنام عند قريش، وكانت العرب تسمّي بها، فقالوا: عبد العزى، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون إليها بالذبائح، فيبدو أن العزى كانت إلهة مركزية عظيمة عندهم، وفي إعظام قريش للعزى ذكر ابن الكلبي أنّ أبي أحيحة وهو من رجال قريش كان قد مرض، فدخل عليه أبو لهب يعوده فوجده يبكي، فقال: "ما يبكيك يا أبا أحيحة، أمن الموت تبكي ولابدّ منه، فقال لا، ولكني أخاف ألا تعبد العزى بعدي، فقال أبو لهب: والله لاتترك عبادتها بعدك لموتك، فقال أبو أحيحة: الآن علمت أن لي خليفة، وأعجبه شدة نصبه في عبادتها."[3]

وقد كانت العزى بوادٍ من نخلة الشامية، يقال له حراض، عن يمين المصعد إلى العراق من مكة، وكانت قريش قد حمتْ لها شعباً من وادي حراض يقال له سقام، يضاهون به حرم الكعبة، فذاك قول أبي جندب الهذلي في امرأة يهواها، فذكر حلفها له بها:

لقد حَلفتْ جَهْداً يميناً غليظة بفَرع التي أحْمَتْ فروعَ سُقامِ [4]

---

[1] الكلبي. **الأصنام**. ص 20 - وانظر: ابن هشام. **السيرة النبوية**. ج1. ص 86.
[2] الكلبي. **الأصنام**. ص18
[3] **المصدر السابق**. ص 23
[4] **الأصنام**. ص 19 - انظر: أحمد بن أبي يعقوب. **تاريخ اليعقوبي**. بيروت: الأعلمي للمطبوعات. ط1. 2010. ج1. ص 40

وكان العرب قد بنوا عليها بساً أي بيتاً، وكان أول من اتخذ العزى حسب رواية ابن الكلبي ، ظالم بن أسعد، وقد بلغنا أن رسول الله ذكرها يوماً، فقال:" لقد أهديتُ للعزى شاة عفراء وأنا على دين قومي". [1]

وكانت تلبية من نسك للعزى "لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك، ما أحبنا إليك". [2]

وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فإنهنّ الغرانيق العلى، وإن شفاعتهنّ لترتجى. وكانوا يقولون هنّ بنات الله يشفعن إليه،

وقد ذكر زيد بن عمرو بن نفيل العزى في شعره قائلا:

تركتُ اللاتَ والعُزّى جميعاً كذلك يفعلُ الجَلدُ الصَّبورُ

فلا العُزّى أدينُ ولا ابنتيها ولا صَنَمَيْ بني غَنْمٍ أزورُ

ولا هُبَلاً أزورُ وكانَ رباً لنا في الدهر إذ حِلمي صغيرُ [3]

وكان للعزى مِنحر يسمّى الغبغب وقد ذكره أبو خراش الهذلي في رجل تزوج امرأة اسمها أسماء:

لقد أنكحِتْ أسْماءُ لِحْيّ بقيرةٍ مِنَ الأدمِ أهداها امروٌ مِنْ بني غُنمْ

وأرَى قذعاً في عينِها إذ يَسوقها إلى غبغبِ العُزّى، فوضَعَ في القسَمْ

وقد ذكر ابن الكلبي أنه عندما أتى خالد بن الوليد لهدم العزى، برز له سادنها قائلا:

أعُزّاءُ شدّي شدّةً لا تُكذبي على خالدِ ألقِي الخِمارَ وشمِّري

فإنكِ إلاّ تقتُلي اليومَ خالداً تبوئي بذلٍّ عاجلاً وتَنَصّري

فقال خالد:

يا عُزّ كفرانَكِ لا سُبحانكِ إني رأيتُ اللهَ قد أهانكِ

ثم ضربها ففلق رأسها ثم عضد الشجرة وهدم البيت وقتل سادنها".**[4]**

فيبدو من هذا الحديث أن العزى لم تكن فقط تعبد في شجرة، بل أيضاً كانت صنماً على شكل امرأة، فخالد بن الوليد قد فلق رأسها كما ورد.

[1] **المصدر السابق.**

[2] البغدادي، محمد بن حبيب. **المحبّر**. ص 313.

[3] ابن الكلبي. **كتاب الأصنام.** ص 20

[4] الكلبي. **الأصنام.** ص 26

إذن يتضح من حديث ابن الكلبي أن العزى كانت صنماً لامرأة، وبجانبها الشجرة المقدسة التي كانت تعبد بها وهي من رموز الإلهة الأم إضافة إلى وجود معبد (بيت) لها.

وفي الحقيقة أنّ العزى كانت تعرف عند كثير من العرب، فقد تعبّد لها الأنباط وعرفت عندهم باسم (عزيا) وقد ذكرت بهذا الاسم في نقش نبطي من بصرى في حوران.[1] وقد جعل لها الأنباط معبداً في بصرى دعي ببيت أيل، ودخل اسمها في تركيب الأعلام النبطية كاسم عبد العزى.[2]

ويبدو أن العزى كانت تمثل الإلهة الأم عند الثموديين، فقد ذكرت في أسماء أعلامهم المركبة مثل (أمة العزى)، وهي كتابات تعود للقرن الرابع قبل الميلاد، ويبدو أن الثموديين أخذوا عبادتها من نبط سوريا، وفي النقوش السبئية ظهرت باسم عزين وتعني القوية.[3]

هذا فيما يتعلق بالعزى، لكن ماذا بشأن مناة التي وردت أيضاً في القرآن الكريم، وذكرها ابن الكلبي، ماذا كانت تمثل عند العرب؟

هل كانت مناة صنماً كباقي أصنام العرب وتمثل إلهة معينة، أم كانت إلهة مركزية عند بعض القبائل العربية كالعزى واللات؟ ويبدو أن الإلهة مناة كانت أيضا الإلهة الأم عند العرب، ويبدو أن اللفظة مناة كانت اسماً آخر للإلهة الأم كالعزى، وبما أن اللات كانت تخص ثقيفاً، والعزى كانت تخص قريشاً، كذلك فإن مناة كانت تخص الأوس والخزرج ومن والاهم.

وقد أشار ابن الكلبي إلى ذلك إذ قال: "أن اللات كانت تخص ثقيف كخاصة قريش العزى، وكانت الأوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين، ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئا من الأصنام، إعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة".[4]

وفي لفظة مناة وأصلها قولان: الأول أن المناة من المنية وجمعها المنايا أي الموت، وما يقدر للمرء من مصير وقدر، فهي مرتبطة بالموت والقدر.

وهذا ما قاله ياقوت الحموي، إذ قال: مناة من المنا وهو القدر وما يقدّر عليك من قولهم:

ولا تقولنَّ لِشيءٍ سَوفَ أفعَلَهُ   حتى تبيّنَ ما يُمنِي لكَ الماني

---

[1] سبتينو، موسكاتي. **الحضارات السامية القديمة**. ص 376.
[2] علي، جواد. **المفصل**. ج6. ص 316.
3. حتي، فيليب. **تاريخ سوريا وفلسطين ولبنان**. ج1. ص 138.
4. الكلبي. **الأصنام**. ص 27.

وقال: يجوز أن يكون من المنا وهو الموت أو من منّاه الله بحبها أي ابتلاه، ومنوت الرجل ومنيته إذا اختبرته وابتليته. [1]

وغريب هذا الشبه بين مناة العربية وبين مناة بالآرامية ومنوت العبرية، وجميعها تعبر عن الموت والأجل.

والقول الثاني: أن مناة دعيت كذلك، لأن الذبائح كانت تمنّى عند حجرها، أي كانت الدماء تراق عند حجرها. ومن هنا جاءت كلمة المنى، والإفاضة من منى في الإسلام، فالمنى هو المكان الذي تمنّى به الذبائح والقرابين، أي تراق به الدماء.[2]

وقد ذكر ابن الكلبي " أنّ الصنم مناة كان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، بين المدينة ومكة، وكانت العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله، وكانت الأوس والخزرج ومن كان يأخذ مأخذهم من عرب المدينة وما قارب من المواضع يعظمّونه ويذبحون له ويهدون له، فكانوا يحجّون ويقفون مع الناس المواقف كلها، ولا يحلقون رؤوسهم إلا إذا أتوا عنده لا يرون لحجّهم تمامًا إلا بذلك. وكانت الأوس والخزرج أشدّ إعظاماً له، فلإعظام الأوس والخزرج يقول عبد العزى المزنيّ:

إني حَلفْتُ يمينَ صِدقٍ بَرَّةٍ بمَناة عند محلِّ آلِ الخزرَجِ [3]

وكان الصنم مناة أيضاً لهذيل وخزاعة، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها، بينما يذكر الأزرقي أنها كانت للأزد ومن دان دينهم من أهل يثرب وأهل الشام.[4]

ومناة كما ذكرنا هي أنثى، وعندما يقول ابن الكلبي في صيغة التذكير إنّ العرب كانت تعظمه، فإنه يقصد الصنم صنم مناة، لأن الصنم عند العرب يأتي دائماً بصيغة المذكر، فيبدو من ذلك أن الإلهة مناة كانت تمثل بصنم أو وثن يرمز لها، يتقربون له بالقرابين والذبائح، ويبدو أن هذا الصنم أو التمثال كان على شكل امرأة، لأن ابن الكلبي يذكر" أن رسول الله بعث علياً إليها فهدمها"[5] بصيغة التأنيث، وإن ما تم هدمه هو صنم الإلهة مناة الذي كان على شكل امرأة.

وفي مناة يقول الكميت بن مدركة:

وقد آلتْ قبائلُ لا تُولي مناة ظهورَها مُتحَرّفينا.[6]

---

[1] الحموي، ياقوت. **معجم البلدان.** ج4. ص 652.
[2] ابن منظور. **لسان العرب.** مادة (منى).
[3] الكلبي. **كتاب الأصنام،** ص14
[4] المصدر السابق - وانظر: الأزرقي. **أخبار مكة**. ج1. ص 94.
[5] الكلبي. **الأصنام**. ص 15.
[6] داود، جريس. **أديان العرب قبل الإسلام.** ص 299.

وقد ذكر ابن الكلبي " أنّ مناة أقدم من العزى، لأن العرب كانت تسمّي عبد مناة وزيد منـاة، قبل أن تسمّي بالعزى".[1]

وهذا الحديث غير دقيق لأن الصنمين كانا من الأصنام المعروفة عند القبائل العربية في شمال بلاد العرب وجنوبها،، فقد ورد ذكر مناة في النقوش اللحيانية في أسماء الأعلام، كأوس مناة، عبد مناة ، زيد مناة، عوذ مناة.[2]

وقد كانت مناة من آلهة النبط، وعرفت عندهم ب (مناتو) وهي باللغة الآرامية، كما تعبدت لمناة قبائل ثمود ولحيان ونبط تدمر.[3]

وكانت تلبية من نسك مناة "لبيك اللهم لبيك، لولا أن بكراً دونك، يبرك الناس ويهجرونك، ما زال حج عثج يأتونك، إنا على عدوائهم من دونك".[4]

أما الصنم سواع فقد ذكر في القرآن الكريم مع بقية الأصنام، وذكره أيضاً ابن الكلبي.

وقد ذكر الطبرسي في تفسيره لسورة نوح، أن الصنم سواعاً كان على صورة امراة، وهي الصورة التي كانت الإلهة الأم عادة تمثّل بها، وذكر ابن الكلبي أن الصنم سواع هو من الأصنام التي وزّعها عمرو بن لحي الخزاعي على القبائل العربية، بعد أن جلبها من الشام.

وأضاف ابن الكلبي أن" سواعاً كان لقبيلة هذيل، دفعه عمرو بن لحي إلى رجل من هذيل يقال له الحارث بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار، فكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة، يعبده من يليه من مضر".[5]

وذكر الأزرقي أن من هدم الصنم سواع كان عمرو بن العاص، وأن سادنه أي كاهن الصنم والذي يقوم على خدمته بعدما رأى هدمه أسلم.

وفيه يقول أحد العرب:

تراهُمْ حولَ قيْلِهِم عُكوفا　　　كما عكفَتْ هُذيلُ على سُواع

تظلُّ جَنابَهُ صَرْعى لديهِ　　　عتائِرُ مِنْ ذخائِرِ كلِّ راع [6]

---

[1] الحوت سليم. ص 75

[2] كنعان، جورجي. **تاريخ الله**، ص 224

[3] علي، جواد. **المفصل**. ج6. ص 330.

[4] البغدادي، محمد بن حبيب. **المحبّر**. ص 313.

[5] الكلبي. **الأصنام**. ص 57.

[6] الأزرقي، **أخبار مكة**. ج1، ص 99- 100

وليس لدينا الكثير من المعلومات عن الصنم سواع فهل كان صنماً كباقي الأصنام يمثل إلها معينا، أم كما تذكر المصادر كان صنماً على شكل إمرأة بالتالي يمثل إلهة وليس إلها، مما يعطي الانطباع بأن سواع ربما تكون اسماً أو لقباً آخر للإلهة الأم لدى قبيلة هذيل. فعادة الإلهة الأم كانت تمثل على شكل تمثال امرأة، أما إن لم يكن لها صنم، فإنها تقدس في شجرة أو نصب.

ومن أصنامهم أيضاً صنم يقال له المحرّق، ومن اسمه يتضّح أنه كان صنماً يرمز للشمس الحارقة ، لكن لا نعرف شيئاً عن صورته ومزاياه، وكانت تلبية المحرّق كما أوردها البغدادي في المحبّر: "لبيك اللهم لبيك، لبيك حجاً حقا، تعبداً ورقا"،[1] وقد ذكر ياقوت أن" الصنم المحرّق، تعبدّت له قبيلة بكر بن وائل وكل ربيعة, وكان موضعه بسلمان وسدنته بنو الأسود".[2]

وأمّا الصنم رضى فقد ذكر ابن الكلبي أن رضى كان بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة، وقد تسمّوا (بعبد رضى)، ويبدو أن رضى كان صنماً على هيئة امرأة، إذ يقول المستوغر عندما كسر رضى:

لقد شدّدْتُ على رضىً شدّة   فتركتُها تلاً تُنازعُ أسْحَمَا

ودَعَوْتُ عبدَ اللهِ في مَكروهِها   ولمِثْلِ عبدِ اللهِ يُغشى المَحْرَمَا [3]

فالصنم (رضى) (رضاء) هو صنم أنثى، بدليل استعمال ضمير التأنيث في لفظة (فتركتها).
وكان هذا الصنم لقبيلة بني ربيعة، كما كان الصنم سواع لقبيلة هذيل، فكان لكل قبيلة اسم خاص للصنم لكن المدلول كان واحداً وهو الإلهة.

وفي الواقع أن الصنم رضى من الأصنام المعروفة في الكتابات الثمودية، وكانت عبادته منتشرة بين العرب الشماليين، وورد في نصوص تدمر على هذا الشكل (هـ رضو) (رضى) (رضو)، كما ورد رضى في كتابات الصفويين، ويرى رينيه ديسو أن رضى عند الصفويين هي أيضاً إلهة مؤنثة. [4]

ومن النقوش الصفوية التي جمعها ليتمان، نقف على نداءات موجهة للصنم رضى منها:" يا رضى أعطنا السلام، يا رضى نجّي، يا رضى نجّنا من المحن والشدة، يا رضى ساعدنا كي نبقى سالمين". [5]

---

[1] البغدادي. **المحبر**. ص 313.
[2] الحموي ، ياقوت. **معجم البلدان.** ج5 ص 61
[3] الكلبي، **الأصنام.** ص 30.
[4] علي، جواد. **المفصل.** ج6. ص 269. - وانظر: ديسو، رينيه. **العرب في سورية قبل الإسلام.** ص 136
[5] كنعان، جورجي. **تاريخ الله.** ص 292

ومن أصنامهم صنم يدعى (ذا الخلصة) ذكره ابن الكلبي والأزرقي، فقد ذكر الأزرقي أن"عمراً بن لحي الخزاعي نصب (الخلصة) بأسفل مكة، فكانوا يلبسونها القلائد ويهدون إليها الشعير، ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها، ويعلقون عليها بيض النعام".[1]

يتضح من حديث الأزرقي أن الخلصة صنم أنثى، فقد كانوا يعلقون عليها القلائد ويذبحون لها، وهذا يدل على أن الخلصة إلهة مؤنثة بحسب وصف الأزرقي، مع أن لفظ (ذو الخلصة) هو لفظ مذكر، لذلك فممكن أن الصنم ذو الخلصة يرمز لإله وليس لإلهة، ومعنى (ذو الخلصة) صاحب الخلصة حيث الاسم (ذو) هو اسم موصول ويعني صاحب، والخلصة ربما تدل على اسم مكان في بلاد العرب، مثل الإله (ذو الشراة) أي صاحب منطقة الشراة و(ذو غابة) وهذه من آلهة الأماكن، فقد كان كل حي يطلق على معبوده اسم مختلف عن الحي الآخر فظهرت الآلهة بأسماء مختلفة بحسب اختلاف الأماكن والقبائل.

وهنالك أمر آخر وهو أن ابن الكلبي ذكر أن صنم (ذو الخلصة) كان مروة بيضاء أي صخرة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج، وكانت بتبالة بين مكة واليمن، وكانت تعظمها وتهدي لها قبائل خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن، وكان سدنتها بني أمامة من باهلة بن أعصر.[2]

ويظهر أن هذا الصنم كان من الأصنام المشهورة عند العرب، إذ عرف باسم الكعبة اليمانية، وكانت قبائل دوس وخثعم وبجيلة كانت تقدّسه، أما كعبة مكة فعرفت بالكعبة الشامية.

ويمكن الاستنتاج بأن بعض القبائل العربية كانوا يطوفون حول كعبة ذي الخلصة، وأن الصنم (الخلصة) كان بداخلها، ويذكر ابن الكلبي رواية عن هذا الصنم بصيغة المذكر يستدل منها على أن الوثنية العربية القريبة العهد من الإسلام كانت تمر في مرحلة ضعف وانهيار.

فقد ذكر أن امرأ القيس الشاعر المعروف "كان أبوه قد قتل، فأراد الطلب بثأره، فأتى ذا الخلصة، فاستقسم عنده بالأزلام، وكانت له ثلاثة أقداح (الآمر والناهي والمتربص) فخرج السهم الناهي ينهاه عن ذلك، فقال هذه الأبيات:

لو كنتَ يا ذا الخَلَصْ المَوتورا   مِثْلي وكانَ شيْخُكَ المقبورا

لمْ تنهَ عن قتلِ العُداةِ زورا

وكسر القداح وضرب بها وجه الصنم، ثم غزا بني أسد، فظفر بهم".[3]

---

[1] الأزرقي. **أخبار مكة**. ج1. ص 93. - وانظر: **تاج العروس**: مادة (خلص).
[2] الكلبي. **كتاب الأصنام**. ص 34.
[3] المصدر السابق.

وخلاصة القول أن العرب كما في بلاد الشام عبدوا الإله أيل إله جميع الساميين، وقد كان يطلقون عليه عدة ألقاب وأسماء بحسب اختلاف المكان والزمان، وكانت كل قبيلة تطلق عليه اسم يختلف عن الاسم الذي تطلقه عليه القبيلة الأخرى، كما أن كل حي كان يتصور إيل بصورة قد تختلف عن الصورة التي يتصورها الحي الآخر، وكما عبد العرب أيل الإله السامي الرئيسي كذلك عبدوا الإلهة الأم اللات التي تقابل الإلهة التي كانت معبودة أيضاً في بلاد الشام والعراق باسم عشتار وأشيرة، ويبدو أن الإلهة الأم كان يطلق عليها أيضاًعدة أسماء بحسب كل قبيلة أو مجموعة قبائل، وبحسب المكان، أسماء مختلفة أحياناً لكنها كلها تعبر عن رؤى وتصورات العابدين لهذه الإلهة، فربما أن الإلهة الأم التي عبدها العرب لم تكن معبودة باسم واحد فقط بل أطلقوا عليها عدة ألقاب للدلالة على عظمتها وتعدد مميزاتها.

الفصل الثالث: النزوع نحو التوحيد

أولاً:الإله (بعل شمين) سيد السموات

لقد برز إله عرف ب (ذو سماوي) أي رب السماء، وهو إله ظهر اسمه قبل الميلاد بقليل في اليمن، وبقي اسمه متألقاً في سماء اليمن يقدّم إليه الناس النذور والقرابين،[1] ومما عثر عليه في منطقة همدان في اليمن من نقوش تروي نصوصها أن أصحابها راحوا يتقربون إلى الإله (ذو سماوي) أي سيد السماء، وكان تدوين هذه النصوص قد تزامن مع تدوين نصوص نذرية أخرى تعود للقرن الأول الميلادي مقدمة للإله (تالب رئام) الإله الخاص بقبيلة همدان. [2]

ويرى بعض الباحثين أن عبادة ذي سماوي تدل على ظهور نزعة توحيدية عند العرب الجنوبيين، لكن هذا لا يعني التخلي عن الآلهة الآخرى وإلغائها، فقد ورد في أحد نصوص المسند (ذ سموي ليد متعن شعبهو) أي ليمتع رب السماء شعبه.[3] وقد صار يوصف هذا الإله بالرحمن، فقد ورد أيضاً في نص جنوبي:

(رحمن بعل شمين وأرضين) أي الرحمن رب السماوات والأرض، و (رحمن بعل شمين) أي الرحمن رب السماء.[4] فورود الاسم رحمن في النقوش مرتبط ببعل شمين.

ويبدو أن الإله العربي (ذا سماوي) كان يقابل (بعل شمين) الإله الشمالي الذي عبده الآراميون والفينيقيون، وهذا الإله (بعل شمين) ظهر في معظم النقوش العربية الشمالية والجنوبية من حوالي القرن الأول الميلادي، وقد ورد في بعض النصوص الجنوبية باسم ذي سماوي، ففي نقش من قتبان مدون على لوحة برونزية يعود للقرن الثالث الميلادي، يعود لعهد الملك الحميري (شمر يهمد)عثر عليه في موضع هجر بن حميد الواقع ضمن نطاق دولة قتبان، ينص النقش على أن كليب عامل الملك (شمر يهمد) شيد وأقام معبد الإله ذو سماوي إله الأمير بالبرحة تحت مدينة السوا، فليتعهد الإله ذا سماوي إله الأمير بالسلامة والنجاة والحماية لكليب وقبيلة ذي معافر سادة قصر شعبان.[5]

وقد عبده الأنباط وبنوا له معبداً فخماً في حوران، وقد ورد اسم الإلـــه (بعـــل شـــمين) بعـــل السموات في الكتابات الصفوية وفي كتابات تدمر، وفي كتابات اللحيانيين والثمـــوديين، وفـــي

---

[1] علي، جواد. **المفصل.** ج6. ص 306. - وانظر: ديسو، رينيه. **العرب في سوريا قبل الإسلام.** ص 132.
[2] الجرو، أسمهان. **دراسة في التاريخ الحضاري لليمن،** ص 140
[3] **المرجع السابق.** ص 306.
[4] نيلسن، ديتلف. **تاريخ العرب القديم.** ص 192.
[5] الجرو، أسمهان. **التاريخ الحضاري لليمن.** ص 140

كتابات بعلبك في النقوش الفينيقية، ويذكر ديسو أن الصفويين ربما استعاروا هـذا الإلـه مـن الآراميين .[1]

وكان في تدمر معبد للإله بعل شيمن، ويوصف في نقش تدمري بأنـه "الإلـه الطيـب الشكور" وسيد العالم أو سيد الأبد. [2]

(وبعل شمين) هذا الإله الكثير الورود في النقوش العربية، يرد أيضا في النقوش النبطية المدونة باللغة الأرامية، وقد ورد في نقش نبطي يعود لسنة 32 ق.م كتب على إفريز المعبد من قبـل مؤسسه، ومقدّم للإله بعل شمن ما يلي:" **لذكرى ملكيت بن أوس بن مغير الذي أقام تمجيداً لبعل شمين المعبد الداخلي والمعبد الخارجي وهذا المسرح والأبراج من سنة 280 إلى سـنة 311 بسلام**".[3] ومن الجدير بالذكر أن سنة 280 الواردة في النقش والتي تقابل 32 ق.م، ترجع إلى زمن السلوقيين اليونان إذ كان يؤرخ بتاريخ إنشاء دولتهم.

ومن النقوش الصفوية نقف على نداءات موجّهة لبعل شمين منها: يا بعل شمين امنحني الفرج، يا بعل شمن السلام.[4]

وفي نقش نبطي من صلخد شمال حوران يعود للقرن الأول الميلادي، يرد ذكراً للإلـه بعل شميم وهو نقش كتبه شخص نبطي يدعى عبيد بن أطيفق جاء فيه:

دا مسجدا	**هذا المذبح (وهي كذلك في الارامية القديمة)**
دي عبد	**الذي صنعه**
عبيد بر أطيفق	**عبيد بن أطيفق**
بعل شمين إله	**لبعل شمين إله السماء**
متنو بشنة	**متن في سنة**
لملك	**لملك**
ملكا ملك نبطي	**الملك ملك الأنباط.** [5]

والملاحظ أن كلمة (مسجدا) الواردة بالنقش تعني باللهجة النبطية مذبحاً أو نصباً.

[1] سبتينو، موسكاتي. **الحضارات السامية القديمة**. ص 350. - وانظر: ديسو، رينيه. **العرب في سورية قبل الإسلام**، ص 152
[2] **الحضارات السامية القديمة** . ص 351.
[3] ديسو، رينيه. **العرب في سورية قبل الإسلام**، ص 155
[4] كنعان، جورجي. **تاريخ الله**، ص 292
[5] ولفنسون، إسرائيل. **تاريخ اللغات السامية**. ص 127

أما عند النبط فورد اسم لإله يدعى (دوشرا) كبير آلهة الأنباط وإلههم القومي إذ اتخذ عند الأنباط طابعاً قوميا وجغرافياً، فكلمة (دوشرا) هي لفظة آرامية والصيغة العربية هي (ذو الشراة) أي صاحب الشراة، ودوشرا أو ذو الشراة هو إله عربي أطلقه الأنباط على هذا الإله ومعناه سيد الشراة، والمقصود هنا بالشراة المنطقة الجبلية قرب البتراء وهي لا تزال تسمّى كذلك حتى اليوم، وقد جلبه الأنباط معهم لما جاؤوا إلى شمال الجزيرة في حوالي القرن الرابع ق.م .[1] لكن ابن الكلبي يشير إلى أن أصل ذو الشرى جاء من منطقة السراة وهي منطقة جبلية بين اليمن والحجاز موطن قبائل الأوس والأزد التي كانت تقدس ذو الشرى.[2]

ويذكر الكتاب اليونان (دوشرا) ويجعلونه صنو الإله اليوناني ديونيسوس إله الخصب والكرم، ونقود مدينة بصرى جنوب الشام تجعل لدوشرا شعار ديونيسوس وهو معصرة النبيذ، و(دوشرا) ومزاياه شبيهة إلى حد ما ببعل الكنعاني وهدد الآرامي ويرمزان للمطر والخصب.

ويذكر فلهوزن أن طابع ديونيسوس لم يكن للإله العربي دوشرا في الأصل وهو في الصحراء، وإنما اكتسب طابع ديونيسوس اليوناني تحت تأثير الحضارة الكنعانية والآرامية.[3] بينما يرى ديسو أن دوشرا هو في الأصل إله خصب وزرع.

ويبدو أن الإله دوشرا انتقل إلى الثموديين والصفويين فهو يذكر في هذه النقوش بالاسم نفسه (دوشرا)، فقد ورد في نص صفوي ما يلي: **يا ذو الشرى سلام**، وورد أيضاً: **يا ذو الشرى الحصانة من الأذى**، وفي نص آخر ورد:" **فهلت وهدوشر ثار لمن حولت**"، أي: فيا اللات ويا دوشرا اثأر لم يحوّل، والمقصود هنا من يحوّل أو يزيل هذا النقش.[4]

وجاء في ذكر الإله (دوشرا) في نقش نبطي آخر ما يلي:

دنه جدرا دي هوامي	**هذا هو الجدار الذي...**
وكوايا بنه تيمو بر	**والنوافذ التي عمرها تيم بن..**
لدوشر وشريت ألهيا بصريا	**لدوشرا وسائر آلهة بصرا...**[5]

على أية حال ففي النقوش النبطية يرد ذكر (بعل شميم) وذكر (دوشرا) كإلهين منفصلين، وهذا يدل على أن ذو الشرى اسم لاله مستقل وليس لقباً لإله آخر.

---

[1] سبتينو، موسكاتي. **الحضارات السامية القديمة.** ص 357- 358
[2] الكلبي. **الاصنام.** ص 37
[3] سبيتينو، موسكاتي. ص 358
[4] كنعان، جورجي. **تاريخ الله.** ص 292
[5] **المصدر السابق**، ص 127

ويبدو أن الصفويين قد استعاروا من الأنباط الإله دوشرا، فقد ورد ذكر هذا الإله مع بعل شمين كإلهين منفصلين، وفي نص صفوي أورده ليتمان ورد ذكر الاسمين، فقد جاء:" **لأذينة بن أنعم بن عم بن كهل من آل لغبر، فيااللات وشيع القوم، جاد عوذ، وبعل شمين ودوشرى، المعونة! العمى والعرج والقتر والدود لمن يخرب هذا الخط**". [1]

وجدير بالإشارة إلى أنّ النقوش النبطية وسائر النقوش العربية، لم يظهر فيها شكل أو نقط، بل كتب الحرف ورسم على ما هو عليه، وليس لدينا علم إن كانوا يشكلون في كتاباتهم أم لا، فالنقوش التي اكتشفت جميعها بلا إعجام.[2]

وقد ذكر المؤرخ مكسيموس الصوري في القرن الثاني الميلادي، أن الأنباط اتخذوا صنماً لذي الشراة، وهو حجر أسود مكعب.[3] والعرب الأنباط كالتدمريين تأثروا كثيراً بالحضارتين الآرامية والكنعانية، لكنهم أيضًا تأثروا بالهلنستية والرومانية كالتدمريين، وقد ظهر هذا الأثر في أشكال تماثيلهم، وفي شكل معابدهم، وأحياناً في أسماء أعلامهم التي صيغت صياغة يونانية، فمثلاً ابن الزباء "وهب اللات" كان يطلق على اسمه (أثينا دور) "Athenadore".

وعن طريق الأنباط وصل هذا الصنم دوشرا إلى عرب الحجاز، وكان يعرف باسم (ذو الشرى) أي سيد الشرى. وقد ذكر ابن الكلبي:" أنّ الصنم ذا الشرى كان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد، وله يقول أحد الغطاريف (وهم من الأزد):

إذنْ لحللنا حَوْلَ ما دونَ ذي الشّرى   وشجَّ العِدَى منّا خَميسٌ عَرَمْرَمُ" [4]

فيبدو أن هذا الإله كان سيداً على منطقة عبده سكانها وسمّوه باسمها، ويبدو أيضاً أنه كان له كعبة خاص به يحجون إليها، أما ابن هشام فيروي في سيرته أنّ " ذا الشرى هو صنم لدوس، وكان له حمى حموه له، وبه وشل من ماء يهبط من جبل، وفي قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي أنه طلب من زوجته أن تذهب إلى حمى ذي الشرى لتتطهر منه.[5]

ويرد في النقوش اللحيانية اسم لإله يدعى (ذو غابة) سيد غابة، عبده اللحيانيون بدليل وروده في أسماء أعلامهم ومنها زيد ذو غابة وعبد ذو غابة وقدّموا له القرابين والنذور، وذو غابة في

[1] ديسو، رينيه. **العرب في سورية قبل الإسلام**، ص 160

[2] الأسد، ناصر الدين. **مصادر الشعر الجاهلي**. ص 34.

[3] داود، جريس. **أديان العرب قبل الإسلام**، ص 307

[4] الكلبي. **الأصنام**. ص 38.

[5] سبتينو، موسكاتي. **الحضارات السامية القديمة**. ص 364.

الحقيقة يقابل الإله النبطي ذو الشرى كإله لشعب وحامي الحي، وهو يعبر عن النماء والخصب، وهو كما يبدو سيد لمنطقة تدعى غابة، كما أنّ ذا الشراة هو سيد لمنطقة الشراة.[1]

وفي الواقع فإن الإله (بعل شمين) الذي أصبح الاسم الأكثر شيوعاً في النقوش العربية والآرامية منذ حوالي القرن الثاني ق.م هو إله سامي شمالي بصيغة آرامية ويعني سيد السموات وموجود في الفينيقية بصيغة بعل شمايم كما في نقش يحميلك من جبيل.

ثانياً: الصابئة وتقديس بعض العرب للكواكب

كرّم العرب بعض النجوم والكواكب وقدّسوها، كالجوزاء والثريا والشعرى والمشتري وعطارد وسهيل والدبران والعيوق، وحقاً أن العرب لم يعبدوا هذه النجوم، لكنهم فقط أكرموا هذه النجوم والكواكب، لأنهم اعتقدوا أنها تؤثر في حياتهم، وتجلب لهم الحظ والسعد.

إنّ تكريم هذه النجوم وتقديسها عند العرب يعود لعدة عوامل منها: حاجتهم الماسة لتحديد مواضع النجوم في صحرائهم الكبرى وعند حلهم و ترحالهم، ولأجل ذلك ذهبوا مذاهب شتى في مواضعها من البروج، وقد قال ابن رشيق في ذلك: "إن العرب أعلم الناس بمنازل القمر وأنوائها." [2]

نعم لم يصل العرب في علم الفلك والنجوم إلى المرحلة المتقدمة التي وصل إليها البابليون والمصريون، مع ذلك كان لهم علم بأمور النجوم يعرفون مطالعها ومساقطها وأسماءها، فطبيعتهم الصحراوية مكشوفة على السماء ونجومها، لذا فرضت عليهم تلك الطبيعة أن يكونوا على علم بالنجوم، لكي يهتدوا بها في أسفارهم وترحالهم، وقد ذكر ذلك القرآن الكريم بقوله:{ وبالنجم هم يهتدون}.[3]

وقد يكون من العوامل المهمة التي دعت العرب إلى احترام هذه النجوم وتقديسها، انتشار جماعة الصابئة لاسيما صابئة حران شمالي سورية، فلتمركزهم في هذه المدينة أطلقوا عليها صابئة حران، وكان الصابئة يعيشون في الأقاليم الجنوبية من أراضي العراق وفي حران[4]، لذلك لابد أن تأثير حضارة الكلدانيين والبابليين سارية في ديانتهم وطقوسهم، فديانتهم ديانة قديمة وتمتد جذورها إلى حضارة بابل العريقة، ومن الصابئة من هاجر وسكن بلاد العرب قبل الإسلام بعدة قرون فعاشوا بين العرب وأثروا فيهم، ويبدو أن هجرة بعضهم إلى بلاد العرب كان نتيجة الاضطهاد الذي وقع عليهم.

---

[1] داود، جريس. **أديان العرب قبل الإسلام**. ص 102

[2] ابن رشيق، أبو علي الحسن، القيرواني. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**. بيروت: دار الجيل. ج2. ص 252.

[3] سورة النحل. آية 16

[4] ابن العبري. **تاريخ مختصر الدول**. ص 266

ووجود الصابئة في أرض العرب أمر يقيني، لأن القرآن الكريم ذكرهم في بعض آياته: {إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون }[1]، وسورة البقرة سورة مكية مما يدعم احتمال تواجدهم في مكة أيضاً، وهو يدل على تأثير الصابئة الذين سكنوا في بلاد العرب على أديان العرب قبل الإسلام، فبلادهم كنت مركزاً لتجمع مذاهب وأديان متعددة.

ولقد كان هؤلاء الصابئة قبل الإسلام يعتبرون بالكواكب والنجوم باعتبارها سماء الخلق الأولى وعوالم النور العليا، وقد كانوا لا يعبدون النجوم لذاتها، إنما كانوا يعبدون الله الإله الواحد ويطلقون عليه الحي العظيم، لكنهم يكرمون العوالم النورانية كالنجوم والكواكب على اعتبارها من تجليات خلقه وقدرته، وأنها تؤثر في مصائر الخلق، فلهم كتاب في جغرافية الارض وعلم الفلك يدعى (أسفر ملوشا) وبه يستطيع كاهنهم أن يلم بما يحدث في الكون من حوادث وتغيرات.[2]

ويبدو أن وجود هؤلاء الصابئة في بلاد العرب، كان أحد الأسباب التي دعت العرب إلى تكريم هذه النجوم وتقديسها، وقد كان لهؤلاء الصابئة بعض العادات والطقوس الدينية الخاصة بهم، وينقل الشهرستاني بعضاً منها فيقول:" إنهم كانوا يصلون ثلاث مرات في اليوم، ويغتسلون من الجنابة، وقد حرّموا أكل الجزور والخنزير، وذوات المخالب والحمام من الطير، ونهوا عن السكر والاختتان."[3] وهذا أيضاً ما ذهب إليه ابن النديم في الفهرست حيث قال إن المفترض عليهم من الصلاة أنهم يصلون ثلاث مرات في اليوم، قبل شروق الشمس وقبل الغروب وعند غروب الشمس ولا صلاة عندهم إلا على وضوء.[4]

والصلاة عندهم تكون بالركوع والوقوف، والغالب أنهم يصلون صلاتين في المساء أيضاً فيصبح عدد صلواتهم في اليوم خمسة، وتبدأ الصلاة عندهم بالآذان وهو عبارة عن إذكار آية تتلى بين الحاضرين بدون رفع الصوت، والمرأة الملتزمة تضع غطاء على رأسها، ويصومون ثلاثين يوماً يراعون في صومهم رؤية الهلال لاعتبار العوالم النورانية عندهم، فيصومون من قبل أن تشرق الشمس حتى غروبها، ثم في نهاية صومهم يكون عيد الفطر، وقبل الصلاة يغتسلون من الجنابة، فيغسلون اليدين حتى المرفق، يعقبها غسل الوجه والفم والأذنين والقدمين وكل ذلك ثلاثاً، وأثناء غسل الوجه يتلون أدعية خاصة.[5]

[1] **القرآن الكريم**. سورة البقرة، آية 62
[2] هيكل، محمد حسين. **حياة محمد**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. ط13. 1968. ص 92.
[3] الشهرستاني. **الملل والنحل**. ج2. ص 115.
[4] ابن النديم. **الفهرست**. ص 383- 385
[5] الحسني، عبد الرازق. **الصابئة قديما وحديثاً**. ص 40- 43

وهم يعتقدون أن السماء تتكون من سبع سموات أسموها العوالم النورانية، وأن الشمس تقع في السماء الرابعة والقمر في السماء السابعة لقربه من الأرض، وأن الله خلق آدم من تراب على صورته ومن ضلعه خلق حواء، وهو شبيه بما ورد في التوراة عن خلق آدم، ثم أنزل الله الروح في جسمي آدم وزوجته، وعلّم الملائكة آدم كل ما في الدنيا من صنائع وحرف، ووضع له عدد السنين والأشهر والأوقات، ثم أنزلت على آدم الكتب المقدسة التي فيها فروض العبادة بأنواعها المختلفة، ثم أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا (هاديشة) وهو إبليس فإنه لم يسجد، إذ قال خلقني الله من نار وخلق آدم من تراب فكيف أسجد له فطرده الله ولعنه، وهم يؤمنون بحياة ما بعد الموت وبالثواب والعقاب، فالموت عندهم انتقال لا اندثار وفناء، فالنفس بعد الموت تنتقل من عالم إلى آخر لتتصل بعالم الأنوار بعد أن تقطع العوالم النورانية السبعة، لتصل للميزان الذي تشاهد نجماته في السماء، وإن كانت النفس طيبة وحسنى فتبقى حية مخلدة في النعيم، وتنتقل لأنواع العذاب إن كانت خبيثة، وعذاب النفس يكون بتعذيبها في النار أو حبسها في مكان لا هواء فيه، فعذاب النفس هو تطهيرها من أدران الذنوب فإن خلصت من الذنوب وقطعت العوالم النورانية في مدة تتناسب مع عذابها، وصلت إلى الميزان فتوزن فيه مرة أخرى.[1]

وفي الفترة المسيحية عظموا الرسول يوحنا المعمدان - يحيا بن زكريا، وجعلوه آخر أنبيائهم ، وصاروا يعرفون بالصابئة المندائية، ولأن يوحنا المعمدان ارتبطت سيرته بتعميد السيد المسيح في نهر الأردن، لذلك التطهر بالماء والتعميد في المياه الجارية من أساس طقوسهم، فهم يعتقدون ان الملاك عمّد النبي يحيا بن زكريا، وهذا التعميد الذهبي عندهم هو جوهر عبادتهم ويسمونه الصباغة، يقومون فيه بالتعميد فقط بالمياه الجارية في أعيادهم الرئيسية خلال العام، والصباغة عندهم نشأت أساساً في عالم النور أي عالم الأكوان العليا، ومنها نزلت على أول أنبيائهم وهو آدم عندما جاء الملاك ملكي هيبل، الذي أتى بكلمات الحق من الله ليعطيها إلى آدم، لذلك يتعمد الطفل عندهم صغيراً كي يسجل اسمه في عوالم النور العليا.[2]
ويذكر سليم برنجي أن الصابئة عظموا يوحنا المعمدان وكانوا في فلسطين حول نهر الاردن، ونتيجة القمع الروماني هاجروا الى العراق وسكنوا بجانب المياه الجارية ومارسوا عقيدة التطهر

[1] الحسني عبد الرزاق، **الصابئة قديماً وحديثاً**. ص 37
[2] المصدر السابق.

والتعميد والطقوس فهم جماعة يعتقدون أن يوحنا المعمدان هو النبي ومتواجدون اليوم في العراق باسم المندائيين ولغتهم لهجة آرامية.[1]

والصباغة أصبحت عندهم سنة يسير عليها الصابئة منذ عهد آدم حتي يحيا، وهي بمثابة الحياة الجديدة من خلال الإيمان بما أنزل الله من تعاليم ربانية على آدم والأنبياء، ولمعرفة جوهر التوحيد من خلال قراءة كتابهم المقدس (كنزا ربا) الذي فيه تعاليم الأنبياء من آدم حتى يحيا وهذا الكتاب مترجم إلى العربية، وفي الصفحات الأولى من كتابهم تجد الآيات التالية: باسم الحي العظيم هو الملك منذ الأزل، ثابت عرشه عظيم ملكوته لا أب له ولا ولد، ولا يشاركه ملكه أحد، مبارك هو في كل زمان، موجود منذ القدم باق إلى الأبد.[2]

وكتابهم المقدس يصف عالم النور وهو عالم الخلد وعوالم الظلام وكيفية تكوين الكواكب والشمس والقمر، ويتحدث عن خلق الملائكة ومصير النفس بعد الموت، وأنه بالإيمان يمكن التغلب على قوى الظلام الشريرة، فهم يؤمنون بقوى النور ومقابلها قوى الظلام، وهم بعد التعميد يصبحون أبناء النور، وهذا قريب إلى حد بعيد مما اكتشف في مخطوطات قمران شمال البحر الميت، حيث أن من بين تلك المكتشفات التي اكتشفت إضافة لنسخ التوراة، تعاليم الجماعة اليهودية التي كانت تعيش على ما يبدو في تلك المنطقة المعزولة، حيث كانت تعتبر نفسها أبناء النور وأنهم في صراع مع قوى الظلام والشر من البشر والقوى الأخرى، وقد عثروا على برك تغطيس عديدة للتطهر ليس بعيداً عن المغارة التي اكتشفت فيها اللفائف، وقد ذكرهم يوسيفوس في كتابه حروب اليهود.[3]

ويبدو أن المؤرخين المسلمين وعلماء التفسير لم يدركوا تماماً ماهية الديانة الصابئية، فكثير من علماء المسلمين والمفسرين اعتبروها عبادة للكواكب والنجوم، لأن الأمر قد اختلط عليم وظنوا بالعوالم النورانية المذكورة في أدبيات الصابئة وكتبهم أنها الكواكب والنجوم، فرموهم بتهمة عبادة الكواكب، فابن النديم مثلاً ذكر في الفهرست أنهم يذبحون لكوكب الزهرة وللقمر لكن بالطبع لا دليل على ذلك، وهناك من كفرهم وأخرجهم عن التوحيد واعتبرهم مشركين يعتقدون بتأثير النجوم، وهناك من اعتبرهم من أهل الكتاب لأن لهم كتاباً مقدساً فيدفعون الجزية كاليهود والنصارى، وقد اعتمدوا في ذلك على تفسير الآية، فقد جاء في تفسير القرطبي عند تفسير الآية المشار إليها في سورة البقرة ما نصه:

---

[1] برنجي، سليم. **الصابئة المندائيون.** بيروت: دار الكنوز الأدبية. 1997. ص33

[2] الكنز العظيم **الكتاب المقدس للصابئة** المندائية. **كنزا ربا.** بغداد 2006

[3] Collins. J. ***Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls.*** New York: Routledge, 1997

" اختلف السلف في الصابئين، فقال السدي: هم من أهل الكتاب، وقال أبو حنيفة: لا بأس بذبائحهم ومناكحة نسائهم، وقيل: هم قوم يعبدون الملائكة، ويصلون إلى القبلة، ويقرأون الزبور، ويصلون الخمس، ثم قال: والذي تحصل من مذهبهم أنهم موحدون معتقدون تأثير النجوم وأنها فعالة، ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري بكفرهم".[1]

وفي الواقع أن ابن النديم ذكر في الفهرست أن جماعة من صابئة العراق كانت تدفع الجزية كأهل الكتاب وذلك في عهد الخليفة المأمون. [2]

وتركيز إيمانهم ينصب على معرفة الإله الأوحد الخالق وعلى إدراك عالم النور الخالد، فالصابئة تعتقد بأن الخالق واحد أزلي لا أول لوجوده ولا نهاية، منزه عن عالم المادة والطبيعة وهو علة وجود الأشياء.

وكلمة صبأ في لسان العرب تعني: "خرج من دين إلى آخر"، أي انتقل وتحول، وقد اتهم أهل قريش الرسول في بداية دعوته بأنه صبأ عن دين قريش أي خرج عن دين أجداده وأبائه، وكانت العرب تقول لمن أسلم صبأ أي مال عن الدين.[3] لكن الأرجح انها من جذر صبب اي سكب الماء لأن الاغتسال والتعميد من جوهر عقيدتهم.

والعرب قبل الإسلام كانت تصوم في شهر رمضان، فقد كان تأثير هذا الشهر كبيراً في وثنية عرب الجاهلية، فقد كان عامتهم يقدسونه ويعظمونه ويمتنعون عن الطعام والشراب وعن ممارسة الجنس أحيانا، ويكادون يحرمون القتال فيه كالأشهر الحرم، وليس من المستغرب أن يكون صيام شهر رمضان وتقديسه عند العرب قبل الإسلام هو من تأثير الصابئة.[4]

لقد انتشرت الصابئية بين بعض القبائل العربية وكان لهم تأثير على العرب وعلى أهل اليمن، فقد كان من العرب من يميل للصابئة وبعضهم يقدسون بعض الكواكب ويكرمونها، ويعتقدون في أنواء المنازل وأنها فعالة بأنفسها ويقولون مطرنا بنوء الكواكب. [5] ويقول سليم الحوت أن الصابئة نقلواعن الكلدانيين علوم الفلك فمذهبهم كان عين مذهب الكلدانيين، ولما كان العرب على اتصال بسكان المناطق المتاخمة فليس بعيداً أن يكون شيء من علوم الفلك قد تسرب إليهم عن طريق

---

[1] القرطبي. **الجامع في تفسير الأحكام.** سورة البقرة. آية 62

[2] ابن النديم. **الفهرست.** ص 385- 386

1. ابن منظور. **لسان العرب.** مادة (صبأ) - وانظر: **تفسير القرطبي**. البقرة. آية 62

- وانظر: تفسير القرطبي. **الجامع في تفسير الأحكام**. البقرة 62

2. عبد الكريم، خليل. **الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية**. ص21

3. القلقشندي. **نهاية الارب في معرفة أنساب العرب**. ج 18 صفحة 11

الصـابئة، لكـن معرفـة العـرب للنجـوم لـم تكـن منقولـة بكاملهـا عـن الصـابئة، فقـد كـان لهـم مـذهبهم وعلمهم في الصور الفلكية ومواضعها من فلك البروج.[1]

هذا ومن الثابت أن بعض العرب قدّسوا بعض النجوم وذكروها في أشعارهم، والدليل على ذلك أنهم تسمّوا (بعبد النجم، عبد الثريا)، وذكر أهل الأخبار أن بعض طيّىء قدّسوا الثريا وسهيلا، وأن بني لخم قدّسوا المشتري، وأن بعض قبائل خزاعة وقريش قدّست الشعرى العبور، وأن بعض تميم وكنانة قدّسوا الدبران والعيوق.[2]

ثالثاً: الحنيفية بيـــن العرب

عند الحديث عن التوحيد والنزوح إلى عبادة الإله الواحد، فإن العرب قد تسربت إليهم عقائد التوحيد من سورية وفلسطين من خلال الديانتين التوحيديتين اليهودية والمسيحية، فقد عاش اليهود في عدة مناطق في الجزيرة العربية من القرن الأول الميلادي، ويبدو أن أول استيطان لليهود في بلاد العرب كان عندما دمر الرومان ملكهم في فلسطين ودمروا هيكلهم في عام 70م في عهد تيطس، ثم في عهد هدريان عام 135م، فرحل بعض اليهود نتيجة لذلك واستوطنوا في مناطق فدك وتبوك وأم القرى ويثرب و خيبر، فكان هناك عدة قبائل يهودية سكنت تلك المناطق وكانت تعتمد على الزراعة، وهناك من العرب ممن قد تهود نتيجة لمجاورة اليهود أو حلفه معهم، لكن اليهود بشكل عام لم يكونوا مهتمين كثيراً بنشر ديانتهم بين العرب فهي ليست ديانة تبشيرية، وكانوا يعتبرون أنفسهم شعب الله الخاص وأن غيرهم لا يستحق هذا اللقب، ورغم ذلك استطاعت اليهودية أن تجد لنفسها موطئ قدم في اليمن في عهد الملك ذي نواس في بداية القرن السادس الميلادي.[3]

ويذكر اليعقوبي في تاريخه أن أقواماً من العرب قد تهودت، نتيجة لاختلاط العرب وتعايشهم مع اليهود واحتكاكهم بهم، فيقول: "فأما من تهود من العرب فاليمن بأسرها، لأن تبّع حمل حبرين من أحبار اليهود، فأبطل عبادة الأوثان، وتهود من اليمن قوم من

4. الحوت، سليم. ص 82
5. سالم، عبد العزيز. **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج1، ص 426.
1. جواد، علي. **المفصل**. ج6. ص 523

الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير، كما تهود قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام".[1]

وفيما يتعلق بالمسيحية فإنها تغلغلت في بلاد العرب، وكان المبشرون من القرون الأولى الميلادية وفي الفترة البيزنطية يسافرون إلى بلاد العرب لنشر المسيحية والتبشير بها، لذلك انتشرت المسيحية بين بعض القبائل العربية في شمال ووسط الجزيرة العربية إضافة إلى اليمن لا سيما في نجران، ونتيجة لأثر المسيحية في بلاد العرب تنصرت بعض القبائل العربية، وانتشرت المسيحية بين العرب المقيمين في الشام لا سيما الغساسنة عمال البيزنطيين، إذ قام الغساسنة بدورهم في نشرها بين عرب الحجاز جيرانهم، وقد تسّربت النصرانية إلى عرب شمال الجزيرة لاتصالهم بالعرب المسيحيين في بلاد الشام.

وكان من بين سكان مكة نفر قليل من النصارى كورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وقد ذكر اليعقوبي من تنصر من العرب إذ قال: "أما من تنصر من أحياء العرب فقوم من قريش من بني أسد بن عبد الله العزى ومنهم عثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل، ومن بني تميم: بنو امرئ القيس بن زيد مناة، ومن ربيعة: بنو تغلب، ومن اليمن قبائل طيّيء ومذحج وبهراء وسليخ وتنوخ ولخم وغسان".[2]

ونتيجة لهذا المد التوحيدي الجديد في بلاد العرب، ظهرت قبل الإسلام حركة دينية أصحابها جماعة من عقلاء العرب، سمت نفوسهم عن عبادة الاوثان، ولم يجنحوا إلى اليهودية أو النصرانية، إنما قالوا بوحدانية الله، ويعرف هؤلاء بالحنفاء أو الأحناف، لأنهم نبذوا عبادة الاوثان، ودعوا إلى عبادة إله واحد خالق السماء والأرض.[3] والذي يهم في هذا الفصل هو تبيان أن الحنيفية التوحيدية كاليهودية والنصرانية، جاءت إلى العرب من بلاد الشام وتسربت إلى بعضهم.

واتباع الحنيفية تعني ملة النبي إبراهيم، والحنيفية تنادي بالإيمان بوحدانية الله ونبذ الأصنام، وهذه الأمور قد دعا إليها إبراهيم عندما انطلق مع أسرته من مدينة أور الكلدانيين

---

1. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. **تاريخ اليعقوبي**. النجف: منشورات المكتبة الحيدرية. 1964- ج1، ص 226
2. اليعقوبي. **تاريخ اليعقوبي**. ج1. ص227.
2. الخطيب، محمد. **الدين والأسطورة عند العرب في الجاهلية**، ص 32

متوجهاً إلى حران بحسب ما ورد في التوراة [1]، ثم من حران أمره الرب أن يذهب إلى أرض كنعان، فترك بيت أبيه حازر وعشيرته وذهب وتغرب في أرض كنعان، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض فبنى مذبحاً للرب في شكيم، ومذبحاً أخر في بيت أيل ودعا باسم الرب الواحد.[2]

وبداية دعوة إبراهيم لعبادة الرب الواحد ورفض سواه بدأت في حرّان شمال سورية، ثم إلى فلسطين حيث ختم النبي إبراهيم رسالته الوحدانية بإقامة مذبح للرب في شكيم- نابلس اليوم، ومذبحاً آخر دعاه مذبح بيت أيل أي بيت الرب أيل.[3]

فالحنيفية التي تعني عند العرب اتباع ملة ابراهيم، ظهرت في بلاد الشام كاليهودية والنصرانية، وتأثر بها العرب كتأثرهم بهاتين الديانتين، ويبدو أن الإله الواحد الذي دعا إلى عبادته إبراهيم ثم من بعده إسحق ويعقوب هو أيل الإله السامي المعروف في بلاد الشام.

وعندما كان إبراهيم في فلسطين استقبله ملك (أورشليم) ملكي صدق، وكان هذا الملك مؤمناً بإله إبراهيم حيث كان كاهناً مقدساً من كهنة أيل، تقول التوراة: "وملكي صادق ملك أورشليم أخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهناً للإله العلي، وباركه وقال مبارك إبراهيم من الإله العلي مالك السموات والأرض، ومبارك الإله العلي الذي أسلم أعدءك في يدك، وأعطاه عشراً من كل شيء".[4]

والذي يدعم الرأي في كون أيل هو إله إبراهيم، أنه عندما تزوج إبراهيم من هاجر المصرية أمة زوجته سارة العاقر، أنجبت له طفلاً سمّي إشماع أيل أي اسمع أيل ، وهاجر تدعو هذا الإله بالاسم أيل عندما ظهر لها مبشّراً بغلام اسمه إسماعيل، حسب ما ورد في التوراة:" فدعت اسم الرب الذي تكلم معها، أنت أيل رئي، لأنها قالت أههنا رأيت بعد رؤية". [5]

وكما عبد إبراهيم الإله أيل وأقام له مذبحاً سمّاه بيت أيل، كذلك فعل بنوه وأحفاده، فها هو يعقوب في أرض كنعان يتوجّه بالعبادة إلى الإله أيل وحده، إله أبيه إبراهيم وأبيه إسحق، [6] وينبذ عبادة بعل وعشتاروت، ويصبح اسمه إسرائيل أي الذي اصطفاه أيل أو أسير أيل، فقد جاء في التوراة:" وظهر الرب ليعقوب حين جاء من فدان آرام وباركه، وقال الرب لا يدعى

3. **الكتاب المقدس**. سفر التكوين. فصل 10
4. **المصدر السابق.** فصل 12
3. **سفر تكوين**. 12. آية: 5-8.
[4] السواح، فراس. **لغز عشتار**. ص 355، 356
[5] **الكتاب المقدس**. سفر تكوين 16، آية:13
[6] **الكتاب المقدس.** سفر تكوين 32 آية: 9 - وانظر: Thompson .L.Thomas ,**The Mythic Past** ,Page 24

بعد اسمك يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل".[1] وبعد اختيار يعقوب لأيل إلهاً واحداً، يقيم في المكان الذي ظهر له هذا الإله نصباً أو عموداً، ويدعو اسم المكان بيت أيل، ويطلب من أهل بيته أن يتطّهروا وأن يعزلوا الآلهة الغريبة التي بينهم. [2]

ويبدو أن معتقد إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى، شارك فيه عدد من الشعوب من بينهم العرب سكّان الجزيرة العربية، الذين عرفوا في القرآن والتوراة بالإسماعليين أبناء إسماعيل بن إبراهيم، وقد بقي معتقدهم سائداً حتى ظهور الإسلام عند طائفة الحنفاء الذين يدينون بالإبراهيمية الصافية، التي كانت جزءاً لا يتجزأ من ثقافة ومعتقد شعوب المنطقة. ومن يراجع الروايات الإسلامية حول الحنفاء، يجد أن هؤلاء الحنفاء خرجوا إلى الشام يطلبون الحنيفية، لعلمهم أن النبي إبراهيم دعا إلى عبادة الإله الواحد من هناك. والحنيف في اللغة هو الذي يتحنّف عن الأديان أي يميل إلى الحق، وقيل هو الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة إبراهيم.[3]

والحنيف صفة النبي إبراهيم، وقال أبو عبيدة في تفسير الآية:

{ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين }.[4]

"أي من كان على دين إبراهيم، فهو حنيف عند العرب، وفي الجاهلية كان يقال: من اختتن وحجّ البيت فهو حنيف".[5]

وجاء في اللسان أيضاً أن معنى الحنيفية في اللغة الميل، والمعنى أن إبراهيم حنف إلى دين الله أي مال إليه، وكان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون:" نحن حنفاء على دين إبراهيم، فلما جاء الإسلام سمّوا المسلم حنيفاً." وتحنّف الرجل أي عمل عمل الحنيفية، ويقال اختتن واعتزل الأصنام وتعبد. [6]

---

[1] **الكتاب المقدس.** سفر التكوين 35، آية: 9- 10

[2] **سفر التكوين** 28، آية:16-19 .

3 . ابن منظور. **لسان العرب** ، مادة (حنف) 57/9.

4 . **سورة البقرة. آية 135**

5 . لسان العرب. مادة حنف

3. المصدر السابق

- انظر: الخطيب، محمد. **الدين والأسطورة عند العرب في الجاهلية**، ص 23

ويقول الزجاجي:" الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت، ويغتسل من الجنابة ويختتن، وقيل له حنيف لعدوله عن الشرك"، وفي الحديث الشريف: "أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة".[1]

وقد كان في بلاد نجد والحجاز بما فيهم مكة مجموعة من العرب عُرفوا بالحنفاء، ومن أشهر المتحنفين والمتألهين في الجاهلية: زيد بن عمرو بن نفيل، أمية بن أبي الصلت، القس بن ساعدة الإيادي، المتلمس بن أمية الكناني، عبد الطابخة بن وبرة بن قضاعة، سويد بن عامر المصطلقي، زهير بن أبي سلمى، كعب بن لؤي بن غالب.[2]

ومن هؤلاء من حرّم على نفسه شرب الخمر وأكل الميتة وذبائح الأصنام، فمن بين العرب الذين حرّموا على أنفسهم شرب الخمر كما أورد ابن حبيب في كتابه المحبّر، ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وزهير بن أبي سلمى، والعباس بن مرداس السلمي، الذي قال:" لا أشرب شراباً، أصبح فيه سيد قومي وأمسي سفيههم".[3]

وفي الروايات الإسلامية كرواية الأزرقي ورواية المسعودي وابن هشام في السيرة النبوية، أن النبي إبراهيم جاء من الشام مع امرأته هاجر وابنه إسماعيل وهو مازال رضيعاً، وأسكنهما مكة وكان بها ناس يقال لهم العماليق وفي رواية أنه لم يكن بها أحد، وأمر هاجر أن تتخذ عريشاً على ربوة حمراء وهو موضع البيت الحرام قبل بناءه، يكون لها ولابنها مسكناً، ثم قال إبراهيم لجبريل:" أهاهنا أُمرت أن أضعهما قال: نعم. قال فعمد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه، فورد في القرآن: {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع} سورة إبراهيم 37، ثم انصرف إلى الشام وتركهما عند البيت الحرام".[4]

وأيضاً أن النبي إبراهيم اشترك مع ابنه اسماعيل في بناء البيت العتيق، وكان إسماعيل ابن ثلاثين سنة، وورد في القرآن الكريم عن بناء البيت الآية:{ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل}.[5] وأنّ هذا أول بيت وضع للناس كما ذكر القرآن وهو بيت الله العتيق: {إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً

1 . **لسان العرب.** مادة حنف

2 . الجارم، محمد. **أديان العرب في الجاهلية**، ص196.

6. ابن حبيب، محمد. **المحبّر.** ص 236-237.

4 . المسعودي، **مروج الذهب**. ج1. ص334 - انظر: الأزرقي، **أخبار مكة**. ج1، ص 31

5 . **القرآن الكريم**. سورة البقرة ، آية 27. – انظر:المسعودي. **مروج الذهب**. ج1. ص334

للعالمين}.[1] وأن الله علمه المناسك وطلب منه أن ينادي الناس للحج، فنادى الناس للحج فأجابوه من مشارق الأرض ومغاربها.

ويذكر الأزرقي أن إسماعيل تزوج وصاهر قبيلة جرهم اليمنية، وعاش معهم في مكة وأصبحوا القائمين على الكعبة إلى أن أتت قبيلة خزاعة ونازعوا جرهم على الكعبة وانتزعوها منهم بحسب الروايات الإسلامية.[2]

هذا هو التقليد الإسلامي بشكل عام، أن إبراهيم أتى من الشام وقام ببناء البيت مع ابنه إسماعيل، أي أن مكان سكن إبراهيم كان في بلاد الشام، ودعوته للتوحيد أو الحنيفية كما يراها أصحابها كانت من هناك، حيث لم يكن بعد نصرانية أو يهودية، وغير هذه الرواية الدينية الإسلامية لا يوجد أي دليل من أي مصدر آخر على ذهاب إبراهيم إلى مكة أو اشتراكه مع ابنه إسماعيل في بناء الكعبة.

وفي الواقع أن إبراهيم كما ورد في التوراة قد سكن أرض كنعان أي فلسطين، وقد دفن امرأته سارة في حبرون أي الخليل.[3] أما عن بناء إبراهيم البيت العتيق واشتراكه مع ابنه إسماعيل في بنائه، وذهابه إلى مكة مع امرأته هاجر وابنه إسماعيل، وزواج إسماعيل من قبيلة جرهم ومصاهرتهم له، فالتوراة لم تذكر ذلك.

وكل ما ذكر في التوراة أن هاجر وابنها إسماعيل، قد تاها في برية بئر السبع أي صحراء النقب، بعد أن صرفهما إبراهيم لرغبة زوجته ساره في حرمان هاجر و ابنها من الميراث، فأعطاهما قربة ماء وخبزاً وصرفهما، وبعد نفاذ الماء طرحت الولد تحت إحدى الأشجار وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس، لأنها قالت: لا أنظر موت الولد، ورفعت صوتها وبكت، ونادى ملاك الله هاجر وقال لها: لا تخافي يا هاجر لأن الله قد سمع صوت الغلام، قومي واحملي الغلام وشدّي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فملأت القربة ماء وسقت الغلام، وسكن إسماعيل في برية فاران وهي طور سيناء وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر.[4]

---

1 .**سورة آل عمران**. آية 96.
2 . الأزرقي. **أخبار مكة**،ج1، ص 32-33.
3 . **الكتاب المقدس.** سفر تكوين 23، آية 1-2
4 .**سفر التكوين**. .21، اية 14-21.

هذه هي الرواية التوراتية عن إبراهيم وإسماعيل وهاجر، لكن لا ذكر في هذه الرواية عن خبر ذهاب إبراهيم إلى مكة أو بناءه للكعبة مع إسماعيل، والسؤال المطروح هو كيف وصلت هذه الروايات إلى العرب وانتشرت بينهم ومن أوصلها إليهم ومتى؟

في الواقع أن مجاورة العرب ليهود الجزيرة العربية هو العامل الرئيسي لمعظم هذه الروايات، فكما ذكرنا فقد كان لليهود إضافة إلى التوراة كتباً وروايات شفوية كثيرة، تعتمد معظمها على أسلوب القصص والأساطير، انتشرت هذه القصص بين العرب وتقبلوها بحماسة عجيبة بعد أن بثها اليهود وأحبارهم ونشروها بين العرب، وكان الهدف هو حماية اليهود من غزوات العرب عليهم وعمل تحالفات مع بعض القبائل العربية المجاورة كي تضمن تلك القبائل حمايتهم، وأيضاً لإظهار تفوق دينهم على أديان العرب بوصفه دين كتابي وسماوي، وفي الواقع فإن من بث هذه القصص والروايات في الكتب الإسلامية لاحقاً هو ابن إسحق مؤرخ المسلمين الأول بعد ان سمعها من رواة قبله، ومن ابن إسحق نقل بقية مؤرخي الإسلام وبنوا على قصصه، وقد ذكر ابن هشام في سيرته أن ابن إسحق شيخ رجال السيرة النبوية، لكنه لا يُعنى بأسانيد أخباره إلا قليلاً وأنه يستقي من الأساطير والإسرائيليات، وأنه ليس بثقة.[1]

وقد أشار الدكتور طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي بأن الهدف من القصة التي تُحدِّثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها، هو لإثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى، وهو يشير إلى أن أقدَم عصرٍ يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه القصص إنما هو هذا العصر الذي أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ويبنون فيه المستعمرات وقال: "نحن نعلم أن حروبا عنيفة شبت بين هؤلاء اليهود المستعمِرين وبين العرب الذين كانوا يقيمون في هذه البلاد، وانتهت بشيء من المسالمة والملاينة ونوع من المحالفة والمهادنة" [2].

وهكذا فليس من المستبعد أن يكون هذا الصلح الذي استقر بين اليهود وأصحاب البلاد من العرب، هو منشأ هذه القصص التي تجعل العرب واليهود أبناء أعمام ، ولكن الشيء الذي لا شك فيه هو أن ظهور الإسلام وما كان من الخصومة العنيفة بينه وبين وثنية العرب من غير أهل الكتاب، قد اقتضى أن يثبت الصلة الوثيقة بين الدين الجديد وبين الديانتين القديمتين: ديانة

---

[1] ابن هشام. **السيرة النبوية**. بيروت: دار المعرفة. ط3. 2001. ج1. ص 11- 15

[2] حسين، طه. **في الشعر الجاهلي**. القاهرة: دار الكتب المصرية. ص 26- 28

النصارى واليهود. وقد كانت قريش في هذا العصر ناهضة نهضة مادية تجارية ونهضة دينية وثنية، وهي بحكم هاتين النهضتين كانت تحاول أن توجد في البلاد العربية وحدة سياسية وثنية مستقلة، فمن المعقول جداً أن تبحث مكة لنفسها عن أصل تاريخي قديم يتصل بالأصول التاريخية الماجدة، لذلك فليس ما يمنع قريشاً من أن تقبل هذه القصص التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وابراهيم ، هذا ويعتقد الدكتور طه حسين أن أمر هذه القصص والاساطير حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام بقرن أو قرنين أو ثلاثة على أبعد تقدير.[1]

ومن هنا يتبين أن الحنيفية عند العرب هي دين إبراهيم واتباع سنته التي تدعو الى عبادة الإله الواحد دون سواه، والحقيقة أن الحنيفية ليست ديناً بالمعنى الذي هو عليه الإسلام والمسيحية واليهودية، صحيح أنها تقول بوحدانية الله، إلا انها ليست ديانة كتاب، بل هي اعتقاد بوجود إله واحد لا شريك له، دون أن يكون هناك تعاليم أو طقوس أو وصايا، ماعدا الحج إلى الكعبة، فهم كسائر العرب كانوا يطوفون بالبيت ويؤدون المناسك والطقوس، وممكن القول عن الحنيفية أنها بمثابة الدين العربي الذي اعتنقه بعض العرب قبل مجيء الدين الجديد وهو الإسلام، أو هي عبارة عن صوفية عربية طبعت بطابع محلي ورفضت الأصنام ودعت للتوحيد.

الخاتمة:

بلغت الآلهة منزلة عالية في الديانات القديمة، ومن ثم تعلق بها العرب، فكانوا ينسبون إليها كل ما يحل بهم من خير وشر، ويقرّون بأثرها في حياتهم.

وقد تمحورت الوثنية العربية حول الآلهة فعبدتها العرب ومجدتها، وتعددت الأصنام العربية فكن لكل قبيلة ولكل حي من أحياء العرب أكثر من صنم يعبدونه، وساهم ذلك في الاعتقاد بأن الحديث يدور عن تعدد كبير في الآلهة إلى حد لا ينتهي.

---

[1] **المصدر السابق.** ص 28

وساهم اتصال العرب بالأمم المجاورة على ايجاد علاقة وثيقة في الفكر الديني تمثل ذلك في عبادة آلهة مركزية متشابهة وأبرزها الإله أيل، وقد ساهمت الوثنية في بلاد الشام في إثراء الوثنية العربية وتعزيزها نتيجة التواصل التجاري والتبادل الثقافي بين بلاد العرب وبلاد الشام.

وخلص البحث إلى جملة من النتائج أبرزها:

1. كما أن اليهودية والنصرانية كانتا في جزيرة العرب قبل الإسلام، نتيجة للجوار والاتصال بفلسطين وسوريا مركز هاتين الديانتين التوحيديتين، كذلك فإن الوثنية العربية قبل الإسلام قد تأثرت بوثنية الجوار، وقد ظهر ذلك بوضوح في عبادة بعض الآلهة المشتركة وممارسة بعض الطقوس التي ظهرت لديهم.
2. لا يمكن لنا أن نفهم الفكر الديني للعرب قبل الإسلام دون أن ننظر إلى الصورة برمتها، بمعنى آخر لا يمكننا فهم طبيعة الفلسفة الدينية عند العرب بمعزل عن الفلسفة القائمة في المحيط المجاور.
3. وعلينا أن نقرّ بأن العرب بدواً وحضراً لم يكونوا منغلقين أو منعزلين عن محيطهم الخارجي كما يُتصوّر، ولم يكونوا محصورين في جزيرتهم، بل اتصلوا بأمم مختلفة عاشت بجوارهم، وكانوا جزءاً لا يتجزء من منظومة الفكر الديني السائدة في المنطقة وقتئذ، وقد تأثرت أفكارهم الدينية بمؤثرات الجوار الذي أحاط بهم، إضافة للتطور المحلي الذى نما بصورة طبيعية تتفق مع ثقافة جزيرة العرب وبيئتها.
4. بات من المقبول اعتبار أسماء الآلهة والنعوت التي أطلقت عليها ودلالاتها اللغوية، من أهم المصادر لفهم طبيعة الآلهة عند العرب وصفاتها، وقد أفادتنا كذلك أسماء الأعلام المركبة مثل عبد العزى، عبد مناة، زيد اللات، في معرفة أسماء آلهة العرب وأصنامهم.
5. لا ينبغي الاعتقاد أن كثرة الأصنام وتعددها عند العرب دلالة على تعدد كبير في الآلهة، نعم لا يمكن الإنكار أن العرب عرفوا التعددية في الآلهة وعبدوا الكثير من الأصنام، لكن ما يجب توضيحه أن كثير من هذه الأصنام كانت في العادة تشير لإله بعينه أو إلهة بعينها، لكن اتخذت ألقاب عديدة ورموز كثيرة بحسب الأماكن والقبائل المختلفة، فليس يمنع أن يكون الإله الذي عبدته القبيلة الفلانية معبوداً عند القبيلة أو لدى قبائل أخرى بلقب آخر ورمز آخر، لأن كل قبيلة عربية

كانت تعبر عن الإله المعبود بطريقة تختلف عن القبيلة الأخرى، وهكذا ظهر لدينا عدد كبير من الأصنام عند كل القبائل العربية، وقد أشار ابن الكلبي في كتابه إلى العديد من هذه الأصنام التي وجدت في نجد والحجازز

6. لا يدور الحديث عن فكرة التوحيد وأن العرب عرفوا شكل من أشكال التوحيد، ولا إثبات فكرة الثالوث الإلهي وأن كثير من الآلهة محصورة ضمن هذا الثالوث، لكن الأمر يتعلق في دراسة الوثنية العربية من خلال التعرف على أصنام العرب الشهيرة ومعرفة طبيعتها ومحاولة فهمها وتحليل مزاياها، والتعرف على أثر حضارة بلاد الشام على الآلهة العربية، وأن النتيجة النهائية المتوخاة من البحث هي توضيح الوثنية العربية بأبعادها المختلفة وسبر عمقها وفهم دلالاتها بشكل أفضل.

المصادر والمراجع

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل بن محمد. **الإصابة في تمييز الصحابة**. مكتبة الكليات الإسلامية.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي. **المقدمة**. بيروت: دار القلم، ط1، 1978

- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني**. العمدة في محاسن الشع وآدابه ونقده**. بيروت: دار الجيل. 1972

- ابن كثير. **السيرة النبوية**. بيروت: دار المعرفة. 1971.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم**. لسان العرب**. بيروت: دار صادر.

- ابن هشام، أبومحمد عبد الملك بن أيوب الحميري، **السيرة النبوية**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3 . 1971

- أجواد، هتون. **الحياة الإجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية**. الرياض. السعودية 1993

- أسد، ناصر الدين. **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**. بيروت: دار الجيل، 1988

- أصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. **كتاب الأغاني**. مصر: مطبعة بولاق. دار الكتب المصرية، القاهرة.

- الأزرقي، أبو الوليد بن عبدالله بن أحمد. **أخبار مكة وما جاء فيها من آثار**. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية للنشر. ط1. 2004

- أمين، أحمد. **فجر الإسلام**. بيروت: دار الكتاب العربي. ط1. 1969.

- برنجي، سليم. **الصابئة المندائيون.** بيروت: دار الكنوز الأدبية. 1997.

- بروكلمان، كارل. **تاريخ الشعوب السامية**. بيروت: دار العلم للملايين. 1980

- بريستد، هنري. **العصور القديمة**. مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1983

- البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب بن عمرو الهاشمي. **المحبّر**. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن محبوب. **البيان والتبيين**. تحقيق عبد السلام هارون. 1948.

- الجارم، محمد. **أديان العرب في الجاهلية**. مصر: مكتبة دار السعادة. 1933

- جمعة، محمود. **النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والساميين**. القاهرة: مطبعة السعادة ، 1994.

- جواد ، علي. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. بغداد: مكتبة النهضة. 1978

- حتي، فيليب. **تاريخ العرب مطوّل**. بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة. ط4. 1965.

- حتي، فيليب. **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**. بيروت:دار الثقافة. 1965

- الحموي، ياقوت شهاب الدين بن عبد الله. **معجم البلدان.** بيروت: دار صادر للنشر. 1977

- حميري، نشوان. **ملوك حمير وأقيال اليمن.** القاهرة: المطبعة السلفية.

- حوت، سليم محمود. **في طريق الميثيولوجيا عند العرب**. بيروت: دار النهار. 1979.

- حوراني، يوسف. **البنية الحضارية في الشرق المتوسطي**. بيروت: دار النهار. 1978

- خطيب، محمد. **الأسطورة والدين عند العرب في الجاهلية**. دمشق: دار علاء الدين. 2004

- خورشيد، فاروق. **أديب الأسطورة عند العرب**. الكويت: مطابع السياسة للنشر. 2002

- داوود ، جريس. **أديان العرب قبل الإسلام.** بيروت**:** المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. ط3، 2005

- ديسو، رينيه. **العرب في سوريا قبل الإسلام**. دمشق: ترجمة عبد الحميد الدواخلي، الدار القومية للطباعة والنشر، 1999

- زيدان، جورجي. **العرب قبل الإسلام**. بيروت: دار مكتبة الحياة. ط2، 1978

- سواح ، فراس **: لغز عشتار**. دمشق: دار علاء الدين للنشر ، دمشق. ط6 -1996

- سواح، فراس، **مغامرة العقل الأول**. دمشق: دار علاء الدين للنشر. ، ط13 -2007

- سيد، سالم : **تاريخ العرب قبل الإسلام**. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للنشر..

- الشهرستاني، محمد بن أبي بكر. **الملل والنحل**. القاهرة: منشورات مؤسسة الحلبي. 1968.

- شواف، قاسم. **فلسطين التاريخ القديم الحقيقي**. بيروت: دار الساقي. ط1، 2008

- شيخو، لويس. **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية**. بيروت: دار المشرق. ط2. 1986.

- شيخو، لويس. **شعراء النصرانية**. بيروت: دار المشرق. ط2. 1986.

- الطبري، محمد بن جرير.**تاريخ الرسل والملوك**. مصر: دار المعارف.

- الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. مصر: دار المعارف.

- عبد الرحمن، محمود. **الشعر الجاهلي وقضاياه الفنية**. بيروت: دار النهضة العربية. 1980

- عبد الله، يوسف**. ترنيمة الشمس**. صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمنية. 1989.

- فاكهي، أبو عبد الله بن اسحق. **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**. القاهرة: المكتبة الثقافية الدينية.

- فيومي، إبراهيم. **في الفكر الديني الجاهلي**. بيروت: دار الجيل. ط1. 1999.

- القرشي، أبو زيد بن محمد بن الخطاب، **جمهرة أنساب العرب**. مصر: دار المعارف. 1949

- القرطبي، محمد بن الحكم. **الجامع لأحكام القرآن**. مصر: المكتبة التوفيقية. 1930

- **الكتاب المقدس،** صادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. 2000

- كرملي ، أنستاس. **أديان العرب و خرافاتهم.** بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط1 . 2005

- الكلبي، أبو المنذر هشام بن السائب. **الأصنام**. القاهرة: دار الكتب المصرية. ط2، 1924

- الكندي، سلام. **شعر وفلسفة عرب ما قبل الإسلام**. بغداد: منشورات الجمل. 2008

- كنعان، جورجي. **تاريخ الله**. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع. ط3 ، 1996

- لوبون ، غوستاف. **حضارة العرب**. بيروت: دار إحياء الكتب العربية. 1945

- لويس، برنارد. **العرب في التاريخ**. بيروت: تعريب نبيه أمين. دار العلم للملايين. 1954.

- مازيل، جان. **تاريخ الحضارة الكنعانية الفينيقية**. سوريا: دار الحوار للنشر. ط1. 1998

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر. ط1، 1965.

- موسكاتي ، سبيتينو. **الحضارات السامية القديمة**. ترجمة يعقوب بكر ، 1957

- ميسري، عبد الوهاب محمد. **موسوعة اليهود واليهودية**. القاهرة: دار الشروق. 1999

- النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب. **الفهرست**. مصر: دار المسيرة. ط3، 1988

- نولدكة، ثيودور. **أمراء غسان.** بيروت**:** ترجمة قسطنطين زريق- المطبعة الكاثولكية.

- نيلسن ، ديتلف. **التاريخ العربي القديم.** القاهرة. مكتبة النهضة الإسلامية. 1958

- الهمداني ، أبو محمد بن يعقوب. **الإكليل**. بيروت: دار المناهل للطباعة والنشر

- هيكل، محمد حسين. **حياة محمد**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. ط13، 1968

- ولفنسون، إسرائيل. **تاريخ اللغات السامية**. بيروت: دار القلم ودار الاعتماد. 1929

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، **تاريخ اليعقوبي**. النجف: منشورات المكتبة الحيدرية، 1964

- يوسيبوس، القيصري. **تاريخ الكنيسة.** القاهرة: ترجمة القس مرقس توما. 1960

المراجع الانجليزية

- Aharoni, Yohanan. **Arad Inscriptions**. University of Virginia. Israel Exploration Society 1981

- Kenneth. S. Latourette . **History of Christianity**. London 1975

- Avraham, Negev & Shimon, Gibson. **Archaeological Encyclopedia of the Holy Land.** Continuum Puplishing Group. London 2001

- Daniel. D. Lucknebill. **Ancient Records of Assyria and Babylonia**. Chicago. 1927

- De Lacy O'leary. **Arabia before Mohammad**. First Published. London 1927

- Flavius, Josephus. **Jewish Antiquities.** Wordsworth Mcging 2006.

- Frank. M. Cross. **Canaanite Myth and Hebrew Epic**. London 1973.

- Frederick.V.Winnett & W.L. Reed. **Ancient Records from North Arabia.** University of Toronto Press 1970.

- George. A. Barton. **Royal Inscriptions of Sumer and Akkad**. London 1992

- Henri, Lammens. **Islam Beleifs and Instituations**. London 1929

- James A. Montgomery. **Arabia and the Bible**. University of Bennsylvania Press. Philadelphia 1934

- James. G. Frazer. **The Golden Bough**, Macmillan. New York 1971.

- James, Pitchard .**The Ancient Near East** . Prinecton 1975

- Kenneth. A. Kitchen. **Documentation for Ancient Arabia**. Liverpool University 1994

- Raymond. P. Dovgherty. **Nabonidous and BlesHazzar**. (New Haven). London. 1929

- S.H. Hooke. **Babylonian and Assyrian Religion**. Hutchinson University Library. London 1953

- Thomas.L. Thompson. **The Mythic Past Biblical Archaeology and the Myth of Israel**. Basic Books. London 1999

- William. F. Albright. **Yahwa and The Gods of Canaan**. The University of London 1968

-Michael. Macdonald. **Literacy and Identity in Pre- Islamic Arabia**. Ashgate Variour .London 2009